الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائــر

معهــد الآثــــار

رسالة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية بعنوان:

المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة دراسة تاريخية أثرية

إعداد الطالب:

محمد رابح فيسة

تحت إشــراف الأستاذ الدكتور:

عبـــد العزيز محمود لعرج

السنة الجامعية 2005-2004

تشكرات

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل الدكتور عبد العزيز محمود لعرج عن تبنيه هذا العمل، وتتبعه له منذ بدايته إلى أن استوى، وتحمله تعب التصحيح والتوجيه فله منا جزيل الشكر.

كما أتقدم بالشكر الخالص لكل من ساهـم، في إخراج هذه الرسالة إلى النور بالدعـ ـ ـاء الخالص وبالكلمة الطيبة.

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلـــى :

- إلى روح والدي.
- والدتي الكريمة.
- إخوتـــي و أخواتـــي .
- إلى كل قريب منـــا .
- إلى كل من يبتغي صلاح الأمـــة .

" ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي و على والدي و أن أعمل صالحا ترضاه "

قائمة المختصرات

1- ط : الطبعة

2- ج : الجزء

3- تحـ : تحقيق

4- تر : ترجمة

5- هـ : الهجري

6- م : الميلادي

7- ص : الصفحة

8- ( ) : شرح

9- « » : آيات

10- (...) : حذف

11- ت : توفي

12- ش.و.ن.ت الشركة الوطنية للنشر و التوزيع

13- م.و.ث.ف.أ ا لمس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب

1- T Tome
2- P page
3- E Edition

مقدمة:

يعتبر فن العمارة مرآة صادقة تعكس جوانب متعددة من حضارات الشعوب و ثقافا م التي ظهرت على مر العصور و طوى التاريخ صفحا ا لتظل المباني القديمة بمثابة شواهد على تلك العصور و تصل الماضي بالحاضر من خلال تواجدها و تتحدد شخصية المدن من الطابع أو الطوابع المعمارية التي تضمها المدينة فتكسبها صفة التمييز نتيجة طوابعها المعمارية عن المدن الأخرى او تعطيها صفة الإشتراك مع البعض الآخر في الصفات المعمارية لمبانيها.

و تعتبر مدينة ندرومة من بين المدن التي تخللتها الطوابع المعمارية المختلفة و انطلاقا من هذه الزاوية يتحدد لنا نوع من أنواع هذه الطوابع و الذي حصرناه في الطابع أو الفن المرابطي في المدينة الذي يؤدي بنا حتما إلى البحث عن مكونا ا و كيف تمركزت المنشآت المرابطية فيها .

و رغم أن مدينة ندرومة قد حظيت ببعض الاهتمام من حيث الوصف الذي تقدمه لنا مصادر التاريخ و نصوصها وبعض النصوص الحديثة ، فإن الاهتمام بالتفاصيل المعمارية للمنشآت من زاوية أثرية بقي ناقصا .

ولم تعطى له الأهمية الكبيرة لدرجة تكاد تكون الدراسات حول هذا الموضوع معدومة .

أهمية اختيار الموضوع :

رغم أن مدينة ندرومة لم **تكن** بمستوى المدن المغربية **الأخرى إلا أن تاريخها كان حافلا بعدة أحداث** تاريخية **عكست بالتالي واقعا ثقافيا و اقتصاديا و سياسيا و اجتماعيا و عمرانيا ميزها عن باقي المدن الصغيرة** في **المنطقة الغربية من الجزائر . لاسيما أ ا** في **فترة من فترات التاريخ طبعت معماريا بطابع العمارة المرابطية ذات النمط الخاص و الذي احتوى على مكونات معمارية تعددت فيها تقنيات و مواد البناء .**

حيث لم يتطرق الباحثون المختصون في ا ال الأثري إلى مثل هذه التفاصيل الدقيقة للتعريف بالمنشآت المرابطية و تنميطها ، و حتى و إن وجدت بعض الإشارات فإ ا لا تعدوا أن تكون بسيطة و غير متخصصة ، لا تصل إلى النتائج التي يصبو الأثري لتحقيقها ، و منها إشارات في كتاب العمارة العسكرية للأستاذ رشيد بورويبة .

إن اختيار دراسة الفترة المرابطية في مدينة ندرومة ناتج أساسا عن رغبة ملحة في كشف بعض اللبس عن هذا الجانب من العمارة ، باعتبار أن بقايا هذه الفترة لم تدرس في كثير من جوانبها التي لعبت دورا هاما في المجالات الحيوية للدولة المرابطية .

و أثناء المعاينة الميدانية التي قمنا ا في المدينة و بعد الإطلاع على بعض الدراسات حول المدينة ، تبين لنا النقص الكبير في دراسة المنشآت المرابطية في المدينة ، مما دعاني إلى سبر الأغوار و لو بالقسط اليسير .

الإشكالية :

لقد انصب اهتمام الباحثين في تاريخ الدولة المرابطية حول الجوانب السياسية و الاقتصادية حيث أحاطوا الموضوع من جميع جوانبه ، غافلين بذلك عن الجانب المعماري لهذه الدولة الذي يعاني من فراغ ملحوظ في المصادر و المراجع و خاصة كلما تصدى الباحث لدراسة الجوانب الحضارية لمدن المغرب الإسلامي عامة و المنشآت المرابطية على وجه الخصوص .

و انطلاقا من هذه الزاوية ، فقد كان لمدينة ندرومة نصيبا وافرا من هذه المنشآت التي وجدت كنتيجة حتمية لتوسع هذه الدولة في المغرب الأوسط .لذا فإننا قد ركزنا في بحثنا هذا على إنجازات المرابطين في هذه المدينة المنقسمة على ميادين ثلاثة : الميدان العسكري و الميدان الديني و الميدان المدني .

و تتمحور إشكالية هذا البحث حول أهم المنشات و تسليط الضوء على أهم مميزات العمارة المرابطة . ويندرج ضمن هذا الإشكال بعض الإشكاليات الجزئية نحاول الإجابة عليها في محلها خلال مراحل البحث . ونذكر منها :

- ما سبب عدم اهتمام الباحثين بالعمارة المرابطية في مدينة ندرومة ؟
- هل للمدينة علاقة بالمدن المغربية الأخرى في تفاصيلها المعمارية؟
- ما مدى تأثر المنشآت المرابطية في المدينة ببعضها البعض و بالعمائر السابقة لهـا معماريا و تخطيطيا ؟.

المنهجية المتبعة في دراسة الموضوع:

من أجل دراسة موضوع مدينة ندرومة دراسة أثرية ، اعتمدنا على :

- المنهج النظري والذي اعتمدنا فيه على أهم المصادر والمراجع التي سنشير إليها لتتبع المراحل التاريخية للمدينة، وتسليط الضوء على الفترة المرابطية وأهم مبانيها ومنشا ا في المدينة، مع اعتماد المقالات والرسائل الجامعية التي تناولت الموضوع من جهة أو من أخرى.

- المنهج التطبيقي فقد اعتمدت فيه على المعاينة الميدانية للمدينة، وذلك بالوصف والتقاط الصور وأخذ القياسات ورسم المخطّطات، ومقارنتها ببعضها البعض.

- المنهج التحليلي و الذي بينا من خلاله أهمية العناصر المعمارية و مقارنتها مع العمائر المغربية.

وعليه فقد جاءت **الخطة** كالتالي :

الفصـل الأول :

- الإطار الجغرافي لمدينة ندرومة (الموقع – التضاريس – المناخ).
- الإطار التاريخي (أصل التسمية ودور المدينة الحضاري).
- المراحل التاريخية للمدينة.
- لمحة تاريخية عن الدولة المرابطية.

الفصـل الثاني : تخطيط مدينة ندرومة وتحصينا ا العسكرية

- المحور الأول : (المسجد الجامـع – دار الإمارة – القصبة).
- المحور الثاني : (الأحياء السكنية و ملحقا ا، الشوارع و الدروب) .
- المحور الثالث : (التحصينات العسكرية : السور- الأبراج- المداخل) .

الفصـل الثـالث : المنشآت الدينية .

- الجامع الكبير .
- مسجد القدارين .
- مسجد لالة الزهراء الشريفة .

الفصـل الرابع : المنشآت المدنية

- م ل دار زرهوني .
- م ل دار فتوح .
- الحمام البالـي .

نقد المصادر:

اعتمدنا في بحثنا هدا على بعض المصادر و المراجع التي تناولت هدا الموضوع من زاوية أو أخرى للضرورة فصعوبة الموضوع تقتضي منا ذلك ونظرا لأن الفترة المرابطية تفتقر إلى الكثير من المصادر سواء بالعربية أو الأجنبية. ولعل أن الكتاب الذين أرخوا للآسرة المرابطين أمثال : ابن الصيرفي أمين سرتا شفين بن علي في كتابه " الأنباء في سياسة الرؤساء " الذي ضاع كما ضاع كتابه " الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية " الذي يذكره ابن الخطيب في أعمال الأعلام و في الإحاطة . كما ورد ذكره في كتاب الحلل الموشية لمؤلفه ا هول ،وأبرز المصادر التي إعتمد ا هي :

1/ اليعقوبي :ت سنة(184هـ/797م) في كتابه" البلدان " الذي يذكر فيه وصفا للمدينة ، إستنتج من خلاله الأستاذ رشيد بورويبة أن سور المدينة يعود إلى الفترة المرابطية بدافع أن المؤرخ اليعقوبي ،عاش في ظل تلك الحقبة الزمنية ،التي كان المرابطون فيها سادة المغرب ، و الذي ساعدني في دراسة التحصينات العسكرية للمدينة .

2/ أبو عبيد الله البكري (487هـ/1096م) في كتابه "المغرب " ، في ذكر إفريقيا والمغرب ،و هو الجزء المتبقي من كتابه الجغرافي " المسالك و الممالك " ، ومنه القسم الخاص بوصف المغرب ،الذي نشره دوسلان سنة 1911 ، حيث يذكر وصفا خاصا بالمدينة، وقد استفدت من القسم الخاص بجغرافية الأندلس ، الذي نشره عبد الرحمان حجي ، حيث استفدت منه في الحديث عن المرابطين ، وبدايتهم الأولى خاصة ما ذكره عن الرباط و أعمال عبد الله ابن ياسين .هذه الشخصية التي أثرت مبادئها على مسار الحركة الدينية، وبالتالي على الجانب العمراني، المتمثل خاصة في المنشآت الدينية ، كالمساجد .

3/ الشريف الإدريسي (560هـ/1160م) نزهة المشتاق في اختراق الأفاق " ، في جزئه الخاص بالمغرب وارض السودان و مصر و الأندلس ، الذي اهتم كثيرا بذكر الطرق و المدن والمسافات و الأبعاد بينها ، ووصف معالمها و أ ارها و جبالها و قلما يتعرض إلى تاريخ إنشاء المدن . فكتابه يصلح لأن يكون خريطة طبيعية جغرافية استخدمت منه في وصف المدينة.

4/عبد الواحد المراكشي (647هـ/1247م) المعجب في تلخيص أخبار المغرب" قسم كتابه هذا إلى عدة فصول ، خص فيه بلاد الأندلس بجزء كبير و ذكر فيه فضل بلاد المغرب حيث يذكر أهم الأحداث التي جرت فيه ، و في فصول أخرى يتطرق إلى أهم ما شهده هذا القطر من قيام دويلات غيرت مجرى التاريخ ، نذكر منها على سبيل المثال دولة المرابطين و ما تلاها من أحداث ، كما أن المؤلف عاصر حقبة تاريخية مليئة بالأحداث التاريخية أدرجها في كتابه هذا ليأتي في آخر مؤلفهِ بذكر أقاليم المغرب و الأندلس .

5/ **ابن عذارى المراكشي : (712هـ/1313م)** البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب " الكتاب الذي اعتمدنا عليه في أربعة مجلدات .

جاء في الجزء الأول منها ذكر حدود المغرب و إفريقية و ما جاء في فضل المغرب و مراحل الفتوحات و الدويلات التي قامت بعد ذلك و هي الأغلبية و الفاطمية و الإدريسية و الزيرية .

و في الجزء الثاني ذكر بلاد الأندلس و صفتها ثم دخول الإسلام إليها و الولاة الذين تعاقبوا عليها ، ثم عرج إلى ذكر أخبار الدولة الأموية بالأندلس و ولا ا .

أما في الجزء الثالث فأكمل الكلام على أمويي الأندلس ثم ما تلى ذلك من حكم ملوك الطوائف ، و ذيله ببعض الأوراق لمؤلف مجهول من تاريخ ملوك الطوائف .

أما الجزء الرابع و الأخير فقد استهله مؤلفه بذكر أخبار المرابطين ، و أطنب في الكلام على أعمالهم في الأندلس ، و أرفقه بملاحق في نفس الموضوع .

6/ **ابن أبي زرع : (741هـ/1341م)** الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس " بدأ المؤلف بذكر دولة الأدارسة و من تعاقب على حكمها و الأحداث التي جرت ا ، ثم ذكر خبر قبائل زناتة و ما كان من أمرها ، و انتقل بعد ذلك إلى دولة المرابطين و اتساعها و ما قامت به من أعمال و انتظام الملك لها إلى حين ظهور دولة الموحدين التي خصها المؤلف بعد ذلك بدراسة واسعة ، ثم ذكر الدولة المرينية و هي الدولة التي عاش في كنفها المؤلف و ألف كتابه هذا في هذا العصر .

5 / عبد الرحمان ابن خلدون : (808هـ/1408م) وهو بصفة عامة الموسوعة العلمية لكل من أراد البحث في تاريخ المغرب و التاريخ الإسلامي الوسيط، و الملاحظ عليه هو عدم تخصيص القدر الكافي للفترة المرابطية .

و الملاحظ بصفة عامة على هذه المصادر ، أ ا متكاملة ، نلمس فيها مسحة الاختلاف الطفيف في التواريخ ،و هذا راجع ربما للفترة التي عاشها كل مؤلف. أما بالنسبة للمراجع ، فكانت محصورة تعد على الأصابع ، و معظمها باللغة الفرنسية ومنها **:**

1/Canal, J . L'Arrondissement De Tlemcen , Monographie De Tlemcen (Bulltin De La Société D'Archiologie D'Oran) , 1988 .

2/Basset, R. Nedroma Et les Traras, Paris, 1901 .

وهي دراسات أجريت أ ثناء فترة الاستعمار الفرنسي ، و تتعرض إلى الوصف العام للمدينة ، و التي استفدت منها في المراحل التاريخية للمدينة ، و ذكر تسميات بعض المنشات و مواقعها داخل المدينة . ومن الدراسات باللغة الفرنسية أيضا نجد :

3/ Grand Guillaume,J. Nedroma l'Evolution d'Une Medina, Leiden Brill , 1976.
4/ Sari ,DJ. les Villes Pré Coloniales De l'Algerie Occidentale . Nedroma. Mazouna.Kalaa, Alger 1978 .

أما الدراسة المعمارية للمنشآت ، فقد استعنت فيها بأطروحة الدكتوراة التي قدمها الأستاذ عبد العزيز لعرج بعنوان " المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية" جامعة الجزائر ، و الذي ساعدني كثيرا في الوصف المعماري للمنشات، و أيضا في طريقة المنهجية لدراسة المدينة الإسلامية خاصة.

كما اعتمدت على رسالة ماجستير لـ : حسيبة عبدوني بعنوان " الحياة العمرانية في عهد الدولة المرابطية خلال ق 5هـ -11م " بجامعة الجزائر ، حيث عالجت فيها بعض المنشآت المرابطية منها الجامع الكبير بندرومة و تلمسان و الجزائر معتمدة في ذلك على الدراسة الوصفية .

و استعنت أيضا برسالة ماجستير بعنوان " الحمامات الجزائرية ....." لـ : موساوي عربية سليمة ، التي أفادتني في الدراسة الوصفية للحمام موضوع الدراسة.

إلى جانب هذا اعتمدت بعض المقالات التي تناولت الجانب التاريخي للمدينة .

الفصل الأول :

- الإطار الجغرافي (الموقع - التضاريس - المناخ).

- الإطار التاريخي (أصل التسمية) .

- المراحل التاريخية للمدينة و دورها الحضاري .

- لمحة تاريخية عن الدولة المرابطية .

الإطـار الجغرافي :[1]

تعد مدينة ندرومة من بين مدن الغرب الجزائري ، و هي مدينة صغيرة تقع بين خطي طول 190°-200° وخطي عرض 50°- 40° وبينها و بين تلمسان العاصمة مسافة 50كلم، وهي تبعد عن الحدود المغربية الجزائرية حوالي 45كلم وتبعد عن عاصمة الغرب الجزائري وهران بحوالي 160كلم .(أنظـر الخـريطة رقم: 01) .

وترتفع مدينة ندرومة عن مستوى سطح البحر بحوالي 360م، ذلك لأ ا تجثم في سفح مرتفع فلاوسن وهو جبل من المدينة ينحدر ارتفاعه بحوالي 1136م.ونظرا لموقع المدينة الإستراتيجي و القريب من البحر فقد شكلت على مر الأيام و تعاقبها طريقا رابطا بين الشرق و الغرب ، حيث

1- أنظر عن ذلك:- Grand Guillaume,G. **Nedroma L'evolution D'Une Medina**,Leiden Brill, 1976, p 75.

-.Bos Worth .C.E, Evan. D , Et D'Autres. **(Nedroma)** In Encyclopédie De L'Islam, t7, Paris E.,1993,p875-876.

أن الطريق الجنوبي المؤدي إلى الغرب يصلها بمدينة الغزوات عن طريق هضبة وادي التلاتة (Teleta) و يعتبر مرسى الغزوات و شاطىء سيدنا يوشع كما يسمى ، حديها الشماليين حيث تبعد عنهما ب 18 كلم . و بين مدينة ندرومة و مرسى هنين مسافة قصيرة تقدر بحوالي 13ميلا، حيث يشكل هذا المرسى أهمية كبيرة بالنسبة لتلمسان و ندرومة معا ، و قد كانت جبال تاجرا الممتدة بين مرسى هنين و مدينة ندرومة مستقرا لقبيلة كومية و لا شك في أن مدينة ندرومة استفادت تجاريا و اقتصاديا من هذا المرسى وهي بذلك تقع بالجهة المقابلة للبحر الأبيض المتوسط ، حيث تبعد عنه بحوالي 17كم مما أكسبها مناخ متوسطي.

و بما أن المدينة تقع فوق هضبة وفي منطقة جبلية ، فهي تتكون من ثلاث سلاسل موازية للبحر ذات أشكال مخروطية تشترك في الحدود عند الساحـ ـل

و هي تشكل امتدادا طبيعيا لجبال منطقة ترارا ، كما تعتر ندرومة قلب هذه المنطقة حيث يحدها شرقا و جنوبا وادي التافنة ، و غربا وادي كيس الذي يفصلها عن المغرب ، و قد اتخذت كل قبيلة مكانا محددا في جبالها على شكل قرى اختيرت بطريقة تمكن الدفاع عنها ، و ذلك من خلال منحدرات وعرة يصعب الولوج إليها أو الوصول إلى مضار ا ، حيث تبدوا كل قرية أو مركز كما لو كان حصنا أو قلعة[2] بالإضافة إلى أن موقعها الطبيعي و وفرة المياه ا ساعد على التمركز الإنساني فيها مما سهل وجود **ثروة فلاحية** لا بأس ا ، فبالرغم من أن منطقة ترارا[*] و ندرومة منطقتين جبليتين فإ ما كانتا تشرفان في أسافلهما على جيوب فلاحية في هيئة وديان صغيرة إضافة إلى سهول واسعة تزرع فيها الحبوب و يتخذ منها مراعي للماشية ، و قد كانت قبيلة بني منير تحتل أسافل مدينة ندرومة و منحدرات وادي التلاتة ، و أما قبيلة بني مسهل فكانت تختص بوادي تافنة و القرى المتجمعة حول جبال فلوسن ، حيث كانت ا بساتين كثيرة نتيجة لوفرة المياه [3]

و قد مثلت هذه السهول و البساتين و الجيوب الفلاحية بالنسبة لسكان ندرومة و ضواحيها تربة خصبة و أراضي زراعية هامة ، و ذلك ما عبـ ـر عنـ ـه

-1 Canal,J.**Monographie De Tlemcen (Bulletin De La Société D'Archiologie D' Oron)** , 1888,P 83.

-* ترارا: لفظ ظهر لأول مرة في القرن 10هـ/16م ، أنظر : Basset,R.**Nedroma Et Les Traras**, Paris 1901,p 65.

-2 Canal,J. Op-Cit, P84.

البكري في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي أنه " ... بغربي المدينـة و شماليها بسايـط طيبـة و مزارع و واديها وادي ماسيـن كثيـر الفواكـه و الثمار ..."[4]، و فضلا عما ذكره البكري فإن الإدريسي في القرن السادس الهجري ، الثاني عشر ميلادي في وصفه للمدينة يقول أن " ... موضعها في سند و لها مزارع كثيرة و لها واد يجري في شرقيها عليه بساتين و جنات ...و سقي كثير ..."[5] ، فهو يؤكد أن هذه البساتين و تلك البسايط و الجيوب الفلاحية كانت تدر غلات وفيرة على المدينة و المنطقة مما جعلها تحتل مكانة مرموقة بين جارا ا من المدن ، و تحتل الصدارة كمركز حضاري إقليمي يتنافس عليها الحكام ، و تحاول حواضر المغرب أن تلحقـها ا و خاصـة بعد سقوط الموحدين [6] .

أما الحسن الوزان فيذكر أن بادية ندرومة منتجة إلى أقصى حد ، فحول المدينة بساتين كثيرة و أراضي مغروسة بأشجار مثمرة أهمها شجر الخروب ، إلى جانب هذا فقد توفرت المنطقة على ثروة مائية مكنت السكان من استخدامها في سقي أراضيهم و بساتينهم[7] ، و من خلال معاينتنا للمنطقة تبين لنا أن مكان الواد لا يزال ظاهرا مما يؤكد كلام المؤرخين .

الإطار التاريخي :

- أصل التسمية : لقد تباينت أقوال و آراء المؤرخين و الرحالة حول أصل تسمية مدينة ندرومة و إشتقاقها. فيرجع الحسن الوازن أصل تسميتها إلى الفترة الرومانية و أن الرومان أسسوها قديما عندما بسطوا سيطر م ،أثناء فترة حكمهم في المنطقة حيث إختاروا لها موقعا ذو بقعة واسعة في سهل بعيد بنحو ميلين من الجبل، و إثني عشر ميلا عن البحر المتوسط، ويقول مؤرخنا أن الرومان اختاروا لها نفس الموقع مع نفس التصميم لمدينة روما و أن اسمها مشتق من كلمة (ند) في لغة الأفارقة التي لها نفس المدلول في كلمة سيميليس (Similis) اللاتينية (مثيل)[8] .

1- البكري ، **المغرب في ذكر إفريقيه و المغرب من كتاب المسالك و الممالك** ، نشره دي سالان ، الجزائر ، 1911، ص 80.

2-الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، نشره هنري بيراس ، مطبعة الحكومة ، الجزائر،1957،ص 11-12.

3- عبد العزيز لعرج، **التطور التاريخي لمدينة ندرومة حتى سقوط الدولة الزيانية** ،مجلة بحوث العدد:6، جامعة الجزائر،200، ص 167.

4- الحسن الوزان ، **وصف إفريقيا** تر: محمد حجي و محمد الأخضر ط $_1$ ،ج1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983 ، ص 14. و انظر :

- مارمول كربخال ، **إفريقيا** ، تر: محمد حجي و محمد زنيبر و آخرين ، ج$_2$ دار المعرفة ، الرباط ، 1989 ، ص295

[1] - الحسن الوزان ،**المصدر السابق**، ص 13. و انظر:

و يبقى المشكل القائم حول هذا القول أنه ليس لدينا أي سند أو شاهد تاريخي أو مادي لهذا الإشتقاق ، لأن مدينة ندرومة كانت بعيدة كل البعد عن روما و حضار ا عكس ما قيل عن بوماريا (تلمسان) و غيرها من المدن ا اورة لندرومة[9] ، فضلا عن أنه لم يعثر في المدينة عن آثار رومانية .

وذهب البعض الآخر إلى أن مدينة ندرومة مشتقة من عبارة نظروا إلى الماء أو أنظروا إلى الماء بصيغة الأمر و هي العبارة التي نطق ا الفرسان العرب عند رؤيتهم للماء تعجبا من كثرته و غزارته كما قيل أ ا آتية من تعريب كلمة بربرية ألا و هي (تندورمات) أو من قلب هائها نونا لسوء النطق بالكلمة hound هندرومة[10] .

و نظن أن مدينة ندرومة ذكرت سنة 278هـ/892م على لسان الجغرافي والمؤرخ اليعقوبي ، بلفظ فلوسن و هو الجبل الذي توجد به المدينة حيث يقول:"....فأبعد من مدينة العلويين أي بصرى [ولاية تلمسان] توجد نمالطة"Numalta" أي لالة مغنية،حيث كان محمد بن علي بن سليمان يتولى الحكم فيها ،واما البلدة الأخيرة التابعة لأمارة بني محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن ،فتسمى بفلوسن*..." وهي مدينة كبيرة يتألف سكا ا من مجموعة من قبائل بربرية من مطمطة وتاجرة و جزولة وصنهاجة وانجفة وأنجيزة...."[11] .ومن خلال كلام اليعقوبي يتضح لنا أن المدينة اتخذت اسم فلوسن في البداية ،وذلك لقر ا من جبل فلوسن المعروف في المنطقة .و الذي يظهر من قوله أن المدينة كانت تحت حكم إمارة بني محمد بن سليمان الموالية للأدارسة و هذا الذي يشير إليه بن خلدون[12].

و أما البكري فيذكر المدينة باسمها المعروف و ذلك في القرن 11م قائلا: " ... و مدينة ندرومة هي في طرف جبل تاجرا و غربيها و شماليها بسايط طيبة و مزارع و بينها و بين البحر

- مارمول كربخال ،مصدر سابق، ص295.

9 - الطاهر زرهوني **(ندرومة بين الماضي و الحاضر)**، مجلة الثقافة ، العدد: 99 ، الجزائر 1987، ص 142.

10- نفسه ، ص 143.

*- **فلوسن**: جبل مجاور لمدينة ندرومة وهي تقع على جزء منه، ويرتفع عن البحربحوالي 1136متر، أنظر في ذلك:.
De Mon.Prix,C.Six Mois Chez Les Traras **Tour** De Monde, 1889,P380 ,

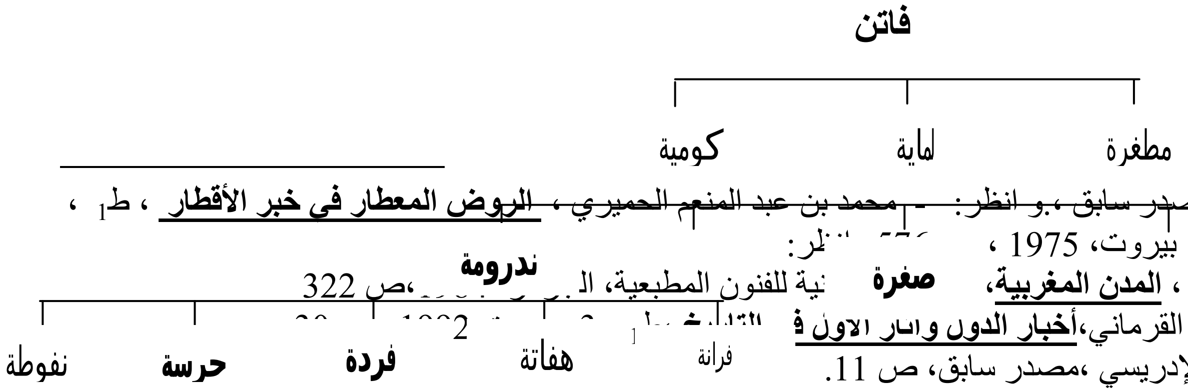
1- اليعقوبي ، **كتاب البلدان** .ط1،دارإحياء التراث العربي ، بيروت ، 1988 ،ص112
- ابن رسته ، **كتاب الأعلاق النفيسة** ، ج7 ، مطبعة بريل ، 1967، ص 359.

2- عبد الرحمان بن خلدون ، **العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، ط1، ج7، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، 1413هـ/1992م، ص 90.

عشرة أميال و ساحلها وادي ماسين و هو نهر كثير الثمار و له مرسى مأمون و عليه حصنان و رباط ... و مدينة ندرومة مسورة جليلة و لها نهر و بساتين فيها من جميع الثمار..."[13] ، و يتفق نص البكري مع نص اليعقوبي في ذكر تاجرا فالبكري يذكرها كقبيلة ، أما اليعقوبي فيذكرها كمنطقة، ثم إن المؤرخين يذكرون المدينة باسمين مختلفين فالأول يذكرها بفلوسن و الثاني يذكرها باسمها ندرومة مما يوحي للباحث أنه بمرور الزمن تغير اسم المدينة ليتخذ اسم ندرومة، ليصبح فيما بعد الاسم المعروف، ولا نعلم متى اتخذت المدينة هذا الاسم بالتحديد لأنه لم يرد ذكرها عند المؤرخين قبل القرن 11م.

ثم يذكرها لنا المؤرخ و الجغرافي المعروف بالشريف الإدريسي في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق "حيث يقول " ......وندرومة مدينة كبيرة عامرة آهلة ذات سوق وسور موضعها في سند و لها مزارع كثيرة ولها واد يجري في شرقيها وعليه ، بساتين و جنات وعمارة و سقي كثير[14].

ويذكر إبن خلدون أن قبيلة كومية المعروفين قديما بصطفورة أخوة لماية و مطغرة، وهم من ولد فاتن كما قدمناه يقول ولهم ثلاث بطون منها تفرعت شعوبهم و قبائلهم وهي ندرومة و صغارة و بنو يلول،فمن ندرومة نغوطة و حرسةوفردة وفراتة[15] ، حيث يرجع إبن خلدون أصل مدينة ندرومة إلى قبيلة كوميه،فهي بطن من بطون قبائلها.لكن الذي يتبادر إلى أذهاننا هو عدم ذكر المدينة بهذا الاسم من قبل المؤرخين العرب قبل ق 11م مما يعني أن المدينة اتخذت اسم ندرومة في فترة مجهولة ،حيث عوض باسم آخر نجهل أحداث هذا التغير وهذا ما أشار إليه باسي[16] ،وكانال على حد سواء و يضع لنا هذا المخطط عن قبيلة كوميه التي انحدرت منها المدينة .



13- البكري ،مصدر سابق ،و انظر: - محمد بن عبد المنعم الحميري ، **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، ط1 ، مطابع هيد لبرخ ، بيروت، 1975 ، [illegible] انظر:
-إسماعيل العربي ، **المدن المغربية**، [illegible]نية للفنون المطبعية، [illegible] ،ص 322
- أحمد بن يوسف القرماني،**أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، [illegible] 1992 [illegible]
14- الشريف الإدريسي ،مصدر سابق، ص 11.
15- عبد الرحمان بن خلدون ، مصدر سابق،ج12 ،ص257.
16- BASSET,R.Op-Cit ,P31.
-. Canal,J. Op-Cit , p 50,51.

يلول

أهمية ندرومة كمركز حضاري بالنسبة لتلمسان:

تحتل مدينة ندرومة بموقعها أهمية حضارية متميزة بالنسبة لعاصمة المغرب الأوسط تلمسان و ذلك لتموقعها على الطريق التجاري الكبير الرابط بين هذه الأخيرة و مدينة وجدة و الممتد منها إلى رباط تازا فمدينة فاس ، كما تعد ندرومة إحدى المدن الهامة و الرئيسية لمملكة تلمسان الزيانية (633هـ-954هـ/1234م-1544م) في المغرب الأوسط [17] . و على أي حال فإن وصف المدينة كما ورد في النصوص التاريخية فإنه لا يتحدث عن مدينة حديثة بقدر ما يتحدث عن مدينة ذات أهمية كبيرة من الناحية الإقتصادية و العمرانية ، فهذه النصوص تتحدث عن موقع المدينة و حدودها و ما اشتملت عليه من سهول زراعية و بساتين مثمرة ، و أهم ما تذكره أيضا هو إحاطة المدينة بسور [18] ، و السور هو أحد المعايير الحضارية التي تميزت ا المدن الإسلامية باعتباره وسيلة من وسائل حفظ النفس و المال و العرض و الدفاع عن المصالح العامة للمدينة و أهلها ، و هذه من بين المقاصد الكبرى التي اعتنى ا الإسلام [19] .

و تظهر أهمية المدينة أيضا من خلال ما يذكره البكري في موضع آخر من نصه في قوله "... و ساحلها وادي ماسين و له مرسى مأمون و عليه حصنان و رباط حسن مقصود يتبرك به ..." [20] فوجود مثل هذه المنشآت في المدينة يدل على أهمية و حيوية المنطقة ، و لعل ذكر البكري للرباط ذه الصيغة إنما يدل على أن هذا الأخير لم يعد موجها للحراسة و الدفاع عن المنطقة [21]

1- Canal,J.Op-Cit,P79.

2- البكري، مصدر سابق ، ص 80. و انظر :

- عبد العزيز لعرج،مرجع سابق ،ص 168-169.

3- محمد عبد الستار عثمان، **المدينة الإسلامية**، ط1، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 1999،ص135

1- البكري، مصدر سابق، ص80.

2- مصطفى زبيس ، **بين الآثار الإسلامية في تونس**،دار الثقافة، تونس ،1963، ص08. و انظر: - عبد العزيز لعرج ، مرجع سابق،ص169.

3- البكري، مصدر سابق، ص 80.

، بل أصبح مكانا يتبرك به أهل المدينة و الرحالة ، و من ثم فقد الوظيفة العسكرية التي أنشأ من أجلها ، فالرباط يبنى عادة للمراقبة و حماية المنطقة و المدينة من أي هجوم مباغت ، و يبدو أن رباط تاونت أو الغزوات بني كلاهما من أجل ذلك ، لكننا نجهل تاريخ إنشائهما و اسم من أنشأهما كما أننا لا نعرف شكل كل منهما و مخططهما المعماري .

و رغم أهمية المدينة فإن البكري لم يشر إلى أي مسجد أو جامع للمدينة ، و سكوته عن هذا لا يعني أن المدينة كانت مجرد تحصين فقط، بل على العكس فإن ذكره للرباط دل على ذلك بصفة غير مباشرة ، أي أن الوازع الديني نستشفه من خلال قوله "... إن سرق أحدهم فيه أو أتى بفاحشة لم تتأخر عقوبته..." [22] و هذا ما يجعلنا نعتقد أنه كان للمدينة مسجد يستلهم منه سكا ا مثل هذه المعتقدات إذ لا يعقل أن تكون مدينة ذه الأهمية لتخلو منه .

و البكري نفسه يشير في معرض حديثه عن مدينة ترنانا القريبة من ندرومة و التي تبعد عنها بحوالي ثمانية أميال أ ا "... كانت مسورة و لها سوق و مسجد جامع و بساتين كثيرة ..." [23]، و مدينة ترنانا و ندرومة متشا ان من حيث إحاطتهما بسور و الذي يعتبر من المعايير الهامة للمدينة، إذ لا بد من أن يكون لهذه المدينة مسجد ، و ذلك لكو ا مصرا أو مركزا حضاريا .

أما الإدريسي بعد قرن من الزمن بعد البكري يقول عن مدينة ندرومة أ ا: "... مدينة كبيرة عامرة آهلة ذات سور و سوق و موضعها في سند و ا مزارع كثيرة و ا وادي يجري في شرقيها و عليه بساتين و جنات و عمارة و سقي كثير ..." [24] ، و هو ما يؤكد كلام البكري أن المدينة محاطة بسور و ما كانت تتميز به من سهول و بساتين ، ويضاف إلى كل ذلك عناصر جديدة أهمها السوق و الجنان و السقي الكثير و العمائر مما يدل على مدى التغيير الذي طرأ على المدينة مما انعكس على نسيجها العمراني، لكن الإدريسي نفسه لا يشير إلى وجود المسجد بالمدينة ،و الظاهر أن تطور المدينة عمرانيا يؤكد وجود مسجد جامع و مساجد أخرى و هو الذي احتوت عليه المدن في المغرب الأوسط أنذاك .

أهم المراحل التاريخية لمدينة ندرومة :

1- البكري ، مصدر سابق ، ص

2- الإدريسي ، مصدر سابق، ص 11.

لا شك في أن الأحداث التاريخية و الصراعات السياسية التي عاشتها مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط انعكست بصفة مباشرة على المدن الصغيرة ا اورة لها، و التي من بينها مدينة ندرومة التي لعبت أدوارا هامة في هذه الفترات الحالكة، حيث أ ا أصبحت تابعة في عصر الولاة للقيروان الذين حكموا باسم الأمويين قبل سنة 132 هـ ، ثم باسم العباسيين بعدها[25].

لينتقل الحكم في هذه المنطقة للقبيلة التي عرفت باسم بني يفرن الزناتية و فيما بعد تقبلت هذه الأخيرة و قبائل المنطقة من مغراوة و كومية و غيرها سلطة الأدارسة ، و التي ما فتئت أن سلمتها بدون قتال لإدريس بن عبد الله صاحب المغرب الأقصى[26]، لتبقى بذلك مدينة ندرومة تحت هذه السيطرة إلى أن حل

الحكم الفاطمي سنة 296 هـ/909م، بعد قضائه على الدولة الأغلبية في إفريقية و الدولة الرستمية في تيهرت[27].

لكن الأهالي رفضوا هذا الأخير و قاموا ضده بالمبايعة لعبد الرحمان الناصر صاحب الأندلس و ذلك بسبب الصراع القائم بين الفاطميين و أمويي الأندلس فقد حاول الفاطميون العديد من المرات مد جذور دعو م و توسيع نطاق نفوذهم إلى الأندلس و قد تم لهم ذلك لبعض الوقت لكن هذا الأمر ما كان يريح الأمويين أنفسهم[28].

و لم يستقم الأمر للفاطميين و لا للأمويين في تلمسان و ما جاورها عن طريق قبيلتي بني يفرن و مغراوة ، ليتم بعد ذلك ضم تلمسان إلى المملكة العبيدية سنة 347 هـ ، / 958 م ، ثم يتم بعدها التدخل الزيري في المنطقة فاسحا ا ال لأصحاب مدينة أشير فتم ضم باقي مدن المغرب الأوسط حتى أصبح نفوذهم أوسع مما كان عليه و تم حكم المنطقة باسم الفاطميين[29]، و استولى

---

[25]- محمد رمضان شاوش ، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان** ، الجزائر 1985 ، ص 53.

[26]- ابن أبي زرع ، **الأنيس المطرب** ، فاس، 1934 ،ص 08. و انظر:

- السلاوي **الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** ، ج1 ، الدار البيضاء ، 1954 ، ص 143.

- BASSET ,R.Op-Cit, p 31

2- ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج6، دار الكتاب العربي ، بيروت-لبنان ، 1980م،ص132-133.

3-عبد العزيز سالم ، **المغرب الكبير،(العصر الإسلامي)**،ج2 ، دار النهضة بيروت ، 1981 ص 609.

[29]- محمد رمضان شاوش ، مرجع سابق ، ص59.

الأمير يوسف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي سنة 363هـ / 937 م على منطقة تلمسان و خر ا و شرد أهلها[30].

لكن وطأة الحماديين* و قو م استطاعت أن تفتك المدينة و السيطرة عليها سنة 454هـ ، 1063 م ، ليمتد زحف الهلاليين و قبائل المعقل في أواسط القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي ، نحو مدن المغرب الأوسط و عاثوا في أرضه فسادا [31]، ليظهر نجم المرابطين على واقع الأحداث السياسية في اية الربع الثالث من القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر ميلادي ، حيث سيطروا على أرجاء مدينة تلمسان سنة 472هـ، / 1079م ، و سيطروا على باقي المدينة بقيادة القائد المرابطي مزدلي اللمتوني على رأس جيش من 20 ألف من المرابطين الملثمين[32]، و قد أقام يوسف بن تاشفين مدينة جديدة أسماها مدينة تاقرارت و أحاطها بسور واحد وأصبحت مركزا رسميا للسلطة المرابطية ، و من هنا يمكن لنا الإستنتاج أنه بمسير يوسف بن تاشفين من المغرب إلى تلمسان يكون قد أمر باتخاذ الأسوار كتحصينات ا ة العدو خاصة و أن العهد المرابطي عرف صراعات ، أهمها محنة غزو المنصور الحمادي سنة 496 هـ/1103 م ، لذلك نحن نعتقد أنه في خضم هذه الفترة قد تكون مدينة ندرومة اتخذت لها أسوارا ا ة أي عدوان مرتقب، فقد شيد المرابطون العديد من المعالم بقيت شاهدة على تواجدهم في تلك الحقبة، منها الجامع الكبير بتلمسان و أيضا الجامع الكبير بندرومة[33] ، و لا شك أن دخول تلمسان تحت حكم المرابطين سبقه دخول ندرومة و نواحيها و المناطق الممتدة حولها في حكمهم ، و يبدو أن يوسف ابن تاشفين وجد مناصرين له في ندرومة كما وجد المدينة على درجة من الأهمية جعلته يوليها عناية ببناء جامع لها تحت إشراف قاضيه على سبتة أبو محمد عبد الله بن سعيد و هو الإسم الذي تذكره كتابة بالخط

---

[30]- عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سابق ،ج7 ، ص 157 – 158. و انظر :

- ابن أبي زرع، مصدر سابق ،ص 56- 57 .

*- عن سقوط الحماديين أنظر :- عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، 1998 ، ص145 - عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سابق،ج6،ص316 .

[31]- محمد عمرو الطمار ، **تلمسان عبر العصور،** الجزائر، 1984 ، ص 32.

[32]- الملثمين : عرفوا بذلك لاتخاذهم لثاما داكن اللون و عرفوا باللمتونيين نسبة لقبيلة لمتونة التي تمثل حاليا أراضي الصحراء الغربية و موريتانيا الإسلامية ـ انظر في ذلك :

- حسن أحمد محمود،**قيام دولة المرابطين** ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،1957، ص 102

[33]- محمد رمضان شاوش ، مرجع سابق ، ص 66.

الكوفي محفورة في لوحة عبارة عن مسند الإمام في منبر الجامع و هي محفوظة حاليا في المتحف الوطني الآثار القديمة و الفنون الإسلامية بالجزائر[34].

وبعد سقوط الدولة المرابطية استطاع عبد المؤمن بن علي سنة 540هـ/ 1145م ، أن يولي أبناءه على الحكم و ذلك بعد الإنتصار الذي حققه الجيش الموحدي على المرابطين، فولى ابنه أبو حفص على تلمسان سنة 549هـ/1155م ثم استدعاه إلى مراكش و عين أخاه أبو عمران موسى إلى غاية سنة 564هـ/1168م[35]، و مهما يكن فإن هذه الأحداث و إن كانت تخص مدينة تلمسان إلا أنه و من خلال تمحيص النصوص التاريخية و مقارنتها ، فإنه يتبين لنا أن مدينة ندرومة كانت تشكل همزة وصل و أرض أحداث تأثرت ا ذهابا و إيابا بين المغرب الأقصى و المغرب الأوسط .

و قد شهد المغرب الإسلامي في هذه الفترة بالذات أي ق 7هـ/13م ميلاد ثلاث دويلات ، و هم الحفصيون في تونس و المرينيون في المغرب الأقصى و الزيانيون في المغرب الأوسط ، و قد كان هذا الانقسام نتيجة حتمية لما تعيشه المنطقة أنذاك من أوضاع سياسية و عسكرية متتالية[36]، و استقل بنو عبد الواد بمنطقة تلمسان و ضواحيها سنة633هـ/1235م[37] ، و قد كان الصراع على أشده بين الزيانيين و المرينيين و عليه فقد تعرضت مدينة ندرومة للكثير من الإضطرابات و المضايقات مما جعلها تدخل تارة تحت حكم بني زيان في عهد يغمراسن، و تارة تحت سيطرة بني مرين[38]، الذين ضيقوا عليها عدة مرات ، حيث طوقوا عليها حصارا دام أكثر من 40يوما دون جدوى سنة 695هـ /1295م ، ثم خاضوا معركة حاسمة أخضعوا ا المدينة سنة 698هـ ، و ألحقـوا ـا أضرارا و أذى
و ملكوها في نفس السنة باسم الأمير أبي يعقوب يوسف[39].

---

[1]- عبد العزيز سالم، مرجع سابق ، ج2 ، ص704-705 .
- عبد العزيز لعرج ، التطور التاريخي لمدينة ندرومة ...، مرجع سابق ، 175 .
[35]- عبد الرحمان بن خلدون ، مصدر سابق ، ج6 ،ص 507- 508.
[36]- عبد الرحمان الجيلالي ، **تاريخ الجزائر ا لعام**، ج2، بيروت ،1980 ،ص 141.
4- نفسه ، ص 141 .
[38]- يحيى بن خلدون ، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** ، تح: عبد الحميد حاجيات، إصدارات المكتبة الوطنية ، الجزائر، 1980، ص209. و انظر:
-ابن الأحمر ، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، ط2 ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد الجزائر،2001 ،ص41.
[39]- السلاوي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 39. و انظر:
– ابن الأحمر ، مصدر سابق ، ص41 – 66

- Basset,R. Op- Cit,P11 . -

و من خلال ما سبق ذكره عن حصار مدينة ندرومة يتبين لنا أ ا قد فقدت الكثير من معالمها الأثرية لاسيما الأسوار و التحصينات بمعانيها فقد ذكر هذا النص التاريخي أ ا تعرضت لضرر كبير مما يعني ان التحصينات المرابطية للمدينة تكون قد فقدت الكثير من أجزائها أثناء الحصار .

ثم قام بنو مرين بغزو و حصار جديد في اية 735هـ/1335م للمدينة و ملكوها من قبل السلطان المريني أبي الحسن الذي جاء مشرقا إلى تلمسان فاستولى على ندرومة و هنين، و استولى على تلمسان و قتل ملكها أبا تاشفين الأول ابن أبي حمو سنة 737هـ / 1337م ، فاندثرت الدولة الزيانية و شرد الجيش الزياني الذي كانت ندرومة تحت حمايته و عين عليها أبو زيد أمير قسنطينة الحفصي و حفيد السلطان يحيى أبي بكر واليا عليها سنة 747هـ/1346م – 1347م مكافئة على بيعته لأبي الحسن المريني و دخوله في طاعته فأمر تقسيم جباية ندرومة عليهم[40].

و لقد وقعت بعد ذلك اضطرابات في أوساط بني مرين استغل من خلالها كل من الأمير أبو ثابت وأخوه أبو سعيد هذه الظروف ليفتكا من أيدي عمال بني مرين كل من المدن (هنين – تلمسان - ندرومة) التي اختارها أخوهم الكبير أبو يعقوب لتكون مقر سكناه لينقطع عن الحياة الدنيا متفرغا للعبادة فيها[41].

و كان انعزاله فيها تعبيرا منه لإخوته عن خلو ذهنه عن أي طموح سياسي أو رغبة في الحكم خصوصا و الصراع على أشده بين دويلات المغرب و قبائله و بين أمراء عائلة الدولة الواحدة و هو ما دفع الأخوان أبو سعيد و أبو ثابت إلى النهوض لإعادة إحياء الدولة الزيانية دون تخوف من أخيهما الأكبر أبي يعقوب والد أبي حمو المنعزل في ندرومة [42] و في الوقت الذي كان فيه أبو

---

[1]- يحيى ابن خلدون ، مصدر سابق ،ص 219 . و انظر:
- السلاوي ، مصدر سابق ، ج2، ص 40 .
- التنسي ، **تاريخ بني زيان** ، تح: أبو عياد ، الجزائر ، 1985 ، ص 146.
- ابن مرزوق التلمساني ، **المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن** تح: ماريا خيسوس بيقيرا، الجزائر ، 1981،ص 329.
- يحيى بو عزيز ، **تلمسان عاصمة المغرب الأوسط**، منشورات وزارة الثقافة ،الجزائر ، 1985، ص39 .

[41] - ابن الأحمر، مصدر سابق، ص 32.

3 – يحي بن خلدون، مصدر سابق ، ص236-237. و انظر:
- السلاوي ، مصدر سابق ، ج3 ،ص 171-172.

4- عبد الرحمن بن خلدون ، مصدر سابق ، ج7 ، ص244.

حمو و عائلته مستقرين في ندرومة تحت الحكم المريني اتجهت أنظار سكان المدينة إلى بناء مئذنة الجامع الكبير ، و لا شك أن أبا محمد و والده ساهما في ذلك ، فالنص التأسيسي للمئذنة يشير إلى أ ا بنيت على يد أهل المدينة[43] .

و قد بقيت ندرومة تحت حكم بني مرين و تابعة لدولتهم في عهد أبي عنان فارس، ذلك أنه ما إن أعاد أبو حمو موسى الثاني إحياء الدولة الزيانية للمرة الثانية عام 759هـ/1360م حتى بادرت ندرومة مع من بادر من مدن أخرى كوجدة و هنين إلى مبايعة أبي حمو و أرسلت إليه الوفود [44] و هو بتلمسان ، و قد التزم أهل ندرومة صف أبي حمو في صراعه الطويل مع بني مرين[45] من جهة و مع أمراء البيت الزياني كمحمد بن عثمان بن أبي تاشفين الملقب بالقبي ، و بعده ولده ابو تاشفين الذي ولد في ندرومة من جهة أخرى، و قد ألب بنو مرين البيت الزياني على أبي حمو و أثاروا التنافس بين أمرائه و خاصة على يد السلطان أبي سالم و السلطانين عبد العزيز و أبي العباس ، و قام بعض هؤلاء السلاطين المرينيين فضلا عن ذلك بغزو تلمسان و احتلالها لمدة قصيرة ، حيث كان أبو حمو يضطر إلى ترك عاصمته عند مقدمهم ، و يغير على الجهات الشرقية من بلادهم قاطعا عليهم بذلك خطوط المواصلات و الإمدادات بينهم و بين فاس عاصمتهم، ملحقا م أضرارا كبيرة في تلك المناطق ليعودوا بعد ذلك إلى بلادهم تاركين تلمسان فيسترجعها أبو حمو .

و قد دارت رحى هذه الصراعات في الجهات الشرقية و الجنوبية الشرقية من تلمسان حتى مقتل أبي حمو سنة 791هـ/1388م ، أما المناطق الغربية من تلمسان و مد ا و علاقتها بتلك الصراعات فإننا نجد النصوص التاريخية لا تذكر ذلك، حيث يعتقد أ ا انطوت على نفسها تحت زعامات محلية كبني عبيد ما جعل المعلومات التاريخية الخاصة بمدينة ندرومة و مناطقها قليلة لا

1- عبد الحميد حاجيات ،(**<u>السلطان أبو حمو موسى الثاني سياسته و أدبه</u>**) ، مجلة تاريخ و حضارة المغرب ، العدد 08، 1970م ، ص08 .

2- عن الصراع المريني الزياني أنظر: عبد العزيز لعرج ، **<u>المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية</u>** ، "**<u>دراسة أثرية معمارية و فنية</u>** " ، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر،1999م ، ص08-90 .

سيما أثناء الفترة الممتدة بين وفاة أبي حمو الثاني و سقوط الدولة الزيانية سنة 962هـ/1554م على يد الأتراك العثمانيين [46] .

ليظهر بعد ذلك على مسرح الأحداث كل من الأتراك و الإسبان[47] فاختلفت أيديهم على هذه المنطقة كل يجذ ا إليه ، حيث كثرت تجاوزات الأتراك في المنطقة إلى أن سيطروا عليها و قبائل أطرارة و غيرها في عهد عمر آغا ، و قد كان لمدينة ندرومة الدور الفعال في مقاومة الغارات المغربية و صدها و ذلك باستيلاء الجيش التركي على وجدة[48].

و يتبين لنا من خلال ما سبق ذكره أن مدينة ندرومة لم تعرف السكينة و لا الهدوء ، بل كانت دائما منطقة نزاع و صراع بين المتناحرين حولها و الراغبين في احتلالها و الإستيلاء على منطقتها الحدودية ، إلى أن أصبحت مقر عمالة مطغرة التي ضمت في عهد الأتراك قبائل شتى منها الطرارة و السواحلية، حتى ظهر الإستعمار الفرنسي الذي أعاد الكرة و أدار رحى المعارك في المنطقة.

لمحة تاريخية عن الدولة المرابطية : ق 5هـ / 11م (أنظر الخريطة رقم 02)

لقد عاش العالم الإسلامي حالة تفكك و ضعف إثر تكاثف ضربات المغول عليه و حملات التتار أيضا مما انعكس سلبا على الحكم العربي في الشرق ، و في الغرب كان الحكم الإسلامي يتقلص بسبب الحملات الصليبية و حروب الإسترداد في الأندلس ، و بالتالي فإن هذا الجو كان سببا مباشرا في انقسام الجناح الغربي إلى دول صغرى و تعددت مراكز الحكم فيها كما أن الأخطار الخارجية زادت في الحماس الديني فظهر على شكل مساجد و أربطة و مدارس و أكثر من ذلك الإهتمام با ال الدفاعي الذي من أساليبه التحصينات العسكرية لتهمل بذلك مجالات الفن و الزخرفة[49].

1- أنظر عن هذا : عبد الحميد حاجيات ،**<u>أبو حمو موسى الزياني ،حياته و آثاره</u>** ، ش.و.ن.ت.، الجزائر ، 1974م ،ص 14 .

[47]- عن هذه الأحداث أنظر

- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا، 1492-1792م ، و ثائق و دراسات ، ش.و.ن.ت، دار البعث ، قسنطينة – الجزائر ، ص 186-196 .

[48]- الطاهر زرهوني ، مرجع سابق ، ص 162.

[49]- أنور الرفاعي ، **<u>تاريخ الفن عند العرب و المسلمين</u>**، ط2 ، دار الفكر ،1977،ص 09-10.

و قد شهد الغرب الإسلامي في أوائل القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي سقوط الدولة الأموية بالأندلس و قيام دويلات الطوائف التي حلت مكا ا كبنو هود و بنو الأحمر و بنو صمادح و بنو الأفطس و بنو عباد الذين استنجدوا بدولة الملثمين ، هذه الدولة التي تنتمي إلى إحدى بطون البرانس و هم من صنهاجة الجنوب[50] ، كما نسبوا أيضا إلى عرب حمير في اليمن أي ليسوا من البربر[51].

و قد ذكر ذلك أيضا صاحب كتاب الحلل[52]، غير أن حقيقة انتمائهم إلى البربر هي الأقرب إلى الصواب ، و ذلك راجع للمنطقة التي عاشوا فيها و الدولة التي أسسوها. فالمنطقة صنهاجية بربرية و الدولة أيضا بربرية رغم أن لغتها كانت عربية حيث عرف الصنهاجيون أهل اللثام في المائة الثالثة للهجرة .

و لقد عرف المرابطون عدة انتصارات على جيرا م من السودان ، ثم تفرق شملهم و تشتت إلى عدة بطون بلغ عددها حــوالي 70 بطنا[53].

أقواها جـــزولة لمطة ، جدالة ، مسوفة ، هسكورة ، لمتونة [54].و لقد كانت تجمع هذه القبائل صفات مشتركة و تفرقهم السلطة و السيادة التي كانت العامل الوحيد الذي فرق هذه القبائل ، و أما ما يجمعهم فهو الإسلام من جهة و اللثام من جهة أخرى[55]، الذي كان الميزة المعروفة بينهم الذي يميزهم عن باقي المناطق الأخرى منها صنهاجة الشمال ، و في أثناء القرن الخامس الهجري و الحادي عشر ميلادي كثرت الانحرافات و غزوات بني هلال قامت القبائل الصنهاجية بلم شملها و التشبع بنور الإسلام الذي جعلها رائدة في أرض الصحراء باسم الجهاد ، داعية للحق و رد المظالـــم و ذلك بالتمسك بالكتاب و السنة ، هذه القبائل الملثمة التي ستكون الدولة المرابطية فيما

---

[50]- عبد الرحمان بن خلدون ،مصدر سابق ، ج6،ص 214.

[51]- القلقشندي ، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب** ، تح: إبراهيم الأبياري، ط2، الشركة العربية للطبع ،القاهرة 1959، ص 317.

[52]- مؤلف مجهول ، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** ، ط2 ،مطبعة التقدم الإسلامية،تونس ،1392، ص 17-18- عبد الرحمان الجيلالي ، مرجع سابق،ج1 ، ص320.

[53]- ابن أبي زرع ، مصدر سابق ، ص 75. و انظر :
- ابن خلدون، مصدر سابق ، ج6 ،182.
- محمد عبد القادر الجزائري ، **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر** ، نشر و تعليق ممدوح حقي ، دار اليقضة ،ص 161.

[54]- البكري ، مصدر سابق ، ص 164.

[55] - ما قيل حول حياء الملثمين : لما حووا و إحراز كل فضيلة غلب عليهم الحياء فتلثموا انظر: - ابن أبي زرع ، مصدر سابق ، ص88.

بعد و قبل التطرق لمراحل نشأة هذه الدولة لا بأس أن نلقي نظرة على الأوضاع السائدة لدى هذه القبائل قبل مجيء عبد الله بن ياسين حيث يذكر لنا ابن الخطيب ما يلي : " كان أول ملوكهم الأمير يرلونان اللمتوني[56] الذي عرف بقوته، ثم ولى حفيده يالتو بن بطي بن فيولوتان بن تيكان الصنهاجي إلى أن توفي سنة 287هـ /900م ، ثم ولي من بعده ابنه تالين بن يالتين و بقي أميرا على صنهاجة إلى 306هـ/918م حتى قتل من قبل القـبائل الصنهاجية فتفرق أمرهم مدة 120 سنة ، ضاعت خلالها مدينة أودغشت*، بعد ما بقيت في يدهم حوالي قرن ، إلى أن وحد صفوفهم محمد بن تيفات اللمطي الذي عرف باسم تاريسني ثم استشهد في معارك السودان ، ليتولى الأمر من بعده يحيى بن إبراهيم الجدالي[57] .

والذي كان صهرا في قبيلة لمتونة بزواجه فيها[58]، لتصبح هذه الشخصية فيما بعد السبب في حضور الإمام عبد الله بن ياسين[59] ،إلى ديار القبائل الصنهاجية بفضل يحي بن إبراهيم لتعطش هذا الأخير للعلم و حبه للإسلام حيث توجه في سنة 427هـ/1036م لأداء فريضة الحج و ترك ولده إبراهيم بن يحي يرأس القبائل و يقودها في حروبها مع أعدائها، و في طريق عودته مر بالقيروان فلقي بها الشيخ أبا عمران الفاسي[60]، فجلس يستمع إلى دروسه و يحضر مجالسه و عند انتهاء بعض حلقه كانت تدور بينه و بين الشيخ أبو عمران الفاسي محاورات و كان الهدف منها أن يرسل معه الشيخ أحدا ممن توفرت فيه الشروط لنشر تعاليم الدين و قواعده حتى يتعلمها ، فسأله الشيخ عن قبيلته و وطنه فذكر انه من الصحراء من قبيلة جدالة إحدى القبائل الصنهاجية ، فقال له الفقيه : " ما مذهبكم " ؟ ، فرد عليه الأمير : " ما لنا علم من العلوم و لا مذهب من المذاهب لأننا في الصحراء منقطعون لا يصل إلينا إلا بعض التجار الجهال حرفتهم الإشتغال بالبيع و الشراء و لا علم عندهم ..."[61]، فيتبين لنا من خلال هذا الحوار أن الأمير يحيى بن إبراهيم كان متعطشا للتغيير و لتعلم

---

[56] - يسميه ابن أبي زرع ، ثيلوان بن تيكلان.انظر: بن أبي زرع ،مصدر سابق ، ص 76.

* - مدينة في الصحراء كانت تتحكم في الطرق التجارية مما جعلها سوقا كبيرة . أنظر:

- البكري ، مصدر سابق ، ص 158. - الإدريسي ، مصدر سابق ، ص 31.

[57]- يسميه ابن خلدون يحيى بن إبراهيم الكندالي. ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج$_6$ ، ص 215.

[58]- إبن الخطيب ، **أعمال الأعلام في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام** ، في جزئه تاريخ المغرب في العصر الوسيط ، تح أحمد مختار العبادي و إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب الدار البيضاء 1964،ص 225-226.

ابن خلدون، مصدر سابق ، ص 215،- بدر احمد **تاريخ المغرب و الأندلس** ، دار النهضة العربية ، بيروت 1978،ص 61.

[59] -عن شخصيته و نسبه انظر: ابن أبي زرع ، مصدر سابق ،ص 78.

[60] - عن شخصيته و نسبه انظر: ابن الخطيب ، مصدر سابق ،ص 226.

[61] - ابن عذارى المراكشي ، **البيان المغرب في اخبار الأندلس و المغرب** ، ج$_4$ ، دار الثقافة ، لبنان ،1967، ص 07.

قواعد الإسلام القويمة و هذا هو الذي دفعه إلى التنقل إلى الحج و جعله يعرض فكرة التغيير على الشيخ في القيروان وأن يرسل معه أحد الطلبة إلى بلاد صنهاجة و يقوم فيها بدور الدعوة و التوعية لكن الرد كان سلبيا من طرف الطلبة و ذلك لبعد المسافة و قساوة الصحراء وطبيعتها التي لم يعتادوا عليها فوجهه الفقيه أبو عمران نحو سجلماسة[62].

و لما توجه تلقاء سلجماسة أين يوجد تلميذ الشيخ الذي يدعى وجاج بن زلو اللمطي و بحوزته كتاب من طرف الشيخ ، فاعتذرهذا الأخير و دله على عبد الله بن ياسين، و هنا تتفق المصادر التاريخية حول هذا و تم بالفعل اختيار عبد الله بن ياسين الجزولي الذي قيل عنه " أنه كان من الفقهاء النا ين و كان شهما قوي النفس حازما ، ذا رأي و خير و تدبير حسن و أنه كان من حذاق الطلبة الأذكياء من أهل الدين و الفضل و التقوى و الفقه و الأدب و السياسة "[63]، و حين وصل إلى أرض الملثمين شرع ينشر التعاليم الإسلامية الصحيحة و يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر لما سمعه و شاهده من أمور تخالف الدين الإسلامي و كان شديدا معهم في ذلك فتولد نتيجة ذلك نفور الأهالي فخالفوه و هدموا داره، فزاده هذا الأمر إصرارا قويا و عزيمة فذة لمواجهة هذا النفور[64].

و هكذا رسمت الأقدار لهذه الشخصية لأن تكون هي رافعة راية الجهاد في فترة كان العالم الإسلامي يعيش مرحلة الركود و التراجع ، فتحمل القبائل الصنهاجية الملثمة مسؤولية صعبة و حساسة أبرزت للعالم كله دور المغاربة في رفع شعار العلم والهداية باسم الإسلام، ومن رباط السنيغال [65] ب ريـاح الشعوب الصحراوية الصنهاجية الملثمة مقتحمة كالعواصف أعماق الصحراء لتسلك طريقها صوب الشمال فينضج لها فيه رجال كانوا في أسمى صورة البطولة و الإنتصارات على جبهات القتال باسم الجهاد حتى بلغوا أرض الأندلس و نالوا ما نالوه من شرف خلدت تاريخهم تلك العمائر التي نحن بصدد دراسة عينة منها و إن كان في حقهم تقصير.

---

[62]- حول تاريخ المدينة انظر : - البكري ، مصدر سابق ، 148-149.
- د ندش عصمت عبد اللطيف، **<u>دورالمرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا</u>** ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان 1988، ص 33.

[63]- ابن أبي زرع ، مصدر سابق ، ص 78.

[64]- السلاوي ، مصدر سابق ، ج$_1$ ، ص 100.

4 - عبدا لهادي شعيرة ، المرابطون تاريخهم السياسي ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ط1 ،1969م،ص39 . وانظر : -حركات إبراهيم ، مرجع سابق ، ص170

الفصل الثاني : تخطيط مدينة ندرومة وتحصينا ا العسكرية

- المحور الأول " المسجد ،الجامع، دار الأمارة، القصبة"

- المحور الثاني " الأحياء السكنية و ملحقا ا"

- الشوارع و الدروب.

- المحور الثالث "التحصينات العسكرية للمدينة "

- السور .

- الأبراج .

- المداخل .

تخطيط مدينة ندرومة وتحصينا ا العسكرية:

إن المدن الإسلامية في المشرق أو في المغرب ، سواء كانت مدنا مفتوحة أو أسست في عهـد الإسلام فإ ا تتفق في مظهرها العمـراني العام . ونعني بـه طـريقة تخطيطها و توزيع مراكزها العمرانـية و اتساع و تشعب طرقها و تنوعها ،كما نجدها أيضا تتفق في أبنيتها عـامة باستثناء تفاصيلها الزخرفية ، أو ما اضطرت إلى التماسه بتأثير المناخ أو الموقع أو طبيعة المكان كـما في المغرب و الأندلس، و كـما في مصر و الشام و العراق [66].

و تبلور مصادر التراث الإسلامي في عصوره المتعاقبة ما انتهى إليه الفـكر الإسلامي في مجال تخطـيط المدن، حيث تعكس لنا المصادر العديدة الـتي كتبها أصحا ا عن تاريخ المدن و

---

[66]-السيد عبد العزيز سالم ، **تخطيط مدينة الإسكندرية وعمرانها في العصر الإسلامي** ، دار المعارف لبنان 1964 ، ص 14 .

خططها كثيرا من الحقائق التـي توضح إلـى حد كبير التطور الفكري المتعلق بتخطـيط و إنشاء المـدن الإسلامية و تختلف المـدن و تتـنوع باختـلاف وظـائفها و ظـروف إنشائـهاو مواقعها و مواضعها و المؤثرات التي تؤثر على نموها و تطورهـا[67].

فقد كانت مواقع المدن الإسلامية الأولى من الأسس المميزة لها ، ولقد تميزت بعض هذه المدن بمواقعها التي تتحكم في الطرق أو التـي تجتمع عندهـا سـواء كانت فـي السهول أو في مـناطق الانتقـال بين السهول و الصحـراء كما كانت عليه البصرة التـي يمثل موقعها نقطة تلاقي الطرق البرية بين شمال العراق و جنوبه، حيث كـان لهذه المواقع المتميزة أثرها في ازدهار المـدن الإسلامـية فيـما بعد فرغم البدايات المتواضعة لهذه المدن و التي لم تكن تزيد عن عدد من الخيام و الأكواخ التي بنيت من أعواد البوص أو اللبن أو القصب مثلـما كان الحال بالبصرة التـي أنشئت في عام 16هـ و الكوفة التي أنشئت في 17هـ . فإنـها صارت مدن كبـيرة بعد ذلك و فاقت المـدن التي سبقتها عمرا و وجودا سواء في حجمها السكاني أو مساحتها [68].

و بقيت أثار المـدن الإسلامية بمثابة شواهد حية على تلك العصور و تصل الماضي بالحاضر من خلال تواجدها الذي يحدد لنا شخصية طابعها أو طوابعها المعمارية التي تضمها . فتكسبها صفة التميز نتيجة طوابعها المعمارية عن المـدن الأخـرى أو تعطيها صفة الإشتراك مـع البعض الآخر في الصفات المعـمارية لمبانيها أمـا الثبات و التغير فـي الطوابع المعمـارية للمدينة الواحدة مـا هو إلا انعكاس لتغلب العناصر الثابتة أو المتغيرة إحداهمـا على الأخرى و المقصود هنا بالمتغيرات أو العناصر المتغيرة النواحـي الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية التـي تتغير في كل المجتمعات و لكـن بدرجات متفـاوتة . بينمـا المقصود بالثوابت أو العناصر الثابتة هي الأشياء السامية التـي تعلوا عن إمكانية التغيير إلا في حالات نادرة مثل التعاليم أو الشرائـع الدينية[69] .التي تبرز دورها التأثيري فـي نشـأة المديـنة و ذلك عن طريق تشجيع

---

[67] -محمد عبد الستار عثمان ، مرجع سابق ، ص 29 .

[68]- السيد خالد المطري ، **دراسات في مدن العالم الإسلامي** ، دار النهضة العربية ، بيروت 1989 ، ص 66 .

[69]-جليلة جمال القاضي و آخرون ، **رشيد، النشأة الازدهار الانحسار** ، ط1 ، دار الآفاق العربية ، مصر ، 1999 ، ص 274 .

الـدين الإسلامي في سكـنى المـدن و الذي كان له الدور الهام أيضا في إكساب المديـنة الإسلامية الأولى خصائص بارزة سواء في تركيبها الداخلي أو في علاقا ا المكانية [70].

و تعد مدينة نـدرومة من بين المـدن الـتي عايشت الفترات الإسلامـية و تعاقبت عليهـا المحن و عاشت نفس المراحـل التي عايشتها مـدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسـط ، و التي اختير لها النسق المتـبع فـي إنشاء المـدن الإسلامـية الأولـى ، و لئن كانت جهـودا قد بذلت فعلا و مبادرات هنـا و هناك لتعريف و تحبيب تـاريخ بلادنا[71]، إلا أن هذه المدينة و ما تعنيه من أهمية بالنسبة لتاريخ العمارة الإسلامية من طرز معمارية ذات قيمة علمـية و أثرية تقف حجر عثرة في وجه الباحث فـي سبيل الوصول إلـى إعادة صياغة التخطـيط الخاص بالمديـنة و تركيباته العمرانية و تثبط الإرادة و القدرة علـى معالجة ما بقـي من المعـالم الأثرية لاسيما إذا كان البحث يقتصر علـى فترة قديـمة من فترات المديـنة الإسلامية و التـي عايشت أحداثهـا مدن المغرب الأوسط ، لذلك فإن مدينة ندرومة اختفى الكثير من معالمها الرئيسية و التي لم يبق منها سوى الأشتات التي تناثرت هناو هنـاك و في مقدمة هذه الأجزاء نجد السور المحيـط ا و الذي اندثرت كثير من معالمه الرئيسية و خـاصة الجهة الغربية منه و الشمالية و إن كـان هذا لأسباب توسع عمران المدينة في الفترة الحديثة ، إلا أن عوامل أخرى تمثلت في عدم الاهتمام من جانب السلطات المعنية بالأمر و لم يحدث لمدينة نـدرومة فقط هذا الإهـمال بل أصاب الكثيـر من المـدن الأخرى الموزعة على أنحاء الوطن .

ومع هذا النقص الذي صادفناه أثناء تتبع المخطط العمراني للمدينة (أنظر الشكل رقم 🗁🗀) و أجزائها ارتأينا أنه لابد علينا من الاعتمـاد و التركـيز على الجـانب النظري بالإضافة إلى الجانب التطبيقي ،و ذلك بتقريب الهيكل العمراني للمديـنة ولو بنسبة قليلة ، فاضطررنا إلـى الاستعانة بالنصوص التاريخية خاصة و الاستفادة أيضا من الدراسات و التقارير الحديثة .

---

[70]-السيد خالد المطري ، مرجع سابق ، ص67 .
[71]- الطاهر زر هوني ، مرجع سابق ، ص 140 .

و ما تعكسه المصادر التاريخية بصفة عامة و كتب تـاريخ المدن و خططها على وجه الخصوص اهتمـام لدى المسلمين بالفكـر العمراني للمـدينة الإسلامية و إلقـائه الضوء على ما يخص تخطيطـها و تكوينا ا المعمارية .

مما يكشف على الجوانب المعمارية و الإنـشائية بصورة مـباشرة وإعطاء صورة واضحة للمدينة الإسلامية[72]،كـما ان الربط بين ماورد في هذه المصادر و مـا تبقّى من آثار مدينة ندرومة يكشف عن الحقائق و يؤكدها واقعا ملموسا و إن كان لابد من استنطاق الرؤية أو المنظور الإسلامي في التخطيط المادي للمدن لنمطية هذا التخطيط و تشا ه في أسسه العامة [73].

و يضع هذا المنظور الإسلامي شروطا تكشف عن رؤية تخطيطية راقية للمدينة الإسلامية اهتمت بالجوانب الوظيفية و الاجتماعية و السياسية للمجتمع مما يؤكد أصالة المدينة الإسلامية و عمق الفكر الإسلامي و رؤيته السليمة في تخطيط المدن و هو فكر تبلور و نضج مع تقدم العصر مستفيدا في ذلك من التجربة [74]،و لقد أورد هذه الشروط كل من إبن أبي الربيع (ت⌨📄📄📄هـ)في كتابه سلوك المالك في تدبير المسالك ، و القزويني (ت📄🖰⌛هـ) في كتابه آثار البلاد و أخبار العباد و ابن خلدون (ت🖰📁🖰هـ) في كتابه المشهور المقدمة ، و هـم أكثـر من ذلك ممن ألفوا في هذا الميدان ، حيث نصحوا باعتمـاد هذه الشـروط كقواعد في تمصير البلدان و يمكن تلخيص هذه الشروط فيما يلي :

إختيار الموقع الجغرافي و المظهر الخارجي و من ذلك سعة المياه و وفر ا مع الإبتعاد عن المياه الفاسدة و ذلك بأن يكون البلد على ر أو بإزاء عيون عذبة . و منها إمكان الميرة المستمرة و ذلك بتوافر المزارع و يكون قر ا من المدينة أفضل لتسهيل تحصيلها .

و منها اعتدال المكان و جودة الهواء من أجل السلامة من الأمراض و الصحة للأبدان و حسن المزاج

و منها القرب من المراعي و الإحتطاب و طيب المراعي للدواب لحاجة الإنسان إليها .

و منها تحصين المنازل من الأعداء فالسكن في الخيام و الإقتصار على الحيطان و الأبواب ليس بكاف لدفع غائلة العدو ، و كذا اختيار أفضل ناحية في البلاد و أفضل مكان في الناحية و

---

[72]- محمد عبد الستار عثمان،مرجع سابق ،ص:41.
2- عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية...، مرجع سابق، ص 122 .
[74]- محمد عبد الستار عثمان ، مرجع سابق ،ص 30 .

أعلى مـ ل في المكان من السواحل و الجبال و الأفضل أن تكون المدينة على هضبة و أن يدور حولها ـر أو بحر كي يكون تحصينها طبيعيا .

و منها أن يحيط ـا سور منيع يعين أهلها و يحميهم و كذا حفر خندق ، هذا و إن للتنظيم الداخلي للمدينة شروط أخرى منها :

أن يقدر طرقها و شوارعها حسب أهمية المسلك في المدينة .

أن يبني جامع للصلاة في وسطها و أن يبني مساجد في دورها .

أن يقدر أسواقها حسب كفاء ـا .

أن ينقل إليها أهل العلم و المنافع[75] .

و بناء المدن سواء في المشرق أو في المغرب ، أصبح الاعتماد فيه على هذه الشـروط النسق المتبع في إنشائها و مهمـا اختلفت مواقعهـا و تباينت ظروف إنشائها، و من المؤكد أن أبرز هذه العناصر التخطيطية فـي المديـنة هو المسجد الجـامع و يلتصق به بدء من دار الإمـارة و القصر الملكـي و السوق ، ثم الخطـط أو الأحيـاء السكنية بأزقتها و شوارعها و سور المدينة بأبوابه و أبراجه[76] .

و هذه المحاور الثلاثة و مع مرور الزمن اختلف تأثيرها في تخطيط المديـنة الإسلامية قوة أو ضعفا، إلى أنه رغـم ذلك ضلت التكوينـات المعمارية الأساسية و الثانوية للمدينة الإسلامية ، و التي تمثل الانعكاس المادي لرؤية التخطيط ثابتة مميزة للمدينة الإسلامية عن غيرها للالتزام بقواعد و أسس إسلامية محددة لنضام التخطيط و الإنشاء [77] و يمكن تحديد هذه المحاور في ما يلي:

---

[75]- ابن أبي الربيع ، **سلوك المالك في تدبير الممالك على التمام والكمال** ، دراسة و تحقيق ناجي التكريتي، ط1، منشوارات عويدات ، بيروت، بايس ، 1978 ، ص151-154 .
- القزويني ، **آثار البلاد و أخبار العباد**، دار صادر، دار بيروت، بيروت ، 1980، ص8-9
- عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة، مصدر سابق، ص 273-275 .

[76]-نفسـه ، ص 111 . و انظر: - السيد خالد المطري ، مرجع سابق ، ص 62 .
– عبد الفتاح وهيبة ، **جغرافية العمران** ، نشر منشآت المعارف ، الإسكندرية ،1975، ص 44 .

[77] - محمد عبد الستارعثمان ، مرجع سابق ، ص 112.

المحور الأول : تحتل المباني الدينية المكانة الأولـى في المديـنة فهي المركز والقلب النابض لها ممثلة في المسجد الجامع و مساجد الأحياء ثم ما يحيط به من عناصر أخرى على اختلافها[78] .

و المسجد الجامع هو الـذي تقام فيه صلاة الجمعة أين يجتمع كل أهل المدينة فيه بالإضافة إلى إقامة الصلوات الخمس في كل يوم، و نستطيع من خلال كل مـا سبق أن نستشف أهمية المسجد باعتبـاره النواة التي تتشكل من حولها بـاقي المنشآت العـامة التي تتموضع في أمكنة تكون أكثر قربا من المسجد ، و ذلك طبعا لتسهيل متابعة ممارسة الشعـائر الدينية و أيضا تـأكيد الثقافة الدينية في المنشآت العامة [79].

أما عن هذا المحور فإننا نجد أن نظامها التخطيطي الذي جاءت عليه أولى المدن الإسلامية في المشرق و المغرب كمدينة البصرة ([illegible]هـ/[illegible]م) و مدينة الكوفة ([illegible]هـ/[illegible]م) و كذلك بالمغرب حيث نجد نظام هذه المدن يتوسطه المسجد الجامع ، فمثلا مدينة تيهرت الرستمية يحتل جامعها وسط المدينة و جامعي مراكش و تلمسان المرابطيـين أيضا [80] ، و اتبعت نفس الظاهرة في معظم المدن الإسلامية ، حيث اعتاد المسلمون في بناء مد م أن يجعلوا الجامع في مركزها و هو أول ما يختط فيها[81] .

أما عن مدينة ندرومة فإن النصوص التاريخية لم تشر إلى ما ذكرناه سابقا ، لكن ما يمكن قوله في هذا الشأن هو أن المرابطين الذين بنوا المسجد الجامع ا لم يكونوا ليخالفوا سنن الأوائل في بناء مد م و ذلك ما يظهر جليا في مد م كتلمسان و مراكش ، و ذلك باعتبار أن المسجد هو مركز الحياة الروحية عندهم ، فهو مؤسسة شاملة جامعة لمختلف مناحي الحياة، ففيه

-Le tournoux ,R. **Les villes Musulmanes De L'Afrique De Nord** , -maisons des -2 livres , alger , 1957, p11-12

و أنظر: - عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية... ، مرجع سابق ، ص 123.124.

أندري باكار ، **المغرب و الحرف التقليدية الإسلامية في العمارة** ، تر : سامي جرجس ، دار اتوليبيه 74 للنشر 1981 ص 77 .

79- عفيف بهنسي ، **الفن الإسلامي** ، ط1 ، دار طلاس للدراسات و الترجمة ، دمشق ، 1986 ، ص 116-120 .

1- أحمد فكري، **مساجد القاهرة و مدارسها. المدخل**، دار المعارف ، مصر- القاهرة ،1961م، ص295.

2 - عبد العزيز سالم، المغرب الكبير...، مرجع سابق،ج2،ص 242-245-249.

3 - غوستاف لوبون، **حضارة العرب** ،تر: عادل زعيتر، دار الكتب، القاهرة ،1969 ،ص425-427.

تقام الإجتماعات و اللقاءات و العبادات و التعليم و القضاء[82] ، و هذا ما سنتطرق إليه بشيء من التفصيل في الفصل الرابع .

القصبة ودار الإمارة:

أما عن القصبة و دار الإمارة بالمدينة فإننا لا نستطيع تحديد مكا ا الذي كانت عليه في الفترة المرابطية ، أما عن القصبة المقابلة للجهة الجنوبية للمدينة و التي تقع خارج السور من هذه الجهة الذي به الباب المسمى باب القصبة فلا نظن أ ا تعود لهذه الفترة ، إذ أن باب القصبة من هذه الجهة متصل مباشرة بالسور مما يوحي بأنه حد المدينة من هذه الجهة ، أما القصبة المقابلة فلها سورين دفاعيين من جهتها الجنوبية و ينحدر نحو الجهة الشمالية و به باب من الجهة الغربية يظهر أنه مدخل رئيسي للقصبة ، و لم يبق من هذه القصبة سوى هذا السور المذكور و بعض بقايا محراب المسجد ا ، و بما أن المصادر التاريخية تذكر أن أبا يعقوب الزياني أقام بندرومة فيحتمل أن يكون هو الذي أنشأها ، كما أن البناء لهذه القصبة ببا ا و السور المحيط ا يدل على أ ا لم تبن مع مدينة ندرومة القديمة بل هي حديثة عنها أو أ ا تعرضت للقصف أثناء الإعتداءات المرينية على المدينة أو أ ا خربت من قبل أهالي المدينة في فترات حديثة ، كما أن باب القصبة الذي يوجد بالجهة الجنوبية و الذي يتصل بالسور ، فإن المتتبع لهذا السور شرقا يجد أنه ينعطف إلى الشمال (أنظر الشكل رقم 🗁🗀) في حين أن القصبة تبقى بالنسبة لهذا الركن الجنوبي الشرقي مقابلة له في الجهة الجنوبية مما يوحي بانفصالها عنها .

<u>المحور الثاني</u> : و هذا المحور ينحصر في داخل المدينة و يشغل بذلك الخطط أو الأحياء السكنية من ساحات و حمامات و مساجد أحياء و دكاكين[83]،إضافة إلى الشوارع والدروب التي تأثر تخطيطها بالمدينة الإسلامية وتحصينا ا و أسوارها ، فإحاطة المدينة بأسوار حدد مساحتها و حدد أيضا هيئة امتدادها و أرباضها ، مما كان له الأثر المباشر على عدد و مقاييس واتجاهات شوارعها [84].

83- Le tourneaux,R .Op-Cit, p 12-15.
- أنظر في ذلك :- عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية...، مرجع سابق ، ص 124 .
- سيد خالد المطري، مرجع سابق، ص 64 .
- سيد عبد العزيز سالم، تخطيط مدينة مصر... ، مرجع سابق، ص 16-21 .

84 - محمد عبد الستار عثمان ، مرجع سابق ، ص 173 . و انظر :

و تحتل شوارع المدينة مكانة ذات أهمية خاصة في التخطيط الحضري وتتوقف طريقة تشييد الشارع على حركة السير المتوقعة[85] ،فأغلب هذه الشوارع في المدينة الإسلامية ضيقة التخطيط و متعرجة في سيرها تربط بينها حارات أو تجمعات سكنية تكون شبكة خطوطها متعرجة متداخلة و تؤدي هذه الحارات إلى أزقة و دروب (أنظر الصورة رقم ⌛🗀) بعضها مغلق و بعضها نافــذ (أنظر الصور رقم 🗁🗀-🗎🗀-🗏🗀-🗏🗀) ، ويعتبر ضيق الشوارع ميزة من ميزات المدينة الإسلامية على عكس المدن الرومانية التي كانت تعرف اتساعا في الطرق والشوارع[86] .

أما عن مدينة ندرومة فمن خلال المعاينة الميدانية للشوارع و الدروب التي تخترقها فالملاحظ و للوهلة الأولى أ ا تمتد من الجهة الجنوبية إلى الجهة الشمالية بشكل منحدر أي حسب امتداد المدينة ما عدى شارع التربيعة الذي يقطع المدينة من الجهة الشرقية إلى الجهة الغربية عند ساحة التربيعة التي اشتهرت ا المدينة و عن الشوارع الأخرى فإننا نجد شارعي القصبة و اليهود يمتدان باتجاه الشمال ، و هذه الشوارع في المدينة جاءت تقليدا لنمط المدن الإسلامية الأخرى لكثرة تعرجها و ضيقها و اتساعها حسب توزيع الأحياء السكنية داخل المدينة و عن مقاسات هذه الشوارع فهي تتراوح بين 6 و 7أمتار عرضا و طولها يختلف حسب اختلاف ايا ا و امتدادها في الجهة الشمالية .

أما عن الدروب فهي كثيرة و متعددة و تنقسم إلى قسمين فمنها النافذة ومنها غير النافذة (أنظر الصورة رقم ⌨🗀) ، أما عن الأولى فإننا نجد درب الفخارين درب لالة الزهراء (أنظر الصورة رقم 🗄🗀) و دروب كثيرة اتفقت في كثير من تفاصيلها من تعرج و ضيق واكتضاض في أيام العطل و السوق .

و القسم الثاني من هذه الدروب هو الدرب غير النافذ وأحسن مثال على ذلك هو درب الخربة (أنظر الصورة رقم 🗐🗀) في الجهة الشمالية ، و على العموم فإن مقاسات هذه الدروب لا تزيد عن المترين في كثير من الأحيان ، مما جعلها تصعب من حركة السكان و تنقلهم في المدينة خاصة و التطور العمراني الحاصل فيها و النمو الديموغرافي .

- خالد المطري ، مرجع سابق ، ص 175.

85- نيكيتااليسيف ، مرجع سابق ، ص 103. و انظر :

-عفيف بهنسي ، مرجع سابق ، ص 120.

86- عبد العزيز سالم ، مرجع سابق ، ص 16.

و ارتبطت تسمية هذه الدروب إما بالحرفة الممارسة في ذلك الحي أو الفئة التي تقطن المكان أو ربما كان لها علاقة ببعض المنشآت الأثرية الواقعة في الأحياء كدرب القصبة الممتد من باب القصبة و برجه ، و مهما يكن فإن وظيفة الشوارع و الدروب شكلت دوما العنصر الهام لتسيير حركة السكان و تنقلهم و ما يفسر ضيق الشوارع بصفة عامة هو الحماية من حرارة الشمس و زيادة الظل خاصة في فصل الصيف ، و لقد كانت هذه الشوارع تخضع لإشراف المحتسب الذي يراقب استخدامها كطريق يسلكها السكان و يمنع إقامة أي بناء يعترضها أو يقلل من عرضها و اتساعها أو شغلها بحرف و أعمال ملوثة لها.[87]

إلا أننا خصصنا له فصلا تناولنا فيه دراسة م لين و الحمام مع الشوارع و الدروب طبعا من خلال المعاينة الميدانية.

و يتبين لنا من خلال تتبع معالم المباني و المنشـآت المرابطـية في ندرومـة أ ا أنشئت و توزعت في نواحي المديـنة حسب تلك الشروط التـي تحددت من خـلال ما ذكـره ابن أبـي الربيـع و القز ويني و ابن خلدون و أن نصـائحهم قـد طبقت ، حيث تحـدد الدراسات الحديثة والنصوص التاريخية القديـمة هذا النسق من خـلال وصف المدينة العام ودراسة نسيجها العمراني لا سيما تلك التقارير التي وضعها الفرنسيون أثناء فترة الاستعمار.

و قد أثرت الأهـداف المتوخاة من تأسيس المدن و الشـروط التـي تحكمت في عمرا ا و عماراتـها في تركيبها العام وتخطيـطها ، و قد ظل ذلك التركيب و تلك المحاور ثابتة في معظمـها مع تغيير كبـير أو قلـيل طرأ على بعضـها مع تطور عمران المـدن ، حيث شكلت تلك المـحاور أقساما عمـائرية و مؤسسات ذات وظـائف و استخـدامات متباينة[88] تظهـر لـنا من خـلال فصـول هذا البحث .

<u>المحور الثالث :</u> و هذا المحور هو من أهم المكونات و المعالم البارزة في المديـنة ألا و هو السور بمداخله و أبراجه و الذي يتوزع في شـكل إطـار خارجي وهو على صلة مباشرة بوسط المديـنة عبر شوارعها الرئيسية ، و هو

ما جعلناه محل دراستـنا في هذا الفصل أو بـالأحرى أسمينـاه العمارة العسكرية .

---

87 -حسن الباشا ، **<u>موسوعة العمارة و الأثار و الفنون الإسلامية</u>** ، ط1،ج1 ، بيروت، 1999، ص 211.

1- عبد العزيز لعرج ،**<u>مرجع سابق</u>** ، ص 131 .

و نجد عناصر هذا المحور و المتمثلة في السور و أجزائه الدفاعية من بين أهم ما ركز عليه المسلمون في بناء مد م و حفظ كيا ا سياسيا و عسكريا ، إذ أن سور المدينة لم يستغن عنه المسلمون في كثير منها ، و عليه فإن أسوار أي مدينة كانت ضرورة تتطلبها لحماية نفسها و دفع أعدائها كما حدث للموحدين في صراعهم مع المرابطين ، حيث كانت أسوار المدن تصدهم ، فعمدوا إلى تخريبها حتى إذا أدركوا قيمتها أعادوا ترميمها و إصلاحها ، كما يلاحظ ذلك في مراكش و فاس بالمغرب الأقصى و تلمسان و وهران بالمغرب الأوسط[89] .

و في مدينة ندرومة فإن امتناعها في العديد من المرات أثناء الهجومات المرينية المتكررة خير دليل على ما قام به المرابطون من تحصين وتقويةللمدينة و اهتمامهم بتقوية أسوارها و طريقة بنائها ،و قد ذكرنا آنفا صمود المدينة خلال الحصار المريني لها ، و هو ما يفسر بقاء بعض من تلك الأجزاء، التي أمكن لنا تتبع بقاياها من خلال المعاينة الميدانية لا سيما الجهة الجنوبية و الغربية .

و حسب هذا التقسيم الذي سنراعي فيه وصف المدينة من الخارج إلى الداخل فلنبدأ الآن من التحصينات العسكرية .

التحصينات العسكـرية :

و نعني بالعمـارة العسكرية لمديـنة نـدرومة تحصينا ا العسكرية و استحكاما ا الحربية ، من أسوار و ما تحويه من أبراج ومداخل وهي بمفهوم أعم ، حماية المديـنة و الدفاع عنـها من الخطر الداهم أو الهجومات الخارجية عليها ، و بقاء المدينة و سلامتـها أمر مرهون بمدى قوة هذه الإستحكامات و فعاليتها .

و فضلا عن ذلك فإن تأمين السكان بعد تخطيط المدينة و بنـاء العمائر والمرافق و المساكن ا و حماية حيا م و أمـوالهم ضرورة يقرهـا الدين وتقتضيها الشريعة وهي من المقاصد الشرعية للإسلام[90]، لذلك اعتبر**الأمن** في **العصور الوسطىهاجسا** تعاملت معه الدول و الحكومات بأخذ الحيطة ، حيث أن الأحداث السياسية التي عاشها المغرب في تلك الفترة و خطور ا كان لها الأثر

Marcais,G.Manuel D'Art M usulman Architecture Tunisie,Maroc -2 ,Espagne,Sicil, T1,A.Picard,Paris,1926, P349-350.

90- محمد عبد الستار عثمان ، **مرجع سابق** ، ص 135.

الكبير في زعزعت الأمن و الإستقرار لا سيما الظاهرة الجديدة التي وفدت إلى المغرب ألا و هي عرب بني هلال و ما لحق هذا القطر من تخريبهم و عبثهم ، حيث خربوا القيروان و نالوا من الحضارة و قوضوا ملك بني زيري* ، ثم طرقوا باب المغرب الأوسط و ديد الدولة الحمادية ، و كان من الممكن أن يتجاوزوا المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى ، و يعيثوا فيه فسادا ، كما فعلوا ذلك من قبل في إفريقية ، و لكن قيام دولة المرابطين حال دون ذلك ، إذ وضعت هذه الأخيرة حامية لها بمدينة تلمسان ، استطاعت أن تجنب من خلالها بلاد المغرب الأقصى شر بني هلال ، حيث اهتم المرابطون بشأن المغرب الأوسط لأ م كانوا يعلمون أنه البلد المتحكم في الطريق الموصل إلى المغرب الأقصى ، فقد أقر المرابطون السكينة في جزء من المغـرب الأوسط وقد عملـوا على تحصينـه [91]

و تتجلى لنا إمكانيات هذا التحصين في قوة و صلابة التحصينات العسكرية التي أقامها المرابطون ، حيث بلغ عدد الحصون و القلاع التي أنشؤوها ما يزيد عن سبعين حصنا ، يضاف إلى ذلك مراقبة بقية القبائل التي كانت تعيش بأرض المغرب الأقصى ، كقبائل زناتة و برغواطة [92] ، و قد زادت حاجة المرابطين لهذه الحصون و القلاع بظهور ثورة الدعي محمد بن تومرت ، حيث تحركت قوات الموحدين للإستلاء على مناطق المغرب الأقصى و الملاحظ أن هذه الحصون شيد معظمها من الحجارة و الطوب فجاءت جدرا ا سميكة صلبة التكوين [93] .

لذلك كان لزاما على أولي الأمر ومن بـأيديهم السلطان اختـيار الموقع الطبيعـي الحصين للمديـنة و إنشائها، و هذا على ما يبدو ما هو إلا انعكاس للأفكار العسكرية التـي تناولتها مصادر الفكر العمراني بالبحث كما أشرنا سابقا .

فمثـلا نجد أن ابن خلدون يرى بأن يكون موقع المدينة في ممتنع من الأمكنة كهضبة خالية أو وجود موانع مائية حولها، أو يجعل على جوانبها تحصينا لها لإعاقة المهاجمين لها ، و تشكيل

---

* - أنظر عن ذلك : - عبد الواحد المراكشي ، مصدر سابق ، ص 157 .

1- حسن أحمد محمود، مرجع سابق ، ص328-229. و انظر:

- عز الدين أحمد موسى، **النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ** ، ط1، دار الشرق، ص 94 .

92 - حسن علي حسن ، **الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس" عصر المرابطين و الموحدين"** ، ط1، مصر ، 1980، ص 292-293.

3- ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ...، مرجع سابق، ص244.

جند للدفـاع عنها مـع إحاطتـها بسياج من الأسـوار[94] ، و ذلك لتسهيل عملية الدفـاع و الإشراف و المراقبة لكل التحركات .

و كغيرها من المـدن فـإن مديـنة ندرومة توفرت فيها استحكامات عسكرية من أسوار و أبراج، استطعـنا من خلال المعاينة الميدانية تعيين أو تحديد ما تبقى منـها ، و ما يمكن قوله مما سبق هو أننا لا نستطيع الجزم بـأن مديـنة ندرومة كانت مدينة عسكرية أو حصنا لتجمع الجند المقاتلة ، أو ما شابه ذلك ، إلا أنـنا ومن خـلال النصوص التاريخية و الوثائق نستشف أهمية المديـنة التي ربما كانت لها علاقة وطيدة بإنتقال الجيوش المرابطية من المغرب الأقصى و إستلائـها عليه نحو المغرب الأوسط ، و هي بذلك اعتبرت معبرا هاما و مركزا قريبا من مديـنة تلمسان يتم فيها إستعادة قوة الجيش و تنظيمه.

<u>تحصينات المدينة</u> : عندمـا نتحدث عن التحصيـنات فإننا نقصد بـها الأسوار و المداخل و الأبراج التي تحيـط بالمدينة و تتخلـلها من كـل الجهات وقد ذكرنا فيما سبق أننا في أثناء المعاينة الميـدانية حصرنا بقايا هذه الإستحكامات و التي لم يبق منها الكثير ، نظرا للعوامل الطبيعـية والبشرية ، حيث شهدت هذه الأسوار تخريبا عبر تاريخها ، كما أن التطور الديموغـرافي فرض عليها الإتساع لتخرج عن حدودها الأولى حيث أصبحت البيوت تلاصق الأسـوار من الداخل و الخارج و كذا غزو الإسمنت و الحديـد للأثـار و يتضح ذلك خاصة في الجهة الجنوبية للمديـنة عند باب القصبة و برجه حيث أصبح هذا البرج أو هذه الجهة بمثابة مكان يلهوا فيه الصغير و الكبـير تاركين وراءهم نفايات و مزابل أثرت سلبا على هذه الآثار .

و تعود أهمية تحصينات المدينة إلى كونها أكثر نفعا لها من أية قدرة عسكرية أو شجاعة مثالية لما تتميز به أسوارها من إحكام في طـريقة البناء التي تزداد صلابة كلما تقادمت[95] ،فلقد ركز المرابطون كل التركيز على تشييد القلاع والحصون في الأماكن الصعبة حتى لا يستطيع الغزاة الوصول إليها بسهولة.[96]

---

[94] عبد الرحمان ابن خلدون ،مصدر سابق ، ج1.ص619 و أنظر : =

= - عبد العزيز سالم ، مرجع سابق ،ص 21 .

[95]- عبد العزيز لعرج ، مرجع سابق ، ص 169 .

[96]- عبد العزيز لعرج، التطور التاريخي...، مرجع سابق، ص175.

و سور مدينة ندرومة يعود للفترة المرابطـية حيث يؤكد لنا الدكتور رشيد بورويبة هذا القول استنادا إلى النص التاريخي الذي ذكره البكري واصفا المديـنة بقوله : "... و مديـنة نـدرومة مسورة جلـيلة ... " و بالمقارنة مع تاريخ وفاته يتبين لـنا أن السور كان موجودا في الفترة المرابطـية حيث أن سنة 487 هـ[97] . تاريخ وفاة هذا المؤرخ تـدخل ضمن حكم الفترة المرابطية إلا أننا نجهل إن كان يوسف إبن تاشفين هو الـذي أنشأ هذا السور أو أحد خلفائه حيث لـم تشر النصوص التاريخية و لا الدراسات الحديـثة إلـى هذا و لا شك في أن انتشار القلاع و الحصون من مراكش في الجنوب حتى مديـنة فاس في الشـمال و من تلمسان في الشرق إلـى طنجة في الغرب ما كان ليدع المرابطون فيه مدينة ندرومة هكذا دون تحصين أو قوة يتم عن طريقها صد الهجمات و إحـكام سيطر م على منـاطق المغربين (الأقصـى و الأوسط) [98] وهو ما جعل المدينة ذات أهمية كبيرة و وضعها موضع الأمصار و المدن الهامة، و إن لم تكن عاصمة أو مصرا كبيرا فهي مركز حضاري إقليمي[99].

وبناء الأسوار كان أمرا طبيعيا بالنسبة للمرابطين للوسط الطبيعـي الذي كانوا يعيشونه من جفاف وغزوات متتالية في بلاد السودان و القـبائل الصنهاجية ا اورة لهم ، و بالتالـي فإن فـكرة التحصين و الاستعداد للـدفاع عن أ نفسهم كـان أ مرا مألـوفا بالنسبة للبربـر[100] و كثرة الحروب سواء بالمغرب أو الأندلس جعلت فكرة التحصين أمرا حتميا يتعامل به المرابطون لحفظ سلامة المدن من الأخطار الداهمة لها و حفظ الرعية [101]، و نجد هذا الأمر قد طبق في مدينة ندرومة و تحصينها فلم يغفل المرابطون عن هذا ، بل ساروا على نفس الطريـقة في حفظ كيان سياد م و عز دولتهم .

---

[97]- البكري ، مصدر سابق ، ص 80. و انظر :
Bourouiba, R. **L'architecture Militaire De L'Algerie** Medivale.Office Des Publication Universitaires Algerie 1983,p92,93.

[98] - حسن احمد محمود ، مرجع سابق ، ص 228. و انظر:
– عبدوني حسيبة ، **الحياة العمرانية في عهد الدولة المرابطية خلال القرن 5 هـ -11م**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، 2003 ص 164 .

5- عبد العزيز لعرج، المباني المرينية...،مرجع سابق، ص169.

4

1- Terasse,H . Histoire De Maroc Des Origines A L'Etablissement Du Protoctorale Francais, E. Atlantide, Casablanca, 1949. p 249

2-- عبد العزيز لعرج، المباني المرينية...،مرجع سابق، ص 169.

و تعود أهمية التحصينات العسكريةفي كيفية إنشائها و مدى تلاحم أجزائها و مكونا ا و أيضا الطريقة التي أحكم ا بنيان هذه الأسوار و التي تزداد صلابة كلما مر عليها الزمن و تعرف باسم الطابية أو التراب المدكوك ، و صمود أسوار مدينة ندرومة المبنية ذه المادة يعطي لنا خير دليل على أهمية هذه المادة [102].

و من خير الأدلة و البراهين على قوة و صلابة أسوار ندرومة هو ما استقرءناه من خلال النصوص التاريخية و ما استنتجناه من حصار أبي يعقوب لتلمسان سنة ✇🖰⌛هـ/🗀✇🗎🗁🗁م حين نزل بذراع الصابون من ظاهرها و لم يتمكن من اقتحامها ، و تولى عنها إلى فاس ، و إغارته أثناء الرجوع على مدينة ندرومة و امتناعها ، و في سنة ✇⌛هـ/🗄🖰🗎🗁🗁م تجدد الصراع بين الفريقين خرج فيه أبو يعقوب المريني للمرة الثالثة لغزو تلمسان ، فحاصر مدينة ندرومة بعد أن خرب مدينة وجدة ، و كانت تابعة للزيانيين[103] ، فيتضح أن ندرومة استعصت عليه بالرغم من حصارها و التضييق عليها ، فتركها و عاد إلى بلاده مما دل على أن المدينة كانت على درجة كبيرة من التحصين و الدفاع.

1 - السور: إن بقايا سور مدينة ندرومة و المنتشر في أماكن متفرقة منها سبب لنا صعوبة في تحديد الشكل الذي يتخذه هيكله الحقيقي، حيث لم تظهر لنا الصفة التي كان يسير فيها اتجاهه حول محيط المدينة، غير أن الجهة الجنوبية (انظر الصورة رقم 🖰🗀) هي التي بقيت على حالها أو احتفظت بمعظم جزئيا ا ، و في هذه الجهة فإن السور تختفي آثاره في بعض جهاته فاسحة بذلك ا ال للسكنات الحديثة التي نمت و بصفة واسعة في أطراف المدينة حيث كانت متراصة ويبلغ طول السور في هذه الجهة حوالي 30م ، و نظرا للطبقات الترابية و طبقة الزفت الحديثة المتراكمة على طول امتداد السور فإ ا قللت من ارتفاعه حيث أن الجزء السفلي اختفى تحت هذه الطبقة ، فضلا عن ذلك فإن أجزاءً كبيرة من السور في الجهة الجنوبية اختفت تحت البنايات الحديثة حيث نجدها تظهر بصفة متقطعة .

3- إبراهيم حركات، **النظام السياسي و الحربي في عهد المرابطين** ، منشورات الوحدة العربية المغرب ، ص 185.

4- يحي بن خلدون ، مصدر سابق ، ص209.

و لا يظهر أثر للسور إلا بالإتجاه نحو الجهة الغربية (أنظر الصورة رقم ◉☜▭) التي لم يمـكن لنا تتبع السور فيها نظرا لارتفاعها ، و هي بمحاذاة الوادي الذي يحد المدينة من الجهة الغربية و هي بذلك محصنة طبيعيا و عليه فلم نستطع إذا الاقتراب من السور سوى لإلتقاط الصور .

و لأن المدينة محصنة طبيعيا من هذه الجهة فإن السور قد بقيت معظم أجزائه واضحة المعالم ، و ذلك بالمقارنة مع باقي أجزائه في الجهات الأخرى ، ثم إن ارتفاع المدينة عن مستوى الوادي و بعدها عنه فقد اعتبر فاصلا بينها و بين الأخطار الداهمة أثناء الحروب مما جعل هذه الجهة سهلة ال النظر و المراقبة و تخفيف عبىء الحراسة على الجند .

و للملاحظة فإن السور من هذه الجهة يتبع مخططه انعطافات و تعرجات الوادي و هذا على طول امتداده في الجهة الغربية للمدينة و لا شك في أن ارتفاع السور من هذه الجهة و الذي يفوق خمسة أمتار أحيانا ساعد في حفظه ، و ما دل على ذلك أمران :

الأمر الأول : صموده أمام الهجمات التي تعرضت لها المدينة عدة مرات خاصة تلك التي كانت من قبل المرينيين .

الأمر الثاني : عدم إلحاق الأذى بمعظم أجزائه و ذلك من قبل السكان على عكس ما حدث في الجهة الشرقية حيث أننا نجد إنتشار السكنات الحديثة بكثرة مما أثر عليه في هذه الجهة .

أما من الجهة الشـمالية (أنظر الصورة رقم ▤▭) فإن السور تختفي اثاره لإتساع العمران من هذه الجهة حيث نجد المباني الحديثة و السوق و توزع الدكاكين والمقاهي التـي أنشئت كلها في الفترة الحديـثة ، و أما الجهة الشرقية للسور فإ ا لا تظهر لنا بتاتا و هذا راجع كما أشرنا إلـى المباني الحديثة و تأثير الإنسان ، و من خلال دراستنا الميدانية و استقراء النصوص التاريخية تبين لنا أن نسبة كبيرة من السور اختفت و لـم يبق منه سوى بعض الأطـلال التي سبق ذكرها خاصة و الهجمة العنيفة التي تعرضت لها المدينة سنة ⌨☜◉⧗هـ/⌨◉☜▤▭م حين خرج الجيش المريني و نزل بأفران الجيار إلى الشمال من المدينة [104] ، وتركوا حامية كبيرة بمدينة وجدة تباشر قتال المدن الحدودية بين الدولتين كما

1- السلاوي ، مصدر سابق، ج3 ، ص76 .
2-ابن أبي زرع ، مصدر سابق ، ص236.

يذكر ذلك ابن أبي زرع[105] ، متبعين سياسة التهديم و التخريب و إفساد السابلة و حرق الزروع و الأغراس و قد كانت مدينة ندرومة أكثر المدن معاناة و أشدها تعرضا للضغط و التخريب باعتبارها أهم تلك المدن .

و هذا لا يعني أن أحداث التاريخ هي السبب المباشر و الوحيد في دم أجزاء كبرى من السور و التحصينات ، بل إن عوامل أخرى أثرت بالسلب أيضا كالطبيعة، و أما عن أبعاد بقايا هذا السور و مقاساته فإن سمك جداره قد بلغ المتر أحيانا ، وعند برج القصبة بالجهة الجنوبية نجد سمك الجدار يصل إلى 1.60م ، و يقدر ارتفاع السور بحوالي 5 أمتار و على نفس المستوى من الارتفاع في باقي أجزاء هذه الجهة ، أما ارتفاع السور إذا ما أضيفت له شرافات هذا البرج فيبلغ حوالي 5.45 متر وهذه الشرافات يبلغ ارتفاعها 0.84م و عرضها 0.50 م ، و المسافة بينها أي فتحات الرمي و المراقبة فتبلغ حوالي 0.70م و هي رباعية الشكل ، واستعملت هذه الشرافات لتمكن الجند من المراقبة في حال المدافعة عن حرمة المدينة و سكا ا .

أما المادة المستعملة في بناء السور ، فقد استعملت المواد المحلية و المتمثلة في **الحجارة** التي استخدمها المرابطون بكثرة في مبانيهم و منشآ م العسكرية خاصة، كما يظهر لنا ذلك في المنشآت الدفاعية في مراكش و في تاسغيموت أيضا ثم استعمال الحجارة غير المنجدة بمختلف الأحجام في الأسوار و في أبوا ا الرئيسية بطريقة محكمة البناء [106] ، ثم إن نفس المادة نجدها قد استعملت بطريقة التزاوج بينها و بين الطابية و الآجر في سور تلمسان من الجهة الشمالية الغربية أي من جهة **باب القرمديين** [107] ، و لا غرابة في أن يستعمل المرابطون مثل هذه المواد أيضا في سور مدينة ندرومة على إختلاف أحجامها كما استعملوا **الطابية*** التي اشتهر استعمالها في

-1 Terrasse,H. Et Basset,R. Sanctuaires Almohades , Collection hesperis, Laros, Paris,1932, P384-385.

-2 Marcais,G.L' Architecture Musulmane D'Occdent, Tunisie,Algerie,Maroc ,Espagnole,Sicile,Arts Et Metiers Graphique, Paris , 1954,P219-220.

* - عن التعاريف المختلفة عن هذه المادة أنظر:
- عبد الرحمن بن خلدون ، مصدر سابق ، ج1، ص727.
- العمري ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح: مصطفى أبو ضيف أحمد، ج1، المغرب ،1988 ، ص116.

العمائر المرابطية و الموحدية ، و ذلك لقرب المدينة من جبل فلاوسن لأن استعمال مثل هذه المواد يتم توفيره بأقل جهد ودون تكلفة أو مشقة ،بالإضافة إلى ذلك صلابة هذه المواد وقدر ا على مقاومة عوامل الزمن .

ويعد سور المدينة الحيز أو الحاجز الذي كان يضم كتلة هائلة من المباني والمنشآت الخاصة والعامة في المدينة ،و المتتبع لسور مدينة ندرومة يتبين له هذا من خلال امتداد المدينة من الشمال الى الجنوب بصفة مستطيلة و منحدرة ، ولو أن الكتلتين الشرقية و الغربية كانتا متوفرتين لأمكن لنا ملاحظة ذلك .

2- الأبراج : لقد ظهرت الأبراج في وقت مبكر كسمة هامة في التحصينات العسكرية و ذلك بالنظر إلى الأهمية الوظيفية لها ، حيث أ ا استعملت كمركز مراقبة كي لا تطرق المدينة على حين غفلة ، كما تساعد الجند في الدفاع عن المدينة عند اقتراب العدو و ذلك بالنظر إلى الأهمية الوظيفية لها ، حيث أ ا استعملت كمركز مراقبة كي لا تطرق المدينة على حين غفلة ، كما تساعد الجند في الدفاع عن المدينة عند اقتراب العدو إذ أنه عادة ما تبنى الأبراج فوق مداخل المدينة و هي بذلك تمنع ولوج المحاربين إلى داخل المدينة ، حيث أنه يبنى فوقها سور تعلوه شرافات و تتخلله مزاغل تسمح بحماية الجند و تمكنهم من القيام بمهمة الدفاع عن المدينة على أكمل وجه .

و أما عن مظهرها العام فقد كانت تختلف من حيث الحجم و الشكل حسب أهمية المدينة و أهمية موقع البرج في سورها ، حيث أن شكل البرج في ركن السور يختلف عن شكله فوق المداخل و عادة ما كان يحيط بالمداخل برجان كان من شأ ما تقوية السور المحيط و كان لها إما قاعدة مربعة أو نصف دائرية و ذلك حسب العصر الذي شيدت فيه[108] .

و الملاحظ في هذه الأبراج أ ا تكون ملتحمة بالأسوار من أساسها إلى قمتها كما أ ا تختلف في شكلها و حجمها ، و في مدينة ندرومة لم يبق من آثار و معالم الأبراج سوى برج القصبة (أنظر الصورة رقم 🗀🗁) الذي يقع في الضلع الجنوبية لسور المدينة و يحتوي

108- نيكيتا اليسيف ، **المدينة الإسلامية** ،"التخطيط المادي"،تر:احمد محمد تغلب،نشر،ر.ب سر جنت،اليونسكو،1983 ،ص 102 .

*- عبد الستار عثمان ، مرجع سابق ، ص138 .

تكوينه على شرفات (أنظر الصورة رقم 📁) خاصة بالجند و مزاغل ، و يبلغ طول هذا البرج 5 م و بروزه عن الحائط بـ 4.10 م .

وأما ارتفاعه إلى غاية الشرفات يقدر بـ : 5.40 م ، حيث يزيد ارتفاعه عن السور بـ : 2.10م، وذلك يسمح للمدافعين و الجند بالحراسة و المراقبة لمدى أكبر في مجال الرؤية و بمدى أبعد في مجال الرمي* ، و لقد ـدم جزء كبير منه وذلك راجع طبعا لحوادث الزمن ولعدم الاهتمام بالتراث الإسلامي .

و لا نجد أبراج أخرى على طول السور المترامية حول المدينة مما يوحي لنا أ ا ـدمت و تآكلت أجزاؤها ، حيث لم تشر الدراسات الحديثة إلى مثل هذه الأبراج و لم تأت على ذكرها و ذلك راجع ربما إلى قلة الدراسات الميدانية التي تحدد ذلك .

3- الأبواب : إضافة إلى ما سبق ذكره ، فقد اعتبرت الأبواب في المدينة الإسلامية من أهم العناصر المعمارية التي تضاف إلى التحصينات و مقوما ا ، ويرى المتتبع لاستراتيجية بناء المدينة أن هذا العنصر ذا وظيفة تشكل همزة وصل بين خارج وداخل المدينة، علاوة على هذا فإ ا تعتبر منافذ للمدينة و نوافذ لها ، فهي تأتي في الغالب على شكل قبو أو دهليز أو ممر واسع يسمح بمراقبة الدخول و الخروج ، و أيضا معالجة الفراغ الواصل بين الداخل و الخارج [109]، و قدتنبه إلى هذه الأهمية التي تميزت ا أبواب المدن الإسلامية المؤرخون و الجغرافيون القدامى أمثال القزويني الذي ينصح بأن تفتح عدة أبواب في السور الواحد لكي لا يتزاحم الناس و تحدث الفوضى في مداخل المدينة [110] .

و في مدينة ندرومة فإننا نجدها توفرت على هذا العنصر الهام ، حيث تخترقها أربعة أبواب إثنان منها في الجهة الغربية و الشرقية و تعرف بأسماء باب تازا في الجهة الغربية و باب الفراقي في الجهة الشرقية على التوالي ، و إثنان منها في الجهة الشمالية و الجنوبية و تعرف بأسماء باب المدينة في الجهةالشمالية و باب القصبة في الجهة الجنوبية على التوالي ، و رغم إلتواء طرق المدينة و تعرجها فإن الأبواب في مدينة ندرومة تبدو للمتفحص و المتأمل في مخططها أ ا تموقعت بصفة محورية متناظرة أو تقترب من ذلك ، فمثلا نجد الباب الشمالي يقابل الباب الجنوبي و الباب

---

[109]- إبراهيم بن يوسف ، **إشكالية العمران و المشروع الإسلامي** ، مطبعة أبو داود ، الجزائر ، 1992 ،ص 85.

2- القزويني ، آثار البلاد و أخبار العباد ، دار صادر، بيروت-لبنان، 1960 ،ص07 . و انظر:

- عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية ... ، مرجع سابق ، ص174 .

الغربي نجده أيضا يقابل الباب الشرقي ، كما يبدو ذلك أيضا في مدينة المنصورة التي تحتوي على أربعة أبواب [111] ، حيث تعتبر هذه السمة المعمارية من بين السمات البارزة التي اشتهرت ا الكثير من المدن الإسلامية و يتضح ذلك أيضا في مدينة بغداد حيث توجد ا أربعة أبواب محورية في الجهات الجغرافية الأربعة ،و أطلق عليها أسماء المدن أو المناطق المتجهة إليها و المفتوحة عليها [112] .

و أما عن **الباب الشرقي** فإن تسميته بباب الفراقي الشائعة بين أهل المدينة لم نجد له ذكرا في النصوص التاريخية، غير أننا نرجح في أن تكون هذه التسمية استمدت من افتراق الطرق في هذا المكان و هذا الذي يظهر لنا من خلال المعاينة الميدانية ، و أما عن شكله و تخطيطه فإنه لم يتوفر لدينا الدليل المادي لتحديد معالمه و دراستها لأنه لم يبق له أثر ، غير أن شارع من شوارع المدينة يخترق الفراغ الذي كان يشكل مدخل المدينة من هذه الجهة مما لا يدع مجالا للشك في أنه تعرض للهدم و عوامل الطبيعة .

و أماعن **الباب الغربي** و المسمى بباب تازا فلا شك أن إطلاق مثل هذا الإسم على باب من أبواب المدينة يعتبر سمة هامة و ذلك بالنظر إلى الأهمية التي عرفت ا مدينة تازا ، حيث يقع هذا الباب في الطريق الغربي المؤدي إليها و التي تقع في الحدود الغربية لمدينة ندرومة ، و ربما ارتبطت هذه التسمية برباط تازا و أهميته أنذاك، كما توحي هذه التسمية بالعلاقة التي كانت تربط المدينتين ببعضهما و كذا أهمية هذا الطريق الذي يعتبر ممرا هاما بين تلمسان و مدن المغرب الأقصى، أما عن شكل هذا الباب فلم يمكن لنا تحديده حيث لم نعثر له على أثر ، و لأن شبكة الطرق الحديثة و سعتها من هذه الجهة و من الجهة الشرقية أيضا أتت على بنية الأبواب، و لعل أن باب تازا قد اكتسى أهمية خاصة حيث نجد أن مدينة ندرومة في طرقها الرئيسية خاصة الجنوبي منها قد انفتحت على مدينة تازا و ذلك بالتوجه نحو الجهة الغربية ، و ذلك لما تمثله هذه المدينة من أهمية حضارية .

و أما عن **الباب الشمالي** و المسمى **بباب المدينة** (أنظر الصورة رقم) فإن تسميته تبدو واضحة نظرا لأن الداخل من هذا الباب يفضي مباشرة إلى المدينة و أجزائها ، كما كان

3- عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية ... ، مرجع سابق ، ص175 .

4- كمال الدين سامح ، العمارة في صدر الإسلام ، مطبعة جامعة القاهرة ، 1971، ص58 .

يعتبر حد المدينة من هذه الجهة ، و الذي يمكن قوله هو أن هذه التسمية أطلقت على المدخل في فترة حديثة و ذلك للنمو العمراني الذي عرفته المدينة من هذه الجهة ، و هو ما أتى على بنيته الأساسية حيث أنشأت فوقه بنايات حديثة لم تذر منه سوى عقده الحدوي والذي أدخلت عليه بعض الترميمات الحديثة ، و حسب اعتقادنا و من خلال المعاينة الميدانية فإن هذا الباب يعتبر المعلم الوحيد الذي يظهر لنا حدود المدينة في الجهة الشمالية ، فكما أشرنا فإن السور في هذه الجهة اختفت جل معالمه.

و يعتبر **باب القصبة** (أنظر الصورة رقم 📂📂- 📄📂) الواقع في الجهة الجنوبية من حائط المدينة الباب الوحيد الذي بقي محافظا على تخطيطه الأصلي، و تعود تسميته بهذا الإسم نسبة إلى القصبة التي بنيت جنوب هذا الباب ، فنجده يتوسط الحائط الجنوبي تقريبا ومن خلال المعاينة الميدانية فإننا نجده يحتوي على فتحة تتسع عن 2.52 م و بارتفاع أيضا يقدر بحوالي 2.54 م حيث يشكل مدخلا منكسرا و للإشارة فإن المداخل المنكسرة من بين ما اشتهرت به التحصينات المرابطية ، فباب مراكش المرابطي و الذي يعود إلى عهد علي بن يوسف بن تاشفين و المعروف باسم باب العروس [113] من بين أهم الأمثلة لهذه المداخل ، بالإضافة إلى باب المخزن و الذي يشبهه إلى حد كبير ، إلا أن الفرق بين هذه الأبواب و باب القصبة بمدينة ندرومة هو احتوائهما على برجـ ـان ، و قد اقتدى الموحدون بهذا النظام في إنشاء أبواب مدنهم و مبانيهم المدنية و العسكرية و حتى الدينية ،و يعلو باب القصبة قبو ذو عقدين متقاطعين يحصر لنا فراغا مربع الشكل ذو مقاسات 2.54 م طولا و حوالي 2.52م عرضا يفضي إلى داخل المدينة ، و الذي يتجلى للباحث من خلال المعاينة الميدانية أن الباب الجنوبي أي باب القصبة و الباب الشمالي المسمى بباب المدينة هما البابان الرئيسيان للمدينة ، و يرجح أنه كان لهما دور أكبر من باقي الأبواب ، و ذلك بالنظر إلى حجمهما و اتساع فتحاتهما و أيضا لاتصالهما بالطرق الرئيسية المؤدية للمدينة ،كما يقع باب القصبة و باب المدينة على محور واحد .

و الذي يظهر للباحث في أصل تسمية هذه الأبواب، أن النصوص التاريخية لم تشر إلى ذلك و يصعب عليه التأويل ، فغالبا ما كانت أبواب المدن الإسلامية سواء في المشرق أو في المغرب لها دلالاتها في التاريخ السياسي و الاقتصادي و الحضاري لكن الأمر الذي يمكن لنا قوله هو أن

-1 Marcais,G.L' Architecture … , Op-Cit,P219.

الكثير من سكان هذه المدينة قد تناقلوا هذه التسميات الخاصة بأبواب المدينة و غيرها من المنشآت الأخرى أبا عن جد ، مما يوحي لنا أن أصل هذه التسميات يعود إلى فترات قديمة من تاريخ المدينة و ربما إلى الفترة المرابطية ، و هذا مما لم تشر إليه الدراسات في هذا الصدد و لا غرابة في أن إطلاق هذه التسميات على أبواب المدن في المغرب الإسلامي عامة له إيحاءات و دلالات تاريخية ، حيث أننا نجد أمثلة لذلك في مدينة المنصورة التي سمي أحد أبوا ا بباب فاس [114]، و الذي نجده قد فتح في اتجاه بلاد بني مرين و عاصمتهم فاس ، و إطلاق اسم باب تازا في مدينة ندرومة له عدة دلالات و ذلك لما تتميز به هذه المدينة خاصة و أن الطريق الجنوبي يربط المدينتين ببعضهما .

و مهما يكن فإن مدينة ندرومة بتحصينا ا العسكرية من أسوار و أبراج ومداخل استطاعت أن تشكل حلقة من حلقات التاريخ العسكري و السياسي تاركة لنا مجالا واسعا كغيرها من المدن الإسلامية للبحث و كشف أسرار هذا ا ال مستقبلا .

---

[114]- ابن مرزوق ، مصدر سابق ، ص 403 .

الفصل الثالث: **المنشآت الدينية**

- الجامع الكبير
- مسجد القدّارين
- مسجد لالة الزهراء

المنشآت الدينية :

تعتبر المنشآت الدينية الميزة الخاصة التي إنفردت ا المدينة الإسلامية ، عن غيرها من المدن، فهي الصبغة الدينية التي يتميز ا المسلمون عن غيرهم من الشعوب حيث يظهر لنا المسجد الجامع وهو يتوسط المدينة و هو يعد بمثابة القلب النابض لها ويضاف إليه مساجد الأحياء التي تتوزع في

أحياء المدينة و التي تطورت مع الحياة الإجتماعية لأفراد الحي وسكانه عبر العصور التاريخية المتتابعة[115] .

وقد قامت الدولة المرابطية كحركة إصلاح دينية على أكتاف بربر الصحراء و على المذهب المالكي الذي يدعو إلى إحياء السنن النبوية و العودة با تمع الإسلامي إلى نقائه الأول، فاتحة بذلك ا ال للاهتمام بالعمارة الدينية و اتخاذها كقاعدة للدعوة و الجهاد، حيث امتازت هذه العمارة بالبساطة و هي إحدى سمات الشخصية المرابطية، لذلك فإنه لم يصل إلينا إلا القليل منها [116].

إن المتتبع للتاريخ المرابطي يلاحظ أن المرابطين رغم أ م اهتموا بالتحصينات العسكرية و بناء الحصون و الأسوار ، إلا أ م أولو اهتماما خاصا بالمنشآت الدينية و العناية ا، و كان الهدف من ذلك كله طبعا من أجل تقوية بنية ا تمع لتحقيق نجاح أكثر انطلاقا من قوله سبحانه وتعالى :

" **أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله** خير **أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فا ار به** في **نار جهنم و الله لا يهدي القوم الظّا**لمين "[117] .

المساجد:

المسجد **لغة** : نقول سجد الرجل ، وضع جبهته على الأرض و سجد البعير خف رأسه عند ركوبه، و المسجِد بكسر الجيم جمع مساجد –مصلى الجماعة- و منه المسجد الحرام في مكة و المسجد الأقصى في بيت المقدس، و المسجد بفتح الجيم جبهة الرجل و موضع السجود من بدنه .

---

115 - محمد عبد الستار عثمان ، مرجع سابق ،ص 233. و انظر :
- عبد الفتاح محمد وهيبة ،مرجع سابق، ص44.

116- سعد زغلول عبد الحميد، **العمارة و الفنون في دولة الإسلام** ، منشأة المعارف، الإسكندرية 1986،ص 495 . وانظر :
- محمد عبد العزيز مرزوق، **الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب و الأندلس**،دار الثقافة، بيروت، ص61 .

117- سورة التوبة ، آية(109) .

أما **اصطلاحا** فالمسجد هو المكان المخصص للصلوات الخمس و منه المسجد الجامع[118]، و قد وجد في عهد النبي صلى الله عليه و سلم المسجد الجامع و الذي خصص لهذا الغرض، و لقد أصبحت الكلمتان الجامع و المسجد مترادفتين و هما تؤديان في أذهان الناس من أبناء زماننا مفهوما واحدا، مع أن أولاهما يقصد ا إطلاق القول على عمومه، و الثانية يراد ا تخصيصه، ذلك أن كل جامع هو في نفس الوقت مسجد و ليس كل مسجد جامع، و الفرق بينهما أن الجامع هو المسجد الذي تؤدى فيه الصلاة الجامعة ، بينما المسجد هو المكان الذي تؤدى فيه الصلاة اليومية [119].

و قد كان المسجد في السابق يؤدي إلى جانب وظيفته التعبدية و إقام الصلاة رسالة حضارية في مختلف وجوه النشاطات الإنسانية التي يعيشها البشر في حيا م منفردين و مجتمعين في آن واحد، إذ هو مركز الحياة الحقيقي عند العرب، فاتخذه العلماء مقرا لهم و أصبح مكانا تتخذ فيه القرارت التي تتعلق بالمصالح العامة ، و هو مركز للتعليم ، و المسجد هو بيت للنظر في مصالح الأمة حيث كان يقوم بنفس المهمة التي يؤديها مجلس النواب في العصر الحديث، و يكفي أن يأمر الخليفة أو السلطان من ينادي في الناس (الصلاة جامعة) حتى يترك المسلمون ما بأيديهم من أعمال ليشهدوا ما يتعلق بمصالحهم [120].

و تعتبر المساجد من أهم المباني التي تمتاز ا العمارة الإسلامية، و التي تميزت بالبساطة في تخطيطها كما ذكر ابن خلدون ذلك بقوله "... أن المباني و المصانع في الملة الإسلامية قليلة بالنسبة إلى قدر ا و إلى من كان قبلها من الدول ...و السبب في ذلك ما ذكرنا مثله في البربر بعينه إذ

1- عاصم محمد رزق، **معجم المصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية** ، ط1، مكتبة مدبولي،2000، ص282. و انظر :

- سعاد ماهر محمد، **مساجد مصر و أولياؤها الصالحون** ، مطابع الأهرام التجارية ، مصر، 1971، ص30-31.

2- الشيخ طه الولي ، **المساجد في الإسلام** ، ط1، دار العلم للملايين ،بيروت –لبنان ، 1988 ،ص145.

1- غوستاف لوبون ، مرجع سابق ، ص525 . و عن الأغراض العامة للمسجد أنظر :

- الشيخ طه الولي، مرجع سابق ص158وص168 .

2- عبد الرحمن بن خلدون ،مصدر سابق ،ج 3، ص 856 –857. و انظر :

- زكي محمد حسن ، **فنون الإسلام**، دار الرائد العربي ، بيروت لبنان ، 1981 ، ص21 . و عن التعاريف المختلفة للمسجد أنظر :

- حسن عبد الوهاب ، **تاريخ المساجد الأثرية** ط 2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر ،1994،ص 11 .

العرب أعرق في البداوة و أبعد عن الصنائع و أيضا فكان الدين أول الأمر مانعا من المغالات في البنيان و الإسراف فيه ..."[121] ، لذلك نلمس في المساجد الأولى في الإسلام المسحة البسيطة في بنائها، حيث كانت قطعة الأرض تحاط بأربعة جدران و قد تحاط بخندق محفور كما كان الحال في مسجد الكوفة ، و كان السقف يقام على أعمدة مصنوعة من جذوع النخل أو مأخوذة من الأعمدة الحجرية في المعابد و الكنائس القديمة و المهجورة في المناطق التي فتحها العرب .

لقد اهتم المرابطون بالمساجد حاكميهم ومحكوميهم و ما يظهر لنا ذلك هو الأمر الذي وجهه يوسف بن تاشفين إلى ولاة دولته ورعاياه على بناء المساجد والإكثار منها، وأن تاركها بالمقابل يعاقب عنها حيث أنه عندما استقر بمراكش أمر ببناء مسجد للصلاة و قصبة صغيرة خاصة لجمع الأموال وقد شارك بنفسه في بناء المسجد تواضعا منه وتورّعا[122] .

<u>الجامع الكبير بندرومة</u> : (أنظر الشكل رقم 02)

يقع هذا المسجد في الجهة الجنوبية من المدينة ويعتبر من بين أهم المنشآت المرابطية في المدينة اعتمادا على جزء كبير منه بقي محافظا على هيئته و استنادا إلى النقش الكتابي المحفور على المنبر الذي يوجد جزء منه بالمتحف الوطني للآثار بالعاصمة بأنه يعتبر من بين الأعمال التي قام ا يوسف بن تاشفين ، حيث جاء في النقش المكتوب مايلي :

(بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و آله الطيبين و سلم تسليما، لا إله إلا الله محمد رسول الله إن (الدين) عند الله (الإسلام) ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخاسرين) هذا مما أنعم (به) الأمير السيد يوسف بن تاشفين أدام الله توفيقه و أجزل...(و) كان الفراغ منه على يدي الفقيه القاضي أبو محمد عبد الله بن سعيد يوم الخميس السابع عشر من شهر...".واختلف كل من كتب حول المسجد في إسم الأمير أو المؤسس الحقيقي للمسجد لأن عوامل الزمن و الأرضة أتلفت أجزاء كبيرة من الكتابة التي وجدت عليه[123]، و يؤكد باسي أن المؤسس هو يوسف بن تاشفين في الفترة التي صار فيها سيد المغرب

---

[122]- ابن أبي زرع ، مصدر سابق ،ص 95. و انظر: =

= - السيد عبد العزيز سالم ، تخطيط مدينة الإسكندرية...، مرجع سابق ،ج 2 ، ص 749 .

1- Basset, R.Op-Cit, p22.

2- Marcais,G. **<u>La Chaire De La Grande Mosqueé De Nedroma</u>** _ **<u>Cinquantaine De La Faculté Des Lettres D'Alger</u>** , 1932,p321.

- Marcais,G.**<u>L'architecture Musulmane</u>** …, OP-Cit,p191.

أي " 474هـ" بينما يؤكد جورج مارسي من ناحية أخرى أنه من المحتمل أن يكون أحد أبناءه هو من أسس المسجد ولم يتول الحكم مثل العزيز الذي تنطبق عليه تمام الإنطباق صفة (الأمير السيد)[124] ، غير أننا نرجح القول الذي يرى أن يوسف بن تاشفين هو الذي بناه ، و هو الرأي الذي أكده رشيد بورويبة[125]، و ما يدلنا على ذلك اهتمام هذا الأمير ببناء المساجد، وكذلك الأمر الذي وجهه للولاة بأن يتخذوا المساجد و يعظموا شأ ا و إن ما يؤكد ذلك هو التفاصيل التي تشابه فيها هذا المسجد و باقي المساجد المرابطية ذات الصحن المكشوف ، كما أشار إلى ذلك الأستاذ عبد الرحمن الجيلالي أنه إذا ما قارنا هذا المسجد بالمسجد الجامع بالجزائر العاصمة، فإنه صورة طبق الأصل ما عدى الاختلاف الذي نشاهده في المساحة فقط [126].

<u>الوصف العام للمسجد</u> :

لقد حافظ المسجد الجامع بمدينة ندرومة على معظم أقسامه المعمارية، من الصحن و الجدران و المداخل و المحراب و غيرها، حيث بنيت جدرانه بالطابية و يشغل الجامع شكلا مستطيلا يمتد من الشرق إلى الغرب .

و أما عن تخطيطه العام فقد جاء بناؤه على نفس النمط الذي اعتمد في الجناح الشرقي و الغربي لبلاد الإسلام، و لقد كان المسجد النبوي النموذج الرئيسي الذي شيدت على نمطه المساجد الجامعة، و كان هذا التخطيط يسمى بالتخطيط ذي الصحن و الظلات .

و لقد كان المسجد النبوي في بدايته بسيطا ثم زاد عمر بن الخطاب في مساحته و لم يكتمل تخطيطه إلا في عهد عثمان بن عفان، و من ثم صار نموذجا اهتدى به المسلمون و ساروا عليه في تخطيط المساجد في شرق العالم الإسلامي و غربه مع بعض الإختلاف في التفاصيل من

- رشيد بورويبة ، **<u>الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية</u>** تر : إبراهيم شبّوخ ،إصدارات المكتبة الوطنية ، الجزائر 1979م ، ص 53-54 .

Bourouiba,R.L’Art Religieux Musulman En Algerie , 2. E, Alger,1981,P122-123. -1

[126]- عبد الرحمان الجيلالي ، **<u>تاريخ المدن الثلاث ، الجزائر ، المدية ، مليانة</u>** ط2 ، مطبعة صاري بدر الدين و أبناؤه ، الجزائر 1972 ، ص 35.

ناحية عدد الظلات و كبر المساحة التي يشغلها المسجد أو صغرها تبعا لتعداد أهالي المنطقة التي شيد ا المسجد[127] .

و لقد استعمل هذا النظام في المساجد الأولى للإسلام، فلقد كان المسجد الأموي بدمشق يحتوي على ظلات تحيط بالصحن من جهاته الأربعة تتكون كل منها من رواق واحد باستثناء بيت الصلاة الذي كان به ثلاث أروقة تتجه بلاطا ا موازية لجدار القبلة، و ذلك عندما بناه الوليد بن عبد الملك عام 96هـ ، كما أن مسجد قرطبة لما بناه عبد الرحمان الداخل عام 170هـ لم تكن به إلا ظلة القبلة التي كانت تتجه بلاطا ا عمودية على جدار القبلة و أضيفت له الأروقة الثلاثة الباقية عام 340هـ/951م[128] .

و استمر هذا النظام إلى فترات طويلة فقد ذكر أحمد فكري رحمه الله أن مساجد القاهرة في العصر الفاطمي ظلت محتفظة بنظم المساجد الجامعة الأولى، و لها مثلها بيوت مسقوفة للصلاة تمتد أساكيبها موازية لجدار القبلة و تنقسم إلى بلاطات أو فيها أ اء مكشوفة، و تحيط بكل منها مجنبات من رواق أو أكثر[129] .

كما أن مسجد القيروان يعتبر المرجع في تخطيط المساجد المغربية، فقد كان يحيط بصحنه أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة و ذلك لما أعيد بناؤه عام 221هـ/736م، و قد كانت بلاطاته تتجه عمودية على جدار القبلة[130] ، و إن المتفحص لمعظم مخططات المساجد المغربية و الأندلسية لا يجدها في جملتها تنفك على هذا التخطيط ذي الصحن و الظلات، حيث جرت العادة بأن يمتد بيت الصلاة حتى يشغل معظم مساحة المسجد ، و هو ما نراه في مسجد ندرومة، الذي يمتد فيه بيت الصلاة إلى مؤخرة المسجد، و قد اتبع هذا المخطط أيضا في المساجد السابقة الذكر، و بذلك

---

[127]- فريد شافعي، **العمارة العربية في مصر الإسلامية، عصر الولاة**، ج1، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر، المطبعة لثقافية، 1970، ص241،237،66 . و انظر :
- نجوى عثمان، **مساجد القيروان** ، ط1 ، دار عكرمة، دمشق، 200، ص 66 .
[128]- نفســه، ص 243-245 . - عن مسجد قرطبة أنظر:
- عبد العزيز الدولاتلي ، **مسجد قرطبة و قصر الحمراء**، دار الجنوب للنشر ، تونس، 1977
[129]- أحمد فكري، **مساجد القاهرة و مدارسها، العصر الفاطمي**، ج1، دار المعارف بمصر-الإسكندرية، 1962، ص 125 .
[130]- فريد شافعي، مرجع سابق ، ص 245 . و انظر :
- حسين مؤنس ، **المساجد**، م.و.ت.ف.أ، الكويت،1981، ص180-193 . =
- Golvin, L.**Essai Sur L'Architecture Religieuse Musulmane**, T3 , L'art Hispanos Musulman, E., Klin Cksieck , Paris 1979 ,P 140,148.
- Marcais,G.**L'architecture Musulmane** …, OP-Cit,p09 .

فإن عمق بيت الصلاة يمثل سمة مشتركة بين هذه المساجد الجامعة غير أن الزيادات التي حصلت في مسجد قرطبة جعلته يفضل هذه المساجد مساحة، إذ يعتبر بيت الصلاة فيه أضخم بيت صلاة بني في الإسـلام[131]، و أما عن صحن مسجد ندرومة فهو على نمط المساجد المغربية، فهو مكشوف و أقل حجما من بيت الصلاة و نلاحظ ذلك أيضا في مسجد القيروان و الذي احتوى على صحن مكشوف يقارب حجم بيت الصلاة فيه .

و قد جمعت كثير من الميزات مسجد ندرومة بأسلافه من المساجد المغربية و سيتضح ذلك من خلال الأمثلة أثناء دراسة العناصر المعمارية بالتفصيل .

و أما **عن حالة المسجد** فإنه يظهر لنا من خلال المعاينة الميدانية أنه أجريت عليه بعض الترميمات، و ذلك في ما يتعلق بكسوة جدرانه بسبب ما لحقها من جراء الرطوبة و الأمطار، و عموما فإن المسجد الجامع لندرومة من الداخل قد احتوى على صحن مكشوف تحيط به أربعة أروقة أوسعها رواق القبلة الذي يمثل بيت الصلاة و يتقدمه حائط القبلة الذي يتوسطه المحراب، و يلي الصحن من الخلف جدار مؤخرة المسجد ، و يعتبر المسجد من حيث شكله و مساحته مشا ا للمسجد الجامع بالجزائر العاصمة [*] ، و بمسجد تلمسان (أنظر الشكلين 03-04)، و الجدير بالذكر ها هنا هو أن مسجد ندرومة أقل حجما من هذين المسجدين و السبب في ذلك هو الفرق بين أهمية هذه المدن، فلقد كانت كل من تلمسان و الجزائر عاصمة إقليمية للمرابطين ، و بالتالي فإن حجمهما أكبر من حجم مدينة ندرومة .

بيت الصلاة :

يقوم بيت الصلاة عادة على عمد تحمل فوقها عقودا أو أقواسا يكون فوقها السقف و هذه الأعمدة تقسم بيت الصلاة إلى أروقة رأسية و أخرى موازية لجدار القبلة.

و أما بيت الصلاة في مسجد ندرومة فإنه ذو شكل مستطيل عرضه 28.30 م و عمقه 9.70م[132]، أي أن عمق بيت الصلاة فيه أقل عمقا من عرضه كما هو الحال في بيت الصلاة

131- حسين مؤنس ، المساجد...، مرجع سابق ، ص 197 .

*- أنظر : Marcais,G. **La Chaire De La Grande Mosqueé D'Alger** , Hesperis , 1926 .

132- 1- Golvin, L.**Essai Sur L'Architecture …** , T_4 , Op-Cit ,P 172.

-2 Bourouiba,R.L'Art Religieux Musulman…, Op-Cit,P109.

بمسجدي الجزائر و تلمسان، و هذا من بين ما امتازت به العمارة المرابطية في المنشآت الدينية و يتكون بيت الصلاة من تسع بلاطات عمودية على حائط القبلة وستة أساكيب، بخلاف ما هي عليه في جامع دمشق[133] بل إنه في هذا النظام التخطيطي يشبه المسجد النبوي بالمدينة و مسجد القيروان و مسجد قرطبة و هو النظام الذي انتهجه المرابطون في بناء كلٍ من المسجد الجامع بتلمسان و مسجدهم بالجزائر، وتعتبر البلاطة المركزية الممتدة من المحراب إلى الصحن هي الأوسع إذا ما قورنت بباقي البلاطات، و هذا ما اشتهرت به مخططات كثير من المساجد، حيث أصبحت ميزة واضحة من ميزا ا ، كما يظهر في المساجد السابقة العهد عن مسجد ندرومة كالمسجد الأموي بدمشق و مساجد مصر و نجد أيضا هذه الظاهر في المسجد الجامع بالقيروان و مسجد قرطبة و تازا و تنمل و مراكش و إشبيلية و الرباط و مسجد فاس[134] .

المحـ ـراب :

لقد ورد لفظ المحراب في آيات من القرآن واضحة المعاني و الدلالة الأولى في سورة مريم عن قصة زكريا عليه السلام " فخرج على قومه من المحراب " مريم الآية 11، و في قوله تعالى " كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا" آل عمران الآية 37، و قد أطلقت كلمة المحراب في تلك الآيات على حجرة أو صومعة يؤدي فيها المتعبد شعائر الصلاة و مناجاة الله و التقرب إليه، و من ثم فقد اقتبست بالنسبة للمساجد كعلامة تعين اتجاهه أقدس مكان عند المسلمين يتجهون إليه في صلا م، و سواء كانت هذه العلامة على هيئة رسم مسطح أو غائر أو بارز فهو مجرد رمز يعين اتجاه بيت الله الحرام[135] .

و لقد تطور المحراب تطورا فائقا حيث نجد أنه كان على هيئة علامة في جدار القبلة تتميز بالبساطة تطور مع تطور العمارة المسجدية إلى محراب مجوف، و لعل أقدم محراب مجوف ذلك الموجود بقبة الصخرة في القدس، ثم محراب المسجد الأموي بدمشق و نجد هذا النوع من المحاريب في كل من الكوفة و البصرة و الفسطاط و القيروان[136]، و بالنسبة إلى هذا الأخير فإن المحراب الموجود به و الذي أضافه زيادة الله بن الأغلب كان مجوفا و هو على نسق المحراب الأصلي ا وف

1- حسين مؤنس ، مرجع سابق ، ص180 .

135- فريد شافعي، مرجع سابق ، ص 609 .

136- نفســه، ص 611، 623-624 .

أيضا الذي بناه عقبة بن نافع و هو خلف المحراب الحالي[137]، و هو ما يدل على أن هذا النوع من المحاريب انتشر منذ زمن مبكر .

و بالنسبة لمسجد ندرومة فإنه لم يخرج عن عمارة المساجد السابقة له، بل إن المرابطين اقتبسوا هذا النموذج من المحاريب فجاء محراب المسجد الجامع مجوفا غائرا في جدار القبلة، و كان يحتل تقريبا وسط هذه الجهة من المسجد، و هو أيضا يشبه إلى حد كبير محرابي جامع تلمسان و جامع الجزائر، و لا نجد أثرا لتعدد المحاريب في مسجد ندرومة و في معظم المساجد المغربية والأندلسية، و هي الظاهرة التي انتشرت في بلاد المشرق في بعض المساجد و التي اعتبرها بعض علماء الآثار ظاهرة زخرفية ليس إلا .

كما أن انتشار المحاريب المسطحة في بلاد المغرب لم يكن بالصفة التي انتشرت ا المحاريب ا وفة، فقد وجد هذا النوع من المحاريب خاصة في مصر و بقيت نماذج عديدة منها تعود للفترة الفاطمية[138] .

و مما نلاحظه أيضا في مسجد ندرومة عنصر **العـ ة** و هي (أي العـ ة) الحربة أو اللواء الذي يركزه شيخ القبيلة في الصحراء قبل القيام إلى الصلاة ليحدد موضع المحراب من الفضاء و مقام الإمام من المصلين، وقد عرف هذا منذ عهد النبي صلى الله عليه و سلم ، و من هنا تظهر العلاقة القوية بين العـ ة و المحراب فهي تقابله على محوره عبر البلاطة العمودية عليه و تقام في الصحن عند اية بلاطة المحراب، و تشير إلى اتجاه حائط القبلة و المحراب معا و هي ذا بمثابة محراب ثاني أو محراب رمزي يهتدي به المصلون لاتجاه القبلة في صلا م فرادي و جماعات خاصة الغرباء منهم، و نظرا لاكتظاظ المساجد في تلك الأيام فقد دعت الحاجة إلى اتخاذ موضع يقابل المحراب يقف فيه إمام ثان أو مؤذن يردد ابتهالات خطيب المسجد و تكبيره حتى يستطيع من يصلي في الصحن و الأروقة الأخرى متابعة الإمام دون مشقة، و قد ظهر هذا العنصر ليؤدي نفس الوظيفة التي تؤديها دكة المبلغ التي استعملت في المساجد المشرقية و نجد أمثلة عن عنصر العـ ة في المسجد الجامع بالقيروان حيث ظهرت فيه سنة 261هـ و وجدت في مسجد الزيتونة منذ عام

137- نجوى عثمان ، مرجع سابق ، ص 74-75 .

138- فريد شافعي ، مرجع سابق ، ص 623-624 . و انظر :

- أحمد فكري، مساجد القاهرة...، مرجع سابق ، ص145 .

381هـ و ظهرت أيضا في المسجد الجامع بالقاهرة[139] و هو ما نجده أيضا في المساجد المغربية، فنجدها مثلا في المساجد المرابطية كالمسجد الجامع بتلمسان و المسجد الجامع بالجزائر و مسجدنا موضوع الدراسة، و انتشرت بعد هذه الفترة في المساجد المرينية كمسجد سيدي الحلوي و مسجد سيدي أبي مدين بتلمسان[140] .

الصحن :

يعتبر الصحن من بين أبرز العناصر في المساجد و ذلك بالنظر إلى أهميته، و قد تطور الصحن تبعا للنظام التخطيط للمسجد و كذا للمناطق التي يوجد ا، أي أن المناخ كان له دور في تحديد شكل الصحون، و قد كانت الصحون تغرس فيها الأشجار لتلطيف الجو، كما فرش الصحن في أول الأمر بالحصى ثم بلط بعد ذلك، كما كان ذلك في مسجد القيروان .

و قد كان شكل الصحون تبعا لنظام تخطيط المسجد فقد كان في المسجد النبوي بصفة طولية أي أن عمقه أكبر من عرضه و ذلك بعد الزيادات التي تمت به .

أما في المسجد الأموي بدمشق فقد كان الصحن أعرض من العمق، و في المغرب فإن جامع القيروان كان يشبه إلى حد كبير الجامع النبوي، و كذا معظم مساجد تلك الفترة، و لم ينتشر نظام صحون مماثلة للمسجد الأموي إلا بعد القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي و هو ما نلمسه في جامع قرطبة و جامع إشبيلية، وهو ما يظهر أيضا في جامعي تلمسان و الجزائر[141] المرابطيين، و هو ما انتهج في مسجد ندرومة .

ذكرنا فيما سبق أن حجم الصحن تحدده أي أن المناخ له دور كبير في تحديد شكلها حيث كانت تعمل مفتوحة في البلاد الحارة و لكنها في البلاد الباردة كانت تبنى بحيث يمكن من خلالها دفع البرودة عنها و للصحن أهمية بالغة في المباني الإسلامية حيث يستمد منه المبنى الإضاءة و التهوية و يتم عن طريقه التخفيف من حدة الضوء الذي تزداد قوته صيفا، كما يقوم بترشيح الهواء و تنقيته و يتم هذا حسب المناطق الإسلامية و موقعها شمالا و جنوبا، و للصحن أيضا

---

[139]- أحمد فكري، مساجد القاهرة...، مرجع سابق ، ص142 . و انظر :
Golvin, L.Essai Sur L'Architecture … , T_1 , Op-Cit ,P 46 .

[140]- عبد العزيز لعرج، المباني المرينية...، مرجع سابق، ص 547 .

[141] -Golvin, L.Essai Sur L'Architecture … , T_1 , Op-Cit ,P 45 .

وظائف أخرى منها التقليل من حدة الرياح و التخفيف من حدة التيارات الهوائية[142]، بالإضافة إلى أنه يستقطب المصلين إذا ضاق المسجد بأهله خاصة أيام الجمعة و المناسبات و نجد أن كثيرا من الصحون ا نافورة ماء تبنى في وسطها و هي ذا تساعد على تلطيف الجو، كما تستعمل للوضوء و الشرب[143] .

إن صحن المسجد الجامع بندرومة أقل اتساعا إذا ما قورن بصحن مسجد تلمسان، ذلك لأن اهتمام المعماري بتوسيع بيت الصلاة ربما هو السبب المباشر في عدم توسعته كما هو الحال في مسجد عقبة بالقيروان *، كما أن عامل المناخ كان له الأثر الكبير في بناء المساجد في العالم الإسلامي، إلا أن الإختلاف بين مسجد ندرومة و مسجد عقبة بالقيروان يكمن في كون أن هذا الأخير جاء خاليا من ا نبات، بينما نجدها في مسجد ندرومة قد أحاطت بالصحن، و شكل صحن المسجد مستطيل و مقاساته (9م/6.80م) و تتوسطه فوارة يرجح أ ا حديثة العهد نظرا لأنه لم ترد إشارة إليها تم الحديث فيها عن هذه الفوارة، ويتميز الصحن بصغر مساحته إذا ما قورن ببيت الصلاة، وأيضا بمساحة المسجد الإجمالية.

فإنه أقل مساحة منه و نجده يقترب من التقاليد التي سارت عليها *وأما إذا قورن بباقي المساجد المرابطية كمسجد تلمسان صحون العمائر الدينية و المدنية المغربية و الأندلسية، ونحن لا نعلم إذا كان صحن المسجد قد تعرض لتغييرات وتجديدات كتلك التي أحدثت في صحن المسجد الجامع بتلمسان في عهد الدولة الزيانية و ربما على يد يغمراسن نفسه، حيث تقلص مسجد القرويين حجم الصحن في المسجد المرابطي ليصبح ذو شكل مربع بعد أن كان مستطيلا مثلما كان عليه صحن في فاس[144].

---

[142]- عبد العزيز لعرج، المبان يالمرينية ...، مرجع سابق، ص 576 .

[143]- محمد حسين جودي، مرجع سابق، ص62 .

*- عن هذا المسجد أنظر :

– أحمد فكري ، **المسجد الجامع بالقيروان**، مطبعة المعارف، مصر، 1936 .

*- عن هذا المسجد أنظر:

Marcais,G.Et ,W.**Les Monuments Arabes De Tlemcen**, Fontemoing ,Paris,1905 Marcais G.L'Architecture…, Op- Cit,p :197.199. -1 Bourouiba, R.Op-Cit, p 160. -2

.

و للإشارة فإن صحون المساجد المغربية والأندلسية قد اتخذت نمطا واحدا أصبح فيما بعد تقليدا متبعا فيما بينها حيث كانت مستطيلة عرضها أكبر حجما إذا ما قورن بعمقها، لتظل فيما بعد الصورة القائمة في المساجد المرابطية والموحدية على حد سواء و أصبحت منذ ذلك الوقت سمة من سمات العمارة المرابطية و الموحدية يمكن من خلالها تحديد صفة نوع العمارة و تنميطها[145].

أعمدة الجامع و دعاماته:

لقد شاع استخدام الدعامات في بلاد المشرق و المغرب بصفة عامة و نظرا للأهمية التي امتازت ا الدعامات من حيث صلابتها و قوة ارتكازها فإننا نجدها استعملت في العمائر الإسلامية المبكرة فمثلا نجدها في مسجد قبة الصخرة و المسجد الأموي، حيث بنيت بالحجارة كما نجدها استعملت في قصر الأخيضر وكانت مادة بنائها فيه بالآجر، و انتشرت خاصة بعد القرن الثالث هجري و قوي انتشارها في القرنين السادس و السابع الهجريين و ما بعد ذلك، و لقد كثر استعمال الدعامات بالمنشآت المرابطية فقد بنيت معظمها بالحجارة لتتطور فيما بعد، و نجد أمثلة عن هذا في كل من المسجد الجامع بتلمسان و المسجد الجامع بالجزائر، و لعل أن الإهتمام بالدعامات يعود أساسا إلى وظيفتها الحساسة داخل المباني الدينية خاصة، بحيث أ ا تحمل العقود الرافعة للسقف، كما أ ا تحافظ على توازن المبنى لذا فإننا نجدها استخدمت و تطور استعمالها لدى المرابطين و لم تكن حكرا عليهم بل إ ا شملت المنشآت الموحدية فيما بعد كجامع تازا و تنمل و الكتبية و كذا نجدها في الفترة المرينية[146].

يحتوي المسجد الجامع بمدينة ندرومة على 37 دعامة أكبرها دعامات رواق القبلة حيث اعتمدت عقود المسجد على دعامات مستطيلة أو على شكل اللام الأوسط أو على شكل متقاطع و المربع و المستطيل يحمل عقدين أما الذي على شكل اللام الأوسط فيحمل 3عقود والدعامةالقاطعة تحمل 4 عقود، و لا شك في أن الأعمدة و الدعامات و ما يتصل ا أصبح بابا

[146]- عبدالعزيز لعرج، المباني المرينية...، مرجع سابق، ص 559،557-560 .

واسعا من أبواب العمارة الإسلامية أضاف فيه المعماري المسلم إضافات لا بأس ا ، سواء في أشكالها أو في وسائل ربطه بعضها ببعض و كيفية وصل العقود بالسقف أو إقامة قباب فوقها، فبواسطة الأعمدة ينقسم بيت الصلاة إلى أروقة عمودية و أخرى عرضية موازية لجدار القبلة [147] ، و أما عن استعمال الأعمدة في المسجد الجامع بندرومة فهو كغيره من المساجد المرابطية لم يعتمد في مظهره الداخلي على الأعمدة و ذلك لأن معظم المساجد المرابطية خضعت لنمط جديد ألا وهو الدعامات التي تكون دوما ذات قاعدة مطولة أو مصلبة ليس لها من الرشاقة حظ كبير[148]، و قد تباينت في المسجد الدعامات بمقاسا ا المختلفة، و يتبن لنا من خلال هذا مدى الثقل الذي تحمله هذه الدعامات باتخاذها أشكالا مختلفة وذلك لإحداث التوازن في هذه المنشأة .

العقود:

لقد شاع استعمال العقد الحدوي في الفن المرابطي و بالأخص في المغرب و الأندلس[149]، و يعتبر العقد الحدوي أو عقد حدوة الفرس من بين أهم العناصر البارزة في العمارة المغربية والأندلسية، فبالرغم من أنه ظهر في العمارة المشرقية وبالضبط في المسجد الأموي بدمشق فقد حضي بعناية خاصة في المغرب والأندلس[150]، وتعود الحلقات السابقة للعصر الإسلامي إلى العمارة في شمال الجزيرة العربية في كل من العصر الساساني والعصر البزنطي، ذلك أن أقدم مثل مؤرخ من عقد حدوة الفرس يوجد في معمدانية مار يعقوب بمدينة نصيبين، ثم تأتي الحلقات التالية في الشام وآسيا الصغرى ففي المسجد الأموي بدمشق نجد هذا النوع من العقود في البائكات المحيطة بالصحن والشبابيك التي تعلوتلك العقود ومما يستوقف النظر أن هذا النوع لم ينتشر في العمارة العربية في الشرق الإسلامي مثلما إنتشر في غربه الذي يمكن القول بأنه هاجر إليه منذ العصر الإسلامي المبكر وأصبح من أشهر مميزات العناصر المعمارية هناك[151]، ونجد هذا النوع من العقود قد استعمل في جامع عقبة بتونس بنوعيه الدائري والمدبب، وقد إنتقل إستعماله إلى مسجد

---

1 - حسين مؤنس ، مرجع سابق ، ص88.

[2] - مانويل جوميث مورينو، **الفن الإسلامي في إسبانيا** ، تر : لطفي عبد البديع ، عبد العزيز سالم ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، مصر 1968 ، ص 338 .

[3]- زكي محمد حسن ،مرجع سابق، ص 113 .

- عن هذا المسجد و تخطيطه أنظر :

- حسين مؤنس ، مرجع سابق ، ص89.

[4]- عبد العزيز لعرج، المباني المرينية ....، المرجع السابق،ص.564.

[1]- فريد شافعي، العمارة الإسلامية ....، مرجع سابق، ص.203. .

قرطبة أيضا وظهر في الفترة المرابطية بشيء من التغيير في صورته كما يبدو ذلك واضحا في جامع الجزائر وجامع تلمسان، وهنا يظهر العقد الحدوي المفصص في كل من هذه المساجد كما ظهر في مسجد القرويين أيضا [152]، ولم يقتصر إنتشار العقد الحدوى على العمارة الدينية بل نجده استعمل في عمائر أخرى مدنية وعسكرية، وما زاد في أهمية هذا العقد هو شدة مقاومته إندفاع القوة الناشئة من إنحنائها بطريقة تفوق مقاومة العقود الأخرى المعروفة أنذاك[153].

و قد ساد هذا العقد في المسجد الجامع بندرومة خاصة في بيت الصلاة و الصحن من جميع جهاته و هو الملاحظ في مسجد تلمسان و مسجد أحمد بن طولون بالقاهرة [154] إلا أنه لم تستعمل العقود المفصصة التي ظهرت في المسجد الجامع بالجزائر العاصمة، حيث اعتمدت العقود الحدوية على الدعامات و هي تظهر بالصفة الموازية تارة مع امتداد الأساكيب وتارة بالصفة العمودية على جدار القبلة مع امتداد البلاطات مما زاد في تناسق المسجد و شكله الداخلي، فهو يمثل فنا معماريا جديدا مقتبسا من طرز المساجد الكبرى كمسجد قرطبة ، لا سيما طريقة التغطية و نظامها التخطيطي .

المدخل الرئيسي و المئذنة :

يقع المدخل الرئيسي للمسجد بالجهة الشمالية و هو يتوسط الجدار الشمالي و يفضي مباشرة إلى الصحن، أما عن المئذنة فالمعروف أ ا بنيت سنة 749هـ / 1748م ، و هي ليست من منشآت المرابطين حيث لم تذكر المصادر أ ا كانت في المسجد حين بنائه، و هو الذي انتهج أيضا من طرف المرابطين في بناء كل من مسجدي تلمسان و الجزائر، بالإضافة إلى أن تاريخ إنشاء المئذنة قد جاء مبينا في مدخلها و هو سنة(749هـ/1348-1349م)[155] و أ ا بنيت من طرف أهالي المدينة ، فقد ورد في شأ ا نص كتابي يشير إلى هذا جاء فيه : " بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد ... وها الصامع أهل ندرومة بأموالهم و أنفسهم و

---

[2]- زكي محمد حسن ،مرجع سابق، ص 113 .
3- نجوي عثمان، مرجع سابق،ص.105. وأنظر:
- عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية ...، مرجع سابق .ص.564.
[4]- أحمد فكري، جامع القيروان...، مرجع سابق ص.71-81، وأنظر:
- عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية ...، مرجع سابق .ص.564.

Bourouiba, R.Op-Cit, p 108. -1

كل احتسابنا لله و انبنت في خمسين يوما بناها محمد بن عبد الحق بن عبد الرحمان الشيصي في عام تسع و اربعين وسبع ماية رحمه الله " و تتألف هذه المئذنة من 99 درجة و هي تشبه مئذنة الجامع الكبير بتلمسان إلى حد كبير، و تجمعها صفات مشتركة بينها وبين المآذن المغربية الأندلسية بصفة عامة و المآذن المرينية بالمغرب والزيانية بتلمسان بصفة خاصة .

هذا وقد كان يتعين على الحاكم في بنائه المسجد الجامع أن يراعي ظروف ساكني أرجاء المدينة فيتخذ لهم مساجد لأحيائهم تسمى مساجد الأحياء فحينما كثر المسلمون في عهد النبي صلى الله عليه و سلم أمرهم بإنشاء المساجد في الأحياء و هذا ما عرف فيما بعد بمساجد الأحياء، و التي كانت مخصصة للصلوات الخمس و قد كان نظام المدن الإسلامية يقتضي أن يكون في كل حي مسجده الخاص به ، و ذلك للمحافظة على الصلوات و أيضا للمحافظة على روح الجماعة التي يقررها الإسلام و يحث عليها، و قد حافظت المدينة الإسلامية على هذا النظام قرونا عديدة فقد أنشأ المسلمون في المدن التي فتحوها (مساجد الأحياء) أو مساجد الفروض الخمسة لكي يؤدي ا المسلمون صلا م غير الجامعة دون اضطرار للذهاب إلى المسجد الجامع خاصة إذا كان بعيدا عنهم ، وكان عمر بن الخطاب أول من أمر بذلك فقد كتب إلى أبي موسى و هو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة[156].

و قد سار المرابطون سادة المغرب على ج السلف الصالح باتخاذهم مساجد الأحياء كما سبق ذكره وذلك بأمر من الأمير يوسف بن تاشفين، أما من الناحية المعمارية و الفنية لمساجد الأحياء فقد جاءت بسيطة لا نجد لها أمثلة في غير أرض المغرب و هي ببساطتها تقترب من البداوة بل من البدائية لكنها تنطق بالإيمان الصحيح الذي يعّبر عن إسلام صاف لا تشوبه شائبة تكلّف أو زهو، وهو على طراز المساجد الشعبية الصغيرة التي نجدها في القرى والواحات وأحياء المدن، وبالتالي فهي مساجد تقتصر على الحد الأدنى من عناصر العمارة المسجدية فنادرا ما نجد فيها قبة ذات فخامة أو مئذنة سامقة و لكننا نجد فيها دائما إيمانا ربما خلت منه مساجد أخرى تكلفت الألوف بعد الألوف [157].

---

[156]- محمد عبد الستار عثمان ، مرجع سابق ، ص 33-35.

[157]- حسين مؤنس ، مرجع سابق، ص 266. و انظر :

مسجد القدارين : (أنظر الشكل رقم 05)

يقع هذا المسجد في القسم الجنوبي الشرقي لمدينة ندرومة و بالضبط بين حيي رأس الجماعة و حي القدارين و قد أطلق هذا الإسم حسب سكان المنطقة منذ فترة بعيدة حيث كانت تمارس في هذا الحي حرفة صناعة القدور و التي يطلق على صانعيها اسم القدارين فمنذ ذلك الوقت أصبح الإسم متداولا ويطلق على المسجد والحي في آن واحد، و قد تم إطلاق الكثير من التسميات المتصلة بالحرف على المنشآت في المدينة التي شكّلت دوما فترة من الفترات الزاهرة لها .

و معظم هذه الاشتقاقات يكون إما نسبة لحرفة معينة مورست في المنطقة أو نسبة لرجل صالح عاش فيها، إلى غير ذلك من الأمور التي لها علاقة بالتسمية و أصلها .

و لم تشر الدراسات إلى تاريخ إنشاء هذا المسجد غير أن باسي ينسبه إلى الفترة الإدريسية و يذكر أنه ذو طراز مغربي أندلسي[158]، لكن من خلال معاينتنا الميدانية و دراستنا للمسجد اتضح لنا أن المسجد قد يعود تاريخه إلى الفترة المرابطية و ذلك عن طريق ملاحظتنا لأوجه التشابه التي تجمع عناصر هذا المسجد و المسجد الكبير المرابطي، و ذلك من حيث التخطيط و التركيب العمراني لدرجة كبيرة كشكل الدعامات ومقاسا ا و أيضا العقود، و هناك أمر آخر و هو تلك البساطة التي تميز ا المرابطون و التي ارتسمت معالمها على هذه المنشأة من حيث أقسام المسجد الداخلية و حجمه، و هذا التشابه الكبير هو ما يجعلنا نقول بأنه لو كان كلام باسي صحيحا و نسبنا المسجد إلى الفترة الإدريسية فإنه كان من الأجدى م اتخاذ مسجد في وسط المدينة يكون أكبر حجما وأكثر جمالا و زخرفة يذيع صو م و تخلد به حضار م، و نحن نرجح أن هذا المسجد قد يكون من منشآت المرابطين و جاء هذا المسجد كحتمية مع غيره من مساجد الأحياء لاتساع المدينة و لضيق المسجد الكبير بسكا ا إذ أصبح لا يتسع لأهاليها لإقامة الصلوات الخمس و بقاء هذا المسجد محافظا على أهم تكويناته المعمارية لدليل آخر على أنه من بين المنشآت المرابطية التي اتخذت القوة و الصلابة من بين أهم المميزات المعمارية لها[159] .

- محمد حمزة اسماعيل الحداد ، **بحوث و دراسات في العمارة الإسلامية**،ط$_2$ ، دار القاهرة - القاهرة 2004 ، ص 198-199.

- آندري باكار ،مرجع سابق، ص 70-71.

-1 Basset,R.,Op-cit,P26-27.

159- حسن علي حسن ،مرجع سابق ، ص376 .

الوصف العام للمسجد : (أنظر الصورة رقم 15)

يتخذ مسجد القدارين شكلا مستطيلا تقريبا متجة من الشمال إلى الجنوب مقاساته العامة 13.15 م× 8.97م ، و هو أوسع حجما إذا ما قورن بباقي مساجد الأحياء في المدينة، و يتكون من الداخل من بيت للصلاة خاص بالرجال و جزء آخر يعلوا مؤخر المسجد خاص بالنساء و الذي استحدث في فترة متأخرة تعود إلى وقتنا الحالي، ويتوسط جدار القبلة محراب و قريبا منه تقع حجرة خاصة بالإمام وتعتبر هذه الحجرة مما استحدث في المسجد أيضا و هي ذات مقاسات صغيرة 2.22م× 2.05م لا باب يفضي إلى خارج المسجد من الجهة الشمالية .

بيت الصلاة : (أنظر الصورة رقم 17-18)

يتكون بيت الصلاة من ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة أوسعها أوسطها، و أربعة أساكيب، و تتميز البلاطة الوسطى و التي تمتد بشكل عمودي على حائط القبلة و بالضبط على المحراب باتساع يفوق اتساع باقي البلاطات الأخرى و يقدر بـ: 3م بينما مقاس البلاطات الأخرى على جانبيها يقدر بحوالي 2.90م .

المحراب و الدعامات : (أنظر الصورة رقم 18 -20)

أما عن محراب مسجد القدارين فلم يحافظ على شكله الأصلي مما يصعب على الباحث تحديد نوعه وهيأته غير أن المحراب الحديث مقاساته كالتالي 0.77 م عرضا و 1.20م عمقا و هو ذو عقد حدوي استعملت فيه مواد حديثة، و تعتبر محاريب مساجد الأحياء بصفة عامة أقل حجما و عناية من حيث الشكل والتخطيط إذا ما قورنت بالمساجد الجامعة، و لا شك أن تخطيط مساجد الأحياء المرابطية اشتق من تخطيط المساجد الجامعة كتلمسان و الجزائر العاصمة، و ذلك من خلال عناصرها المعمارية كالدعامات مثلا فكانت مصدر استلهام المعمار المرابطي و منبع اقتباسه .

أما عن الدعامات فإن ضخامة المساجد المرابطية جعلت من الصعوبة الحصول على أعمدة كبيرة، فاختيرت الدعامات لصلابتها و متانتها[160] ، و في مسجد القدارين بلغ عددها عشرة،خمسة منها تتوسط بيت الصلاة و يلحق ـذه الدعامات دعامات حائطية أخرى بارزة عددها خمسة إثنان منها متقابلتان تحمل عقود البلاطة الوسطى العمودية على المحراب والإثنتان

1- عبد الرحمان الجيلالي ،تاريخ المدن الثلاث...، مرجع سابق ، ص40 .

المتبقيتان على الحائط الواقع في الجهة اليمنى لحائط القبلة، والدعامة الخامسة واقعة في مؤخر المسجد مقابلة لبائكة البلاطة اليسرى الموازية لحائط القبلة .

العقود : (أنظر الصورة رقم 21-22)

لقد استعملت العقود الحدوية* في مسجد القدارين و سارت على نفس النظام الذي وجد في المسجد الجامع بالصفتين الموازية لجدار القبلة و العمودية عليه و ذلك بأشكال مختلفة و أحجام متباينة، تحكم فيها شكل المسجد و أيضا شكل الدعامات و حجمها، و تقاطع البلاطة الأولى عند المدخل مع الأسكوب الثالث شكلت لنا عقود مزدوجة وتخلوا عقود المسجد من أي زخرفة على عكس ما وجد في العمائر التي تلت الفترة المرابطية و التي استعملت العقد الحدوي ذو الزخارف الجصية و التي نجد لها مثالا في مسجد سيدي الحلوي في الفترة المرينية بتلمسان[161].

السقف : (أنظر الصورة رقم 19)

يعتبر سقف مسجد القدارين من بين العناصر التي أعيد ترميمها في فترات حديثة، حيث أدخلت عليه مواد بنائية حديثة جمعت بين أعمدة الحديد والآجر، واستعمل في تغطية كل هذا طبقة من الجير و يرتفع سقف المسجد عن مستوى الأرضية بـ 4.35م والراجح أن يكون الخشب أول مادة استعملت في السقف قبل هذا التجديد و ذلك لأن الخشب ذو أهمية كبيرة في الإستعمالات المعمارية و طرق البناء ، فقد ذكر ابن خلدون ذلك بقوله "... و من صنائع البناء عمال السقف بأن تمد الخشب المحكمة النجارة أو الساذجة على حائطي البيت و من فوقها الألواح كذلك موصولة بالدساتير"[162] لذلك اعتبر الخشب من بين المواد الأساسية التي اعتمدها المرابطون في بناء عمائرهم المختلفة كما يظهر ذلك في جامع تلمسان و فاس، و قد كانت صناعة الخشب و زخرفته أحد الأعمال الأندلسية التي استخدمها المرابطون في مراكش و فاس، الشيء الذي جعلها تندثر نتيجة لعوامل الزمن وتقوم محلها مواد أخرى أدخلت ضمن الترميمات

*- العقد الحدوي : هو العقد الذي يتعدى قطره نصف الدائرة أنظر :
- مانويل جوميث مورينو، مرجع سابق، ص489 .

161 - عبد العزيز لعرج ،المباني المرينية...، مرجع سابق ، ص 279.

2 - عبد الرحمن بن خلدون ، مصدر سابق ، ج1 ص727 .

الحديثة، و لا شك أن مدينة ندرومة قد توفرت على هذه المادة بحكم قر ا من الغابات القريبة منها .

المدخل الرئيسي والمئذنة: (أنظر الصورة رقم 16-23)

يقع المدخل الرئيسي لمسجد القدارين في الجدار الغربي ويفتح على الشارع مباشرة وهو مدخل ذو عقد حدوي منكسر قليلا، مقاساته 1.45م عرضا و 2.24م ارتفاعا حتى نقطة انكسار العقد و يحيط بالمدخل إطار تم بناؤه بالآجر نظن أنه أنشأ في الفترة الحديثة، وللمدخل باب من خشب حديث العهد أيضا، و على يسار المدخل من الخارج نجد نافذتان متجانبتان تحتويان على عقود منكسرة مقاسا ا 1.20 م عرضا × 1.64م طولا .

و يعلو المدخل من الجهة اليسرى المئذنة و التي ربما قد تكون أنشئت في فترات حديثة جدا، و لم نتمكن من أخذ مقاسا ا لعدم توفر مفاتيح الباب الخاص ا و يذكر باسي المسجد دون ذكر المئذنة مما يدل على أ ا قد تكون أنشئت في فترة ما بعد الإستقلال خاصة و أ ا وضعت فوقها مكّبرات الصوت لسماع الآذان مما يجعل هذا سببا لبنائها من طرف الأهالي .

و للإشارة فإن مسجد القدارين إذا ما قورن بباقي مساجد الأحياء فإنه يوجد في حالة حسنة تمكّن الباحث من دراسته و تتبع عناصره المكّونة له بالدراسة والتحليل، و هو إلى يومنا هذا تقام فيه الصلوات الخمس و قد خصّص له إمام يقوم عليه و يؤم الناس فيه و بموقعه بين الحّيين اللذين ذكرناهما آنفا، فإن هذا المسجد استطاع أن يحد من الضغط الذي يشهده المسجد الجامع أثناء الصلوات الخمس نتيجة التزايد السكاني الذي تشهده المدينة .

ومن بين المساجد التي نرجّح أ ا تكون من بين المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة مسجد لالة الزهراء الشريفة الذي لم تشر إليه الدراسات ولو إشارات تاريخية يمكن لنا من خلالها معرفة السنة التي بني فيها المسجد ما عدا باسي الذي يذكر بأن المسجد نسبة لامرأة صالحة و أنه يعود إلى فترة قديمة من التاريخ، و الذي جعلنا نرجح أنه يعود للفترة المرابطية شبهه الكبير بمسجد القدارين من حيث الدعامات و العقود فإ ا تتشابه إلى حد كبير، بالإضافة إلى أنه بعيد نوعا ما على مسجد القدارين إذ يقع في حي يبعد عنه و المسمى حي رأس الجماعة في الجهة الجنوبية، و قد عرف عن المرابطين أ م كانوا يبنون في كل حي مسجد، كما أن المئذنة الموجودة ذا المسجد تشبه كل الشبه المئذنة الموجودة في مسجد القدارين و يعاني هذا المسجد من عدم الإهتمام من جانب

السلطات الخاصة و المتكفلة بالآثار، حيث أن حالته السيئة صعّبت من الدراسة الميدانية التي قمنا ا، و هو الآن مغلق قمنا بفتحه ودراسة أقسامه الداخلية التي لم يبقى منها سوى القليل فحتى المنازل من حوله سقطت وذلك لقدم الحي و أيضا عدم القيام بالترميمات اللازمة لمثل هذه المنشآت .

مسجد لالة الزهراء الشريفة : (أنظر الصورة رقم 24 و الشكل رقم06)

يقع هذا المسجد بالقرب من مسجد القدارين و بالضبط في حي رأس الجماعة في القسم الجنوبي من مدينة ندرومة والذي ينسب إلى امرأة صالحة كانت تعيش في المنطقة[163]، و نجهل تاريخ هذه المنشأة لأن النصوص التاريخية وحتى الدراسات الحديثة لم تشر إلى ذلك غير أن أغلب الظن هو أن هذا المسجد بني في نفس الفترة التي بني فيها مسجد القدارين، وذلك بسبب أوجه التشابه التي تجمع بين المسجدين، وأيضا الخصائص المعمارية مثل العقود والدعامات وأحجامها مع التشابه في الشكل و أيضا تلك البساطة التي تمتاز ا هذه المساجد و صغر حجمها مما يوحي للباحث أثر تلك المسحة الفنية التي صبغت جل العمائر المرابطية .

و هذا ما جعلنا نعتقد أن مسجد لالة الزهراء الشريفة يعود للفترة المرابطية ناهيك عن تلك الخصائص التي تشابه فيها كثيرا مع المسجد الكبير بالمدينة و الذي تؤكد الدراسات أنه من الإنشاءات التي قام ا يوسف بن تاشفين أثناء حكمه في المنطقة، و قد اّتخذ هذا المسجد مدرسة لتحفيظ القرآن في فترة من الفترات السابقة ثم مسجد للصلوات الخمس حسب سكان المنطقة ليتم بعد ذلك غلقه للخطورة التي أصبح يشكّلها شاشته على سكان الحي .

الوصف العام للمسجد:

يقع المسجد بالطابق الأول حيث جعل أسفله حانوت (أنظر الصورة رقم 31) ربما كانت تصرف مداخله في مصالح المسجد، و يتخذ مسجد لالة الزهراء الشريفة شكلا مربعا تقريبا و هو يقع في الطابق العلوي مقاساته العامة 8.55م×9.49م و هو أقل حجما من مسجد القدارين و تكويناته الداخلية هي بيت للصلاة صغير الحجم و ينحرف المحراب إلى الجهة اليسرى من جدار القبلة و الذي بقي محافظا على شكله الأصلي ولم تلحقه الترميمات التي لحقت محراب مسجد القدارين .

1- Basset, R.,Op-Cit, P24

بيت الصلاة : (أنظر الصورة رقم 30)

يتكون بيت الصلاة من ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة، و أسكوبين، و تعتبر البلاطة الوسطى أوسع من البلاطتين المتبقيتين و هي تقع بالشكل العمودي مباشرة على المحراب و يقدر اتساع هذه البلاطة بـ 2.67م و باقي البلاطات يقدر اتساعها بحوالي 1.95م، و بما أن هذا المسجد اتخذ للصلوات الخمس والخاص بسكان الحي فإن المقاسات تتماشى و عدد السكان فيه، بل و قد تعطي فكرة على معدل السكان به .

المحراب و الدعامات : (أنظر الصورة رقم 28-29-30)

لقد بقي محراب مسجد لالة الزهراء الشريفة محافظا على تكوينه الأصلي فهو محراب بسيط ذو مقاسات صغيرة 1م عرضا و 0.75م عمقا، ذو عقد حدوي منكسر قليلا، و ما يميز محراب هذا المسجد هو بروزه في جدار القبلة من الخارج و محاريب المساجد الجامعة كما أشرنا سابقا أقل تكليفا وتعظيما من محاريب المساجد الجامعة التي اعتني بها أيما اعتناء .

أما عن دعامات مسجد لالة الزهراء الشريفة فيبلغ عددها خمسة، إثنتان منها تتوسطان بيت الصلاة و إثنتان منها بارزتان في الحائط إحداهما على الحائط الأيمن لجدار القبلة والأخرى على يساره، و الدعامة الخامسة تقع في مؤخر جدار المسجد، و لا تختلف هذه الدعامات كثيرا عن دعامات المسجد الجامع و أيضا عن مسجد القدارين سواء من حيث المقاسات أو من حيث الشكل، و تعتبر هذه الدعامات من بين أهم العناصر المعمارية في المباني المرابطية[164]، و التي جاءت وظيفتها متماشية وفقا مع الضخامة التي تميزت بها هذه المباني وارتكاز الثقل الذي كان سببا في ابتكار هذا العنصر المعماري .

العقود (أنظر الصورة رقم 30)

لقد استعملت في مسجد لالة الزهراء الشريفة العقود الحدوية وهو التقليد المتبع في المساجد المرابطية، إلا أن عقود هذا المسجد انقسمت إلى نوعين منها الحدوية البسيطة و منها الحدوية الشديدة الانكسار التي كانت نتيجة حتمية لصغر حجم المسجد و شكله، وما يمّيز عقود

164- أنظر عن ذلك :

- حسن علي حسن ، مرجع سابق ، ص 376.

- Golvin,L.Op-Cit,T_4 , p 213

هذا المسجد هو أ ا توجد بصفة موازية لجدار القبلة على العكس منها في عقود مسجد القدارين التي جاءت بالصفتين الموازية والعمودية على جدار القبلة و أيضا المسجد الكبير و تخلوا عقود هذا المسجد من الزخرفة و الأشكال الهندسية .

السقف : (أنظر الصورة رقم 27)

يوجد سقف مسجد لالة الزهراء العالية في حالة يرثى لها فقد ـدّم جزء كبير منه، وتكويناته من الخشب المنتظم و استعمل في تغطيته الخشب و مادة الطابية المخلوطة بالتراب والجير ويرتفع هذا السقف عن مستوى أرضية المسجد بحوالي 2.70م وهو ذو ارتفاع أقل إذا ما قورن بمسجد القدارين، و ذلك ربما بسبب تموقعه في الطابق العلوي و أيضا مراعاة لتخفيف الضغط على الساباط و الدكّان الذي يقع تحت المسجد .

المدخل الرئيسي و المئذنة : (أنظر الصورة رقم 26-32)

يحتوي مسجد لالة الزهراء الشريفة على مدخل واحد يقع في الجهة الغربية للمسجد و هو مدخل بسيط نلج من خلاله للمسجد و ذلك بعد الصعود في الدرج الذي يصله بالطابق السفلي و يتكون الدرج من 19 درجـة(أنظر الصورة رقم 25) وقد سقّف هذا الدرج بأعمدة خشبية والمدخل مقاساته 0.66م عرضا و 1.90م ارتفاعا، و أما عن المئذنة فهي مئذنة حديثة العهد لم نتمكن من أخذ مقاسا ا و ذلك بسبب هشاشة المسجد و أيضا الحالة السيئة التي توجد عليها هذه المئذنة، لكن ما يمكن قوله هو أن هذه المئذنة بسيطة التكوين تكاد تكون بناية عادية إذا ما شوهدت من الخارج ونرجّح أ ا تكون قد بنيت في نفس الفترة مع مئذنة مسجد القدارين ذات التكوين البسيط أيضا .

ومهما يكن فإن هذه المنشآت الدينية التي سبق الحديث عنها والتي عالجناها بمنهج القياس و المقارنة مع باقي المنشآت المرابطية في المدينة، وذلك من خلال الأقسام و العناصر المعمارية المكوّنة لها، فإننا نقول بأن هذه المنشآت الدينية غلب عليها الطابع المعماري المرابطي سواء من الناحية المعمارية أو من ناحية التكوين ومواد البناء التي اشتهرت ا العمارة المرابطية، و التي جمعت بين الطابية و الخشب و مواد أخرى محلية و يتضح ذلك من خلال معاينة مسجد لالة الزهراء الشريفة الذي حافظ على هذه المواد و أيضا على أصل بنائه و تكوينه .

ثم إن التحليل الأثري للتخطيط المعماري لهذه العمائر يؤكد لنا الصّلة القوية بتصميم المساجد المرابطية و هذا التخطيط المعماري هو أحد النماذج لذلك التصميم و النوع الذي ساد منطقة المغرب الأوسط في تلك الفترة و التي تأثرت به فيما بعد تخطيطات المساجد خاصة في تلمسان كما نلاحظه في المساجد المرينية كمسجد سيدي أبي مدين، وغيره من المساجد المرينية والزيانية حيث أن العمارة الدينية أخذت اتجاهات جديدة في هذه الفترات[165] .

و بمقارنة مساجد أحياء ندرومة بالمساجد الجامعة فإننا نجدها جاءت مساجد عادية تتسم بالبساطة في التخطيط وصغر الحجم و عدم انتظام تخطيطها و هي تشبه بذلك مساجد الأحياء بتلمسان و المساجد المرينية بفاس، أو أ ا تقع في أحياء سكنية مزدحمة في أغلبها، فجاءت على شكل مصليات صغيرة لا تتسع إلا لأفراد الحي، و ما نلاحظه في مساجد أحياء ندرومة أن اتجاه البلاطات فيها جاء موازيا لجدار القبلة و هو ما نجده في المسجد الجامع بدمشق .

و بمقارنة مساجد أحياء ندرومة بمساجد الأحياء بتلمسان فإننا نجدها تتشابه في أمور كثيرة منها الشكل الخارجي في كل من مسجد الشرفاء الذي يعود إلى القرن الخامس الهجري، و كذا مسجد باب زير فهما بسيطا التخطيط و غير خاضعين للنمطية، و هذا ما نجده في مسجد القدارين و مسجد لالة الزهراء الشريفة بندرومة، و من بين العوامل المؤثرة في شكل و تخطيط هذه المساجد الكثافة السكانية بالأحياء التي تتواجد ا، حيث أ ا تتسع في الأحياء الكثيرة السكان بينما تضيق في الأحياء الأقل كثافة .

و نجد أيضا أن مسجد سيدي السنوسي (ق 9هـ) بتلمسان يقع في الطابق الأول و هو بذلك يتشابه مع مسجد لالة الزهراء بندرومة .

أما من حيث التخطيط الداخلي فإن مداخل مساجد أحياء تلمسان تشبه مداخل مساجد الأحياء بندرومة من حيث أحجامها المتوسط و بساطتها، كما أن بيوت الصلاة في مساجد تلمسان متقاربة الحجم، إذ بلغت في مسجد الشرفاء حوالي 70م^2 ، كما بلغت في مسجد باب زير حوالي 55م^2 و نجدها تتراوح بين حوالي 80م^2 بمسجد لالة الزهراء الشريفة و ب 117م^2 بمسجد القدارين بندرومة، و من أوجه التشابه أيضا الدعامات التي استعملت في كل من مساجد تلمسان و مساجد ندرومة، و مما يلاحظ أيضا عدم وجود الأعمدة كما أن العقود التي تحملها

---

165 ـ محمود عبد العزيز لعرج، المباني المرينية...،مرجع سابق ، ص 372.

هذه الأعمدة ذات شكل حدوي و الذي نجده في كل هذه المساجد، و من أوجه التشابه أيضا مادة الخشب التي استعملت في التسقيف حيث نجده بعوارض خشبية منتظمة .

و لاشك أن محاريب هذه المساجد كانت متشا ة إذ لم يبق لنا إلا نموذج أصلي بمسجد لالة الزهراء (أنظر الصورة رقم 26-27) فيما نجدها جددت وأعيد بناؤها في المساجد الأخرى .

أما من حيث مظاهر الإختلاف فيتجلى لنا ذلك في المآذن، حيث يفتقد مسجد الشرفاء (ق5هـ) بتلمسان للمئذنة و هو الذي انتهجه المرابطون في بناء عمائرهم، كما أن المآذن الموجودة في مساجد ندرومة ليست أصلية و ربما تكون من بناء الزيانيين، و هو الذي نجده في كل من مسجدي سيدي السنوسي و مسجد باب زير .

و من أوجه الإختلاف أيضا البلاطات حيث نجدها في مسجدي سيدي السنوسي و باب زير عمودية على جدار القبلة و هو النمط المتبع في تخطيط مسجد القدارين كما هو الحال في مسجدي القيروان و قرطبة، أما في مسجد الشرفاء فهي موازية لجدار القبلة و هو النمط الموجود بمسجد لالة الزهراء الشريفة[166] مثلما هو عليه الحال في جامع القرويين بفاس .

---

[166] ـ أنظر عن مساجد أحياء تلمسان : ـ الياس بوراي ، **مساجد الأحياء بمدينة تلمسان** ، مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس في الآثار الإسلامية ، قسم الآثار جامعة الجزائر ، 2003 ، ص 34- 47 .

الفصل الرابع : المنشآت المدنية

- م ل (دار زرهوني)
- م ل (دار فتوح)
- الحمّام البالي

المنشآت المدنية :

إن معلوماتنا عن العمارة المدنية المرابطية قليلة وخاصة ما يتعلق منها بالدور والقصور، والسبب في ذلك ربما يتلخص في أن عمار م عادة ما تكون من النوع الديني المتمثلة في المساجد وهي مؤسسات ذات النفع العام الذي تم به الدولة أو جمهور الناس، الأمر الذي جعل الحفاظ عليها من الشؤون العامة.

و هو ما يفسر استمرارها على طول العصور وذلك على عكس القصور التي كثيرا ما كانت تكون هدفا في أعمال التخريب من جانب العامة أو الإهمال والهدم من جانب الحكومات المستجدّة [167]، و رغم ذلك فإن للمسكن أهمية بالغة في حياة الناس لأنه من الأمور الضرورية التي يحتاجها لاستمرار حياته، و السكن هو نفسه البيت و هو الم ل و هو الدار و يكون لعائلة واحدة أو أكثر، و يتكون من مجموعة من الغرف أو الحجر و قيل مجموعة أبيات متقاربة تشكل دارا، و قد تميزت الدور الإسلامية عامة و السكنية خاصة بأربع ميزات، أولها البساطة من الخارج و النقش و الإبداع من الداخل و ذلك لاستمتاع أهل الدار أولا و للضيوف القادمين ثانيا، حيث جاءت مقاييس المسكن الإسلامي و خصائصه واضحة تخضع للمناخ و عوامل أخرى[168].

و أما عن **أهمية المسكن** في **حياة الـتمعات** فقد أخذت اهتماما كبيرا من جانب الإنسان و ذلك للأهمية التي يكتسيها المسكن و ما يوفره من حاجات مختلفة كالأمن و الراحة والإستقرار، ليتطور فيما بعد مفهومه و ذلك بالسعي وراء تحقيق الرفاهية و الجمال، حيث أصبح الم ل يمثل المظهر الثقافي و الحضاري للأسرة و ا تمع، فهو الخلية الأساسية للمدينة و محور نموها و تنظيمها و تطورها، وقد كان تحقيق هذه الأغراض يختلف باختلاف الزمان و البيئة و مستوى الفرد من حيث الفقر و الغنى[169]، و تتجلى أهمية المسكن في حياة الفرد من جهة أخرى في تجسيد ظاهرة الخصوصية التي اعتمدت في أصلها على القاعدة الأصولية " **لا ضرر و لا ضرار**" حيث أننا

1- سعد زغلول ،مرجع سابق، ص 503.

[168]- أنظر:

- عبد الرحيم غالب، مرجع سابق، مادة بيت (ص93-94)، مسكن (ص383)، منزل (ص408)، غرفة (ص295)، دار (ص182-183) .

- عاصم محمد رزق، مرجع سابق، مادة بيت (ص38-39)، غرفة (ص211)، دار (ص103) .

1- عبد القادر الريحاوي ، **قمم عالمية في تراث الحضارة العربية الإسلامية المعماري و الفني** ، ج2 ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق 2000 ، ص 609.

نجدها واضحة المعالم في تخطيط المسكن لا سيما في الصحن، وذلك بانفتاحه على الداخل محافظا بذلك على الحرمات و الأعراض و أسرار الأسرة و حريتها، و قد سار مخطط الم ل على هذا النحو عبر العصور الإسلامية دون الإخلال بدوره أو التخلي عنه [170] ، و على العموم فإن طبيعة الدور وكيا ا في العالم الإسلامي جاءت متشا ة و ذلك نتيجة لتفاعلات كبيرة بين العوامل الدينية و الاجتماعية و غيرها من المؤثرات التي تطبع كل مجتمع بطابع خاص من مكان إلى آخر ومن عصر لآخر[171] .

و من حيث **الأهمية الإجتماعية** فإن تواجد المساكن متلاصقة في الأحياء السكنية و كيفية تخطيطها كفيلة بإظهار صور التضامن و التآزر بين العائلات و الأسر و الأفراد، و إلقاء نظرة بسيطة على التصميم العمراني للأحياء السكنية و ما تشتمل عليه من حارات كفيلة بإعطاء صورة واضحة عن الدلالات الإجتماعية[172] ، فمن تقاليد البيت العربي ألا تكون له غير واجهة واحدة أو اثنتين بسبب اتصاله مع البيوت ا اورة، و تتصف الواجهات الخارجية للبيت بالبساطة في عناصره المعمارية و الزخرفية إذا ما قورنت بما في الداخل من عناية و جمال فني و هي خالية من الفتحات المطلة على الخارج إلا من نوافذ ضيقة جعلت فوق مستوى الرؤية في الطابق الأرضي[173] .

و الأحياء السكنية صممت من الناحية البشرية بحيث يجمع كل حي جماعة من السكان لها صلة ببعضها في القربى و الدم أو يتشابه في الوظائف أو المصالح[174] أو الانتماءات القبلية بل و حتى الدينية فقد وجد في المدن الإسلامية أحياء خاصة باليهود، و معظم الأحياء الأخرى تكون كل منها مختصة بقبيلة معينة و قد وجد هذا في شرق العالم الإسلامي متمثلا في البصرة و الكوفة مثلا و كذا في غرب العالم الإسلامي في القيروان و فاس و غيرهما .

2- عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية ...، مرجع سابق ، ص582 .

3- محمد عبد العالي إبراهيم ، **العمارة و العمران في الوطن العربي** ، ط3 ، دار الراتب الجماعية ، بيروت ، 1986، ص 26 . و انظر :

- عبد العزيز لعرج ، المباني المريني...، مرجع سابق ص 374 .

172- عبد العزيز لعرج ،(**العمران الإسلامي و عمارته السكنية قيم دينية و دلالات إجتماعية**) حولية المؤرخ يصدرها إتحاد المؤرخين الجزائريين ، العدد 3-4 ، الجزائر،2005 ،ص86 .

173- عبد القادر الريحاوي، قمم عالمية...، مرجع سابق ، ص626 .

174- عبد العزيز لعرج، العمران الإسلامي....، مرجع سابق، ص86 .

أما علاقة التخطيط **بالمنظومة القيمية** للمجتمع الإسلامي فقد نظمتها رؤية إسلامية مقتبسة من القرآن و الأحاديث و اجتهادات الفقهاء و الأئمة و العلماء و التنظيمات المختلفة و تنظيمها مرتبط بتنظيم ا تمع و تنظيم الحياة الإجتماعية و حصر مظاهرها، فهناك آيات كثيرة و أحاديث عديدة تحث المسلم على احترام حرمة غيره في النطاق العام و في نطاق الجوار و أن يقف في حريته عند بداية حرية غيره[175] .

أما بالنسبة للأهمية الحضارية للمسكن الإسلامي فهي تظهر في الأصول القديمة له .

الأصول القديمة للمسكن الإسلامي:

لقد ثبت من خلال نتائج الحفريات التي أجريت في بلاد الرافدين و الشام و مصر أن للمسكن الإسلامي أصول قديمة تجمعت فيها خبرات هامة في مجال البناء و التعمير لدى إنسان الشرق العربي، حيث دلت هذه الدراسات على أن الشكل العام للبيت قد اعتمد في تكوينه على فناء مكشوف تحيط به غرف مستطيلة و ضيقة لكي يسهل تسقيفها، مثال ذلك الفناء الذي وجدت آثار له في بلاد الرافدين و الذي يعود للألف الثاني قبل الميلاد ويحيط به عادة 13 غرفة في طابقين، يزودها هذا الفناء بالهواء والضوء وهو متصل بالباب الخارجي بواسطة دهليز صغير[176]، ليتواصل هذا النمط من المساكن لفترات طويلة بعد ذلك .

و أما في العصر **الإغريقي و الروماني** فقد أدخل على الم ل مزيدا من التطور و الرقي في التخطيط و العناصر المعمارية، لاسيما التقارب في تقاليد بناء البيوت في حضارات مدن البحر الأبيض المتوسط (فالباتيو) و (الأتريوم) في البيت الروماني و الفناء الشائع في البيت الشرقي عناصر أساسية [177] .

و في العصر **الأموي** تأثر البيت العربي بالدين الإسلامي ، كما تأثرت العمارة و الفنون و أسلوب الحياة به، و مما لا شك فيه أن البيت التقليدي يتلاءم و مبادىء الإسلام **عقيدة و شريعة،** و التي تحث على عدم إنتهاك حرمة الآخرين و الإطلاع على عورا م و ضرورة إخبارهم بالزيارة و اللقاء و التنبيه إلى ذلك عن بعد، لقوله سبحانه و تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا و تسلموا على أهلها " سورة النور الآية 27 ، و يواصل

175- نفســه ، ص 89 .

1- حسن الباشا ، **الفنون القديمة في بلاد الرافدين** ، ط1 ، مكتبة الدار العربية ، القاهرة 1999،ص 55.

2- عبد القادر الريحاوي ، مرجع سابق ، ص 610-611 .

القرآن الكريم في نصوص أخرى و بنفس الصيغة المنع من اقتحام البيوت بغير رضى أهلها و أخذ الإذن منهم و ذلك لما تسببه مثل هذه التصرفات من حرج و ضيق في الصدور إن حلت بأهل الم ل، مصداقا لقوله تعالى " فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم، و إن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم، و الله بما تعملون عليم " سورة النور الآية 28 و من خلال هذه النصوص القرآنية يتبين لنا أن كشف عورات المسلمين و الإطلاع عليها لا يجوز شرعا إلا بضوابط و شروط حدد ا الشريعة الإسلامية، و قد جسد المعمار المسلم هذه النصوص و جعلها واقعا ملموسا تجسده عناصر المنشآت السكنية و أقسامها الداخلية عملا بتلك الأوامر و النواهي السابقة الذكر و أيضا الموروث الذي خلفه سلفنا الصالح نتاجا لعقيدة سليمة جسدت القاعدة الأصولية المعروفة " لا ضرر و لا ضرار" [178]، حيث وجد فيه المسلم راحته فدعم أسس هذا البيت و رسخها، إلا أنه لم يصل إلينا أي نموذج من هذه البيوت يصفها لنا بدقة .

إن إلقاء نظرة على عناصر الم ل الإسلامي و تركيبه العام من حيث التخطيط الداخلي و الخارجي يعطي فكرة على علاقة هذا الأخير بالعقيدة الإسلامية التي تدعو للمحافظة على حرمة الأسرة و الجيران .

فإن التخطيط الخارجي للم ل من حيث عدم تقابل الأبواب و استعمال التنكيب في الشوارع بالإضافة فتح الكوى في أعلى الجدران و التحرز في إنشائها في عدم كشف عورات الجيران و كذا بناء السترة فوق السطح بالإضافة إلى البساطة التي يبنى ا الم ل من الخارج بحيث تظهر المنازل ذات تناسق واحد حتى أن الناظر إليها لا يشعر بالإختلال بل يرى الوحدة المعمارية التي توحي و تدل على الوحدة الإجتماعية، كل هذا مستنبط من الفكر العمراني للمسلمين من حيث المحافظة على الحرمات بعظها على بعض و الأمر بالمحافظة على حقوق الجيران و إعطاء كل ذي حق حقه التي هي أساس الإستقرار و الراحة .

و بالنسبة للتخطيط **الأفقي** للم ل من حيث توزع الغرف فيه و الإحتياط في إنشاء المراحيض من حيث أ ا لا تحدث رائحة على الساكن و لا على الجيران، و كذا الصحن المنفتح و الذي يزين في كثير من الأحيان ببعض الأشجار و نافورة الماء، ليظهر الحرية التي تتمتع ا الأسرة داخل الم ل و خاصة المرأة، بالإضافة إلى وجود البئر الذي يفي بحاجيات أهل الدار من هذا العنصر

178- عبد العزيز لعرج ، العمران الإسلامي ... ، مرجع سابق، ص 90.

الحيوي الهام، كل هذا يظهر حرية المسلم في الإستمتاع بما هو مباح له محافظا على شعور الآخرين من حيث التخطيط الخارجي لم له و هو أمر يحث عليه الإسلام و يدعو إليه و هو نابع من روحه .

فلو تكلمنا على البوابة أو **مدخل الم ل** مثلا، فهو بشكل عام مفتوح على الشارع أو في زقاق ضيق، و يؤدي إلى دهليز كي لا ينفتح على الصحن مباشرة، محافظا على الخصوصية و حرية السكان، و غالبا ما يكون الدهليز ممرا منكسرا[179] .

أما بالنسبة **للصحن** فهو يمثل في المنشآت المدنية النواة التي تدور حولها أقسام الم ل، و هو بمثابة القلب النابض للجسم أي أنه جوهر المبنى، فهو ذا له مكانة كبيرة في أسلوب السكن والمعيشة، حيث تطل عليه الحجرات من جميع جهاته بألوا ا و زخارفها حول الفتحات و الأبواب، فهو ذا يفاجأ الداخل إليه بإحساس الإنتقال من جو البساطة إلى جو الغنى بكل مظاهر الجمال و البهجة، إذ أن اهتمام العربي المسلم كان ينصب على الواجهات الداخلية للمبنى أكثر من الواجهات الخارجية، و لقد طور المعماري المسلم الفناء إلى أن تحول إلى حديقة فيحاء، و يظهر ذلك في تبليط الأرضية و جعل الفناء حديقة غناء تفجرت فيها المياه بواسطة نافورة في وسطه بحيث أصبح الحوش فردوسا أرضيا، هذا و إن للصحن منافع عديدة .

فمن **الناحية الصحية** يمد الصحن أقسام البيوت بالنور و الهواء و أشعة الشمس و يلطف من برودة الجو شتاء و حرارته صيفا، فهو يتحول إلى خزان كبير للهواء البارد في ليالي الصيف، فيمد الغرف ببرودته حتى ساعات متأخرة من النهار، و بالعكس فإنه يحتفظ في الشتاء بدفء النهار المشمس ليمد ا الغرف بعد غياب الشمس .

و من **الناحية الإجتماعية و النفسية** فإن منافعه تظهر من حيث انفتاح الصحن إلى السماء و هذا ما يجعل المرء يحس بالحرية المطلقة و الهدوء و الطمأنينة، والصحن مكان التقاء أفراد الأسرة و تعاو م، و مقر الجلسات الصباحية و المسائية و اللقاءات الإجتماعية[180] .

---

[179]- عبد القادر الريحاوي، مرجع سابق، ص628 .

[180]- أنظر :

- عبد القادر الريحاوي، مرجع سابق، ص629.- محمد حسين جودي، مرجع سابق، ص63.
- يحيى وزيري، **موسوعة عناصر العمارة الإسلامية**، ج3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص121 .
- عاصم محمد رزق، مرجع سابق، ص167 .

و نظرا لأهمية الصحن فإن المعماري المرابطي اقتبس هذا الفضاء و وجد له مكانه بالم ل، و لا شك أن أهمية الصحن من حيث الحجم و من حيث توفير أسباب الراحة تتفاوت حسب حالة صاحب الم ل فقرا و غنىً، و لكن المنازل في جملتها تتوفر على هذا العنصر .

كما يفصل الغرف عن الصحن **أروقة جانبية** لها أهمية كبيرة في عمارة المنازل، و هي ـذا (أي الأروقة) تتقدم الغرف و الحجر في الطابق الأرضي، و تكون أمام غرف الطابق العلوي بشكل ممر مكشوف الوجه، و كانت الأروقة تطل على جانب واحد أو جانبين، أو تحيط بالصحن من جميع جهاته، و استخدمه العرب منذ العصور القديمة، ثم استحدث استخدام هذا العنصر المعماري لأول مرة في دار الإمارة بالكوفة في عهد الإسلام الأول، و ظهرت الأروقة في بيوت العباسيين و قصورهم في سامراء و القصر العباسي في بغداد و في المساجد، و إن سبب استخدام الأروقة توفير مساحات مظللة تحيط بالصحن و تخفف من حرارة الشمس صيفا و تسهل السير و التنقل فيها كما توفر الحماية من الأمطار في فصل الشتاء[181] .

و قد وجد هذا العنصر المعماري أيضا في منازل ندرومة، و لا شك أنه كانت له أهميته الحضارية خاصة في هذه الفترة، و لم ينفك على هذا النظام .

و تتوفر كثير من المنازل على **البئر**، فقد كانت الآبار تحفر أو تبنى في تخوم الأرض بشكل أسطواني أو مخروطي للحصول على ماء صالح للشرب، و قد عرف العرب أنواعا مختلفة من هذه الآبار كان لكل منها صفة تميزها و لكل منها لوازم تكثر أو تقل تبعا لاستخدامها، أهمها البكرة و الدلو و الحبل التي كانت في معظم الأحيان مناسبة مع عمق البئر[182]، لذلك اعتبر الماء من الشروط الهامة و الضرورية التي عددها مفكرو الإسلام لإقامة المدن، و الذي إن فقد فلا وجود للحياة أبدا لقوله تبارك تعالى " و جعلنا من الماء كل شيء حي" الأنبياء الآية 30، و مع هذا كانت بعض المدن بموضع يكثر فيه الماء مما يسهل على الساكنين ـا حفر الآبار في بيو ـم، و هذا ما وجدناه في أحد المنازل المدروسة بندرومة، و مما علم أن مدينة ندرومة متواجدة بسفح الجبل فبالإضافة إلى وجود واديها فإن موقعها يكثر فيه الماء، لذلك فإننا نظن أن معظم المنازل كان ـا آبار .

---

[181]- عبد القادر الريحاوي، مرجع سابق، ص629. وانظر :
- محمد حسين جودي، مرجع سابق، ص65
[182]- عاصم محمد رزق، مرجع سابق، ص42 .

هذا و قد توفرت المنازل بمدينة ندرومة على عناصر معمارية أخرى تظهر التخطيط الأفقي لها .

أما بالنسبة **للتخطيط العمودي** للمنازل فمن الناحية العمرانية كلما نمت المدينة و ازدادت كثافتها السكانية كلما ضاقت ـم و انحصر البنيان في داخلها أفقيا، و هو ما كان يؤدي بالمعمار إلى الإرتفاع بالوحدات السكنية في صور ا العمودية كحل عمراني و معماري لتناقص الفراغات و انعدامها داخل الأسوار لدرجة لم يكن ممكنا معها الحفاظ على المساحات الخضراء من حدائق و بساتين، و من جهة أخرى فإن الإرتفاع بالمبنى لم يكن مسموحا له أن يتجاوز ارتفاع أسوار المدينة و هو ما كان يؤدي أمام النمو الأفقي و العمودي للوحدات السكنية إلى اكتضاض المدينة بالمباني، و بالتالي يحدث انفجار عمراني تخرج المدينة عن أسوارها أو تمتد خارجها، فتنمو أحياء مجاورة و ملاصقة لها[183].

و في الطابق العلوي فنجده في أكثر البيوت، و هو لا يغطي كامل المساحة، مما يدع مجالا لإحداث سطح أو أكثر يستفاد منه في بعض الحاجات الم لية، و الجلوس و النوم في ليالي الصيف، و يصعد للطابق العلوي بسلالم حجرية مخفية في مكان مسقوف أحيانا أو ظاهر في بعض جوانب الصحن، و في الطابق العلوي غرف و قاعات مخصصة للنوم و خاصة في الشتاء لكو ا معرضة لأشعة الشمس أكثر من قاعات الطابق الأرضي، حيث الظل و الرطوبة و المياه، مما يجعل هذا الأخير مناسبا لأوقات الصيف .

و قد كثرت الفتحات في غرف الطابق العلوي رغبة في مزيد من النور و الشمس و الإطلالة على الصحن، و قد وجد أمام غرف هذا الطابق ممر يطل على الصحن و يصل بين الغرف و هو بمثابة رواق علوي[184] .

كما ظهر في التخطيط العلوي للمنازل عنصر **الرواشن** أو ما يسمى أيضا بالمشربيات، ذلك أن المساكن في الأحياء ارتفعت طوابقها فأصبح من اليسير التطلع إلى داخل البيوت المقابلة، خصوصا إذا كانت المساحة بينهما ضيقة، و النوافذ مفتوحة على بعضها بطريقة متقابلة، و هو ما

---

[183]- عبد العزيز لعرج، العمران الإسلامي...،مرجع سابق، ص88 .

[184]- عبد القادر الريحاوي، مرجع سابق، ص631 .

يتنافى و المنظور الإسلامي للجوار لذلك لجأ المعماري إلى وضع حواجز تسمح للنور و الهواء بالدخول منها، كما أ ا تخفف من شدة الحر و نور الشمس القوي[185] .

و رغم أن هذا العنصر انتشر مبكرا في العمارة الإسلامية، إلا أننا لم نجد هذا العنصر في الم لين المدروسين بمدينة ندرومة، فربما كان الصحن يمد غرف الطابق الأول بما تحتاجه من النور و الهواء و بالتالي استغنى المعماري عن هذا العنصر كما أن الطابقين العلويين بالم لين موضوع الدراسة مهدمين، فمن المحتمل أنه كانت ـما رواشن .

و من العناصر المعمارية المهمة في المنازل عنصر **السطح** و الذي كان يعلو المساكن و هو عبارة عن فضاء مفتوح بالكامل حيث يستغل في العادة لبعض أنشطة الأسرة، فينتفع به في الإبراد أيام الحر و الدفء أيام البرد، كما يستعمل لنشر الغسيل في كل الفترات، كما يصير مجلسا للأسرة صيفا في السهرات الليلية، و لأهميته فقد بنيت سترة للحفاظ على حرمات الجيران بعضها على بعض، و قد تتكون السترة من جدار علوه أكثر من 1.5م و هو ما يمنع من التطلع إلى السطوح ا اورة[186]، و هو ـذه الأهمية بمكان يستعمل أيضا في نشر الزرع و قد يوجد به مخازن صغيرة كمخزن للميرة .

و مما لا شك فيه أن المباني المرابطية كانت على هذا النسق رغم أن الم لين المدروسين في هذه الرسالة كما ذكرنا آنفا كانت طوابقهما العلوية مهدمة، إلا أن هذا العنصر ذو أهمية كبيرة في عمارة المنازل لذلك لا نشك في أن المرابطين قد استعملوها في مساكنهم .

و مما اعتاد عليه المسلمون في القرون الأولى للهجرة (1-2 هـ/7-8 م)في المدن المفتوحة و المنشأة أن يبنوا مساكنهم بشكل أفقي و على المستوى الأرضي حيث نجد مثالا لذلك في مدينة الفسطاط في مصر التي أنشأها عمرو بن العاص بعد فتح مصر سنة 21هـ/641م حيث شهدت هذه المدينة حركة عمرانية و معمارية كثيفة و ذلك بالنظر إلى أصل سكا ا و كثافتهم حيث حدث في هذه المدينة و بالضبط في زمن عمر بين الخطاب حين كان عمرو بن العاص واليا عليها أن خارجة بن حذافة كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و متولي الشرطة لعمرو

185- فريد شافعي، مرجع سابق، ص457. و انظر :
- عبد القادر الريحاوي، مرجع سابق، ص627. – حسين جودي، مرجع سابق، ص68 .
- عبد العزيز لعرج، العمران الإسلامي...، مرجع سابق، ص93 .

186- عبد العزيز لعرج، العمران الإسلامي...، مرجع سابق، ص94 .

بن العاص ضاق عليه سكنه فبنى غرفة بطابق علوي، و كان أول من أحدث ذلك في مصر مما أثار تفكير الناس و شغل سوء الفهم بينهم و إصدار أحكامهم بأن هذا الصحابي الجليل فعل ذلك عنوة منه للإطلاع على عورات المسلمين من جيرانه فرفعوا شكواهم إلى الخليفة عمر بن الخطاب فكتب هذه الرسالة إلى عمرو بن العاص " ... أما بعد فقد بلغني أن خارجة بن حذافة بنى غرفة و لقد أراد خارجة أن يطلع على عورات جيرانه، فإذا أتاك كتابي هذا فاهدمها و السلام "[187] ، و في رواية أخرى أن خارجة بن حذافة بنى غرفة في زمن عمر بن الخطاب كانت تشرف على الجيران فشكوه إلى عمر بن الخطاب فكتب إلى عمرو بن العـاص " أن انصب سريرا في الناحية التي شكيت ثم أقم عليه رجلا لا جسيما و لا قصيرا فإن أشرفت فسدها "[188] ، و مما سبق ذكره يتبين لنا مدى اهتمام المسلمين حكاما و محكومين بتطبيق تعاليم الدين الحنيف و القواعد الأصولية في الحياة الإجتماعية و تنظيم شؤو ا، ومع التطور و الإزدهار الذي شهده العصر الأموي خرج المـ ل من إطار البساطة و التقشف الذي كان عليه إلى زي جديد تمثل بعضه في تلك القصور، و التي نجد العديد منها في بادية الشام و الأردن و في فلسطين، و ما القصر إلا بيت كبير، و أحسن مثال على هذه القصور هو قصر الحير الغربي الذي جاء مخططه على شكل دار كبيرة يحيط ا سور، توزعت داخله أجنحة السكن على طابقين و هي بيوت متلاصقة يتكون كل بيت منها من و واسع تنفتح على جوانبه غرف بعضها مربع و آخر مستطيل[189] .

و أما في العصر **العباسي** فإننا لا نجد للمـ ل آثارا سوى داخل قصور و منازل الخلفاء و الأمراء (كقصر الأخيضر ، و الجوسق الخاقاني ، و بلكوارا ، و قصر الجص) حيث لم يعد القصر العباسي بيتا كبيرا كما كان القصر الأموي بل أصبح أشبه بمدينة ملكية فيها الباحات الواسعة و الملاعب و الحدائق و السراديب و بيوت السكن و الحمامات و قاعة العرش و قاعة الإستقبال، و يتضح لنا مثال آخر للبيت العباسي في بيوت الفسطاط حيث تعددت فيها الوحدات السكنية، و لها جناح إضافي يجاور الباب له فناء خاص، و احتوى الصحن أيضا على

1- ابن عبد الحكم ، **فتوح مصر و أخبارها** ، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل ، 1920 ، ص 104 . و انظر :

- السيوطي ، **الحاوي للفتاوي** ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان، 1988 ، ص118 .

- عبد العزيز لعرج، العمران الإسلامي...، مرجع سابق ، ص91 .

2- ابن عبد الحكم ، مصدر سابق ، ص 107 .

1- عبد القادر الريحاوي ، مرجع سابق ، ص611-613 .

بركة ماء إضافة إلى ذلك فأننا نجد في بيوت الفسطاط إهتما خاصا بالمدخل المنكسر الذي يعطي للصحن عزلة كاملة[190] .

و أما عن الم ل في **بلاد المغرب** فلا شك في أنه قد تأثر تأثرا كبيرا ببيوت المشرق العربي حيث استمد شكل تخطيطه منها، و يظهر لنا ذلك التأثير من خلال تأثُر العمارة السكنية المغربية في العصر الرستمي في مدينة سدراتة الإباضية التي كشف عنها عدد من الباحثين الأجانب و في مقدمتهم فيكتور لارجو (Victor Largeot) و هارولد تاري (Harolde Tarry) ، حيث استطاعوا من خلال حفريتهم تحديد شكل الم ل في هذه الفترة، و قد وجدوا نوعين من المنازل، الأول متكون من قاعة واحدة مفتوحة على الفناء، و الآخر يظهر على شكل قاعات مستطيلة كل منها تطل على فناء[191] .

أما عن شكل المنـزل في الفتـرة الحماديـة فإن الإكتشافـات التي قام ـا (Golvin)[192] و رشيد بورويبة في القلعة من خلال قصر المنار أثبتت أن المسكن في هذه الفترة ذو شكل مستطيل ينفتح على فناء وسطي محاط بأروقة أو بدو ا، و الحجرات ملاصقة للحوائط الخارجية مما دل على أن المؤثرات المشرقية جاءت واضحة المعالم في المسكن الحمادي الذي بدى تأثيره واضح المعالم في بعض المساكن **بالأندلس** كقصر ابن مردنيش، حيث أسفرت نتائج البحث الأثري و الحفريات في مدينة الزهراء أن بناء القصور في هذه المدينة قد اتخذ نظامين، الأول نظام الدار التي تقوم حول فراغ مركزي يتمثل في الصحن و الذي تتوزع حوله جميع الغرف و القاعات، و الثاني نظام القصر الذي يتألف من بلاطات أو أروقة متوازية[193] .

وعليه فإنه كان لزاما علينا أن نعتمد هذه الأمثلة التي عرفها الم ل الإسلامي من خلال فترات تطوره ومقارنتها مع بعض الدراسات حول الم ل المرابطي لا سيما أعمال التنقيب التي قام ا

2-فريد شافعي ، **العمارة العربية في مصر الإسلامية عصر الولاة** ، مج1، الهيئة المصرية للتأليف والنشر ،المطبعة الثقافية ،1970،ص433.

1- رشيد بورويبة ،(**بيوت سدراتة**) ، المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية ، وزارة الثقافة الجزائرية ، 1982 ، ص02-03 .

2- Golvin.L, **Recherches Archeologiques A La Qala Des Bani-Hammad**,Maison Nouveel , La Rose , Paris , 1965 , P83 .

3- عبد العزيز سالم، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي** ،ج2، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1972 .

الأثري هنري تيراس في قصبة مراكش، حيث أمكن لنا من خلالها التعرف على مثال للم ل المرابطي الذي تم نسبته لعهد علي بن يوسف بن تاشفين، و يتكون هذا الم ل من ثلاث فناءات تحيط ا حجرات واسعة شبيهة بتلك الموجودة بقصر ابن مردنيش في مرسية[194]، و لكن و رغم ما بقي من منازل مرابطية في مدينة ندرومة يبقي الأمر أكثر تعقيدا إذا ما أردنا ضبط و تحديد تاريخ و شكل هذا المسكن في هذه الفترة، وذلك لقلة الدراسات حولها والتي يعتريها الكثير من الغموض، حيث أننا كلما ابتعدنا عنها نزداد جهلا بحقيقة المنازل والدور فيها وتبقى الحقيقة نسبية لا مطلقة والتي يصعب من خلالها تنميط الم ل المرابطي ودراسة أقسامه الداخلية.

و مما يفتح لنا ا ال للمقارنة أيضا الكلام الذي يذكره الحسن الوزان عن الدار أو الم ل في مدينة فاس حيث يتحدث فيه عن التخطيط المعماري له فيقول " ... ساحة مكشوفة و الحجرات قائمة في كل جوانبها ..." ويحيط بالساحة المكشوفة أروقة [195]، و لا شك في أن تكوين هذا النمط من المساكن التي تنسب إلى الفترة المرينية امتدادا لنمط المسكن المرابطي وتطورا لعمارته، وعلى العموم فإن الوصف الكامل للبيت في المغرب العربي لم يرق إلى الدرجة التي يمكن من خلالها إقامة دراسات وأبحاث متخصصة تغوص في أعماق هذا الميدان وتفي بحاجة الباحثين و تشفي غليلهم، على العكس منه فإن الم ل في المشرق العربي حضي بالعديد من الدراسات التي كشفت الحجاب عن بعض ما تتوق إليه نفس الباحث والمهتم بالم ل العربي عبر التاريخ .

أما فيما يتعلق بدور مدينة ندرومة فقد دم منها جزء كبير و تخرب، و ذلك بسبب إهمال السلطات المعنية بترميم هذه الدور والمحافظة عليها و بفعل الزمن ولم يبق منها إلا أطلال قمنا نحن من خلال المعاينة الميدانية بدراسة م لين، حيث أنه لم يكن من السهل القيام ذه الدراسة إلا بشقّ الأنفس و ذلك بسبب الحالة السيئة التي وجدنا عليها الم لين ، و سنبدأ بدراسة الم ل الذي سمّي حديثا دار زرهوني .

م ل دار زرهوني : (أنظر الشكل رقم 07)

يقع هذا الم ل في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة وبالضبط في حي الخربة و هو يتوسط مجموعة مساكن حديثة العهد وهو مستغل من أحد سكان المدينة متخذا منه مسكنا له، إضافة إلى

-194 Marcais G.L'Architecture…, Op- Cit,p :214.

2- حسن الوزان، مصدر سابق، ج1 ، ص 222.

ذلك فإن الطابق العلوي قد دم ولم يبقى إلا بعض المعالم كالدرج الصاعد من الطابق الأرضي إليه و الم ل عموما في حالة سيئة آيل إلى السقوط إن لم تتداركه أيادي الترميم حيث يبدو أن هذا الم ل تعرّض للإهمال في فترة ما من فترات التاريخ و التي لا يمكن تحديدها مما أدى إلى دم طابقه العلوي و تحوله إلى خربة (أنظر الصورة رقم 40).

أما عن الدار فنرجّح أ ا قد تكون من بين المنازل المرابطية وذلك طبعا بالاستناد إلى مواد البناء التي استعملت فيها لذلك نجدها تبدو بسيطة في دار زرهوني حيث كانت متكونة من الخشب والحجارة بكامل أشكالها و مادة الطابية التي غلبت على جل المباني و المنشآت المرابطية كما هو معروف عن هذه المادة من صلابة و قوة في التكوين، كما أورد ذلك ابن فضل الله العمري في كلامه عن الطابية حيث يقول " ... هو أشد من الحجر و لا تعمل فيه ا انيق و لا تؤثر فيه ..."[196]، هذا عن استعمالها في التحصينات العسكرية، أما في العمارة المدنية فإن الطابية تعتبر مادة عازلة تحافظ على مستويات درجة الحرارة و الرطوبة، حيث كان استعمال المرابطين لها في عمائرهم المدنية أقل بكثير مما هي عليه في التحصينات العسكرية، ذلك لأننا نجد سمك الجدار في المساكن أقل حجما مما هو عليه في الأسوار .

أما من حيث الشكل الخارجي(أنظر الصورة رقم 33)لهذا الم ل فإنه اتخذ واجهة وحيدة اتسمت بالبساطة إذا ما قورنت بما في داخل الم ل من عناية و جمال ، و هي خالية من الفتحات المطلّة على الخارج و يتوسّطها مدخل يفضي من خلاله إلى الم ل و حجراته .

<u>كتلة المدخل</u> : (أنظر الصورة رقم 33)

و هي مربعة تقريبا مقاسها 1.93م طولا و 1.37م عرضا و ينفذ من خلالها عبر مدخل منكسر يتصل مباشرة بالصحن .

ويعتبر المدخل المنكسر (أنظر الصورة رقم 34) من سمات الم ل الإسلامي فهو يحجبه عن الشارع العمومي بحيث تتجه الدار نحو داخلها مديرة ظهرها عن خارجها[197]، و ذلك وفقا للتعاليم و القيم الدينية التي تقتضي حرمة الم ل وتنقّل ساكنيه في الداخل بكل حرية و خاصة المرأة التي يعدّ الم ل بالنسبة لها الفضاء الوحيد الذي تجد فيه راحتها، و هذا المدخل جسّد أيضا

1- العمري ، مصدر سابق ، ج1، ص116 .

1- إبراهيم بن يوسف، <u>إشكالية العمران و المشروع الإسلامي</u>، مطبعة أبو داوود ، الجزائر ، 1992، ص 99.

مدى اهتمام الدين و حفاظه على الحرمات و على حرية التنقل داخل المنزل بعيدا عن عيون المارّة فجاءت مداخل المنازل على شكل هيكل بنائي ملتوٍ و منكسر يحتوي على بابين داخلي يفتح على الفناء الداخلي للمسكن و خارجية يفتح على الزقاق أو الطريق و بين البابين سقيفة أو ممر على هيأة منكسرة تشبه حرف اللام الإبتدائي " **لـ** " نهايته هما الباب الداخلي و الخارجي[198] ، و هو ما يحجب سكان المنازل المقابلة إذا خرجوا أو وقفوا بالأبواب أو أشرفوا عليها[199]، و هنا تتجلى الدلالة الإجتماعية و الدور الوظيفي لمثل هذه المداخل في المدينة الإسلامية و هي حفظ حرمة الجيران إنطلاقا من القاعدة الأصولية " لا ضرر و لا ضرار " .

الفناء : (أنظر الشكل رقم 08)

و يتوسط المنزل وهو ذو شكل مستطيل تقريبا ممتد من الشرق إلى الغرب، و مساحته 11.60م ×6.50م ، و بهذه المساحة فهو يقارب مساحة الفناء في منزل قصبة مراكش الذي اكتشفه هنري تيراس حيث قدرت مساحته 10م×08م و تشرف على الفناء أروقة لم يبق منها إلا آثار الأعمدة التي كانت تحمل الأروقـة المشرفـة على الصحن في الطابق العلوي (الثاني)، و هنا نشير إلى أن صحون منازل ندرومة خالية من بركة الماء أو النافورة التي نجدها في صحون المنازل بالمشرق العربي كما يظهر في قصر الأخيضر العباسي[200] .

أما عن أرضية الفناء فهي من الحجارة حيث لا ندري إن كانت أصلية أو استحدثت في فترات لاحقة، و يعد الفناء الداخلي من بين أهم العناصر الرئيسية سواء في العمارة الدينية أو المدنية على مر العصور تقريبا، حيث أوجدته الضرورة في أول عمارة عرفها التاريخ و استمر استعماله في كافة بقاع العالم بالرغم من اختلاف المؤثرات الاجتماعية و المناخية و الدينية، فإن وظائفه كانت متعددة فمنها الصحية، إذ أنه يمد أقسام البيت بالنور و الهواء و أشعة الشمس و يلطف من برودة الجو شتاء و حرارته صيفا، و يسهّل الإتصال بين عناصر السكن المختلفة وكانت تمارس فيه أوجه النشاط المختلفة مثل الغزل و النسيج و النجارة، كما أنه اتفق و النواحي الاقتصادية

2- عبد العزيز لعرج ، العمران الإسلامي ...، مرجع سابق ، ص92 .

3- محمد عبد الستار عثمان ، مرجع سابق ، ص 342. و انظر:

- صالح أحمد الشامي ،**الفن الإسلامي إلتزام و ابتداع** ، ط1 ، دار القلم ،دمشق 1990، ص 324.

1- عبد القادر الريحاوي ، مرجع سابق ، ص167 .

حيث أنه لم يكن في قدرة الإنسان العادية تسقيف كافة سطح الأرض التي كان يملكها [201]،و بما أن المرابطين انتهجوا منهج الدين في حكمهم فقد انطبق ذلك أيضا على منشآ م المعمارية، فلم يكونوا ليتخلّفوا عن مثل هذا العنصر الهام في تكوين الم ل الداخلي و وظائفه المتعددة*، التي تحدثت عنها الكثير من كتب العمارة وأوضحت قيمتها ودورها في حفظ حرمة الم ل وتزويده بالنور والهواء وأشعة الشمس، وتلطيف الجو داخل المسكن شتاءً وصيفا .

حيث يتحول الفناء إلى خزان كبير للهواء البارد في الليالي الصيفية فيمد البيت ببرودته حتى ساعات متأخرة من النهار، و بالعكس فإنه يحتفظ في الشتاء بدفء الأيام المشمسة ليمد ا غرف البيت ساعات أخرى بعد غياب الشمس و الصحن مكان التقاء أفراد الأسرة و تعاو م و مقر جلسا م و اجتماعا م اليومية[202]، و تعدّ الدراسة التي قام ا الدكتور عبد القادر الريحاوي من خير الدراسات و أعمقها وصفا وتحليلا لعنصر الصحن الذي اعتبر سمة من سمات البيت العربي الأصيل في المشرق أو المغرب[203] .

الإصطبل : (أنظر الصورة رقم 38)

يوجد الإصطبل مباشرة على يمين الداخل للم ل من الباب الرئيسي و مقاساته 6.70م طولا و 2م عرضا، وقد دم جزء كبير من سقفه وتراكمت فيه البقايا المتساقطة من السقف (أنظر الصورة رقم 39)، وقد فتحت به فتحات صغيرة الحجم تطل على الصحن و يرجّح أ ا استعملت لتفقّد الدواب وربما لإضاءة الإصطبل، و ما يفسر لنا قرب الإصطبل من المدخل الكبير للم ل هو عدم إلحاق الأذى بالصحن و السكان عن طريق فضلات الدواب و بقاياها، و مما

2- محمد عبد الستار عثمان ، **نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة** ، دار الوفاء الإسكندرية ، 2000،ص257.

*- عن وظائف الصحن، أنظر :
- سعيد ناصف ، **المدينة الإسلامية دراسة في نشأة التحضر** ، مكتبة الزهراء ، القاهرة، 1999 ، ص 63 – 64 ،
- محمد عبد العال إبراهيم، **العمارة الخليجية بين الأصالة و التجديد** ، ج2 ، دار الراتب الجامعية، بيروت، 1987 ، ص17 .

1- عبد القادر الريحاوي ،مرجع سابق ، ص 626.

2- عبد القادر الريحاوي، (**البيت في المشرق العربي الإسلامي**)، المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية، وزارة الثقافة الجزائرية ،1982، ص17 .

نعتقده ومن خلال الدراسة الميدانية ومعاينة الإصطبل فإن صغر حجمه يوحي لنا بأن الدواب التي كانت لأصحاب الم ل هي نفعية مهيئة لنقل بعض الحاجيات التي تخص الم ل كالحطب و غيره .

و للإصطبل أهمية بالغة فقد اهتم المسلمون ببنائه و ذلك لرعاية الخيول وما شا ها و تأمين مبيتها نظرا لما لهذه الحيوانات من أهمية في حيا م قبل الإسلام و بعده، حيث كانت الدور لا تخلوا من هذا العنصر في المباني فكانت تلحق ا اصطبلات الخيل أو الحمير أو البغال، و هي ذات استعمال يعود بفائدة على البيت و يسهل مهام الرجال في تنقلهم و حمل متاعهم[204] و حتى أثناء الغزو.

ومن المعروف أن المرابطين أهل البداوة و أصولها امتلكوا مثل هذه الدواب وعرفوا قيمتها خاصة و أن فتر م التاريخية عاشت الكثير من المعارك و الصراعات و أن جيوشهم تنقلت في أرجاء المغرب و عايشوا هذه الأحداث و مما لا شك فيه أن يكون المرابطون قد اتّخذوا قسما من أقسام منازلهم لرعاية الدواب و حفظها و ذلك للإعتماد عليها وقت الشدة و أثناء الحروب .

ولم تشر الدراسات إلى مثل هذا العنصر و اهتمام المرابطين به ربما لأن جل العمائر المرابطية لاسيما المدنية منها دمت و اندثرت معالمها، غير أن الملاحظ للبساطة التي امتاز ا هذا الإصطبل الذي ألحق بالم ل يتجلى له الصواب و يظهر له أن الهدف منه هو صيانة الدواب و حمايتها لما لها من أهمية، و أيضا مما يلفت الانتباه هو انخفاض أرضية الإصطبل قليلا عن باقي أقسام الم ل و قربه من المدخل الرئيسي .

المرحاض :

يوجد في الجهة الشمالية من الم ل و قد قسّم إلى جزئين كل منها على حدى، الأول مقاساته 2.55م طولا و 1.17م عرضا و الثاني مقاساته 2.55م طولا و 1.50م عرضا و الذي يغلب على الظن هو أن أحدهما خصص لسكان الطابق الأرضي و الآخر لسكان الطابق الثاني أو ربما لعائلتين مختلفتين كل منها سكن طابقا، و لم نجد أي أثر للكنيف (أو المرحاض) غير أن القناة التي تتصل بالكنيف قد كسر جزء منها في امتدادها نحو المدخل الرئيسي للم ل

1- عبد الرحيم غالب ، **موسوعة العمارة الإسلامية** ، ط1 ، المطبعة العربية ، بيروت 1988، ص 554 . و انظر :

- أبو صالح الألفي ، **الفن الإسلامي ، أصوله فلسفته ، مدارسه** ، ط2 ، دار المعارف ، مصر، 1974 ، ص 125 .

وهي مشتركة بين المرحاض الأول و الثاني وكلاهما يتصل ا، وقد عملت هذه القناة تحت الأرض و لعل تلاشي أرضية الصحن و زوالها كان سببا مباشرا في دمها و ظهورها للعيان .

الوحدات السكنية :

تتوزع حول الصحن الوحدات السكنية على جهاته الثلاث و هي أربعة غرف، وبين الغرفة الأولى و الثانية توجد المراحيض التي سبق ذكرها و هي في الجدار الجنوبي للم ل و الغرفتان الثالثة و الرابعة فتقعان في الجهة الشرقية للم ل، و قد اختلفت أحجام هذه الغرف، إذ أنه بالمقارنة مع غرف الم ل المرابطي المكتشف بقصبة مراكش فإن حجراته أوسع مما هي عليه في ندرومة، و ذلك بحسب الوظيفة التي أعدّت لها، ففي الغرفة الأولى (أنظر الصورة رقم 36) نجد مقاسا ا 7.50م طولا و 1.95 عرضا و هي ذات مدخل ذو اتساع 0.98م و هذه الغرفة ربما استعملت للضيوف و استقبال الناس و ذلك لاتساعها و أيضا قر ا من المدخل الرئيسي، و هي غرفة بسيطة تخلوا من الزخارف و لها نافذة فتحت على الصحن مباشرة ذات مقاسات 1.20م× 0.70م ، و تعدّ هذه الغرفة أكبر حجرات الم ل ووحداته .

وتلي الغرفة الأولى غرفة أخرى (أنظر الصورة رقم 37) تفصلهما المراحيض عن بعضها وهي الغرفة الثانية ذات مقاسات 4.70م طولا و 2.10م عرضا وهي غرفة بسيطة يكتنف مدخلها من الداخل خزانتان استعملت ربما لبعض أغراض الم ل وربما لوضع الملابس و غيرها، و هي ذات مقاييس 0.55م× 1م وقد تكون هذه الحجرة قد خصصت للنوم أو غرفة عادية ذات وظائف عامة .

و بالجدار الشرقي نجد الغرفة الثالثة التي نعتقد أ ا كانت مخزنا أو غرفة نوم للصغار و ذلك لمقاييسها الصغيرة 2.32م × 2.55م و هي تعلو مخزنا له نفس المقاييس و نصعد إليها بدرج قوامه أربع درجات و هي غرفة بسيطة أيضا ألحقت بالم ل ربما لتخزين المؤونة و حفظها و يدل أيضا على ذلك حجم با ا الصغير .

أما عن الغرفة الرابعة فهي تقع أيضا في الجدار الشرقي و بالمحاذاة من الغرفة الثالثة، و مقاسا ا 4.35م طولا و 2.32م عرضا، و هي من بين الغرف التي اتسمت بالاتساع و البساطة أيضا و ا خزانتان متجاورتان مقاسا ما 0.90م ×0.60م، و نرجّح في أن تكون هذه الغرفة قد استعملت كمطبخ للطابق الأرضي، و بالجهة الشمالية نجد مخزن آخر ذو مقاييس صغيرة جدا و

نجهل الوظيفة التي أعد لها إلا أننا نظن أنه استعمل كمخزن أو مكان لوضع أسرجة الدواب أو علفها ومؤونتها الخاصة .

وترتفع غرف هذا الم ل عن مستوى سطح الأرضية بحوالي 2.90م و3م، و الملاحظ على هذه الغرف أن مواد بناءها بسيطة جمعت بين الخشب وأعمدته المنتظمة في التسقيف وأيضا الحجارة بنوعيها الكبيرة والمنتظمة، والمعروف أن العمارة المرابطية اعتمدت في كثير من المباني المدنية على مثل هذه المواد والتي تمتاز بالصلابة و القوة و أيضا تم اعتمادها بشكل كبير في العمارة المدنية .

م ل (دار فتوح) : (أنظر الشكل رقم 09) و (أنظر الصورة رقم 41)

يقع م ل دار فتوح في الجهة الجنوبية للمدينة وبالضبط في الجهة الغربية للمسجد المرابطي الكبير بمركز المدينة و وسطها و الم ل في حالة تدهور مستمرة يوشك أن تقع معظم أجزائه و ذلك بفعل تآكل الجدران و أيضا عدم الإهتمام من قبل السلطات المعنية، و ما يدل على ذلك هو ـدم طابقه العلوي (أنظر الصورة رقم 54) أو الثاني دون تدخل يذكر، ورغم الخطورة التي يشكّلها هذا التدهور فإن الم ل مأهول وتقطنه عائلة كان لها الجهد الكبير في مساعدتنا على دراسة الم ل، وللإشارة فإن التشابه الكبير مع الم ل السابق دراسته فإنه من الراجح أن يكون الم لين قد بنيا في نفس الفترة و ذلك طبعا استنتاجا من خلال مواد البناء المستعملة و أيضا شكل الم ل و توزع أقسامه الداخلية غير أن الإختلاف يكمن في عدم وجود الإصطبل في هذا الم ل .

المدخل : (أنظر الصورة رقم 42)

كما هو معهود في المنازل الإسلامية فقد شاع استخدام المدخل المنكسر (أنظر الصورة رقم 43) حيث أن مدخل دار فتوح يبلغ مقاس فتحته 1.17م نلج من خلاله نحو رواق منكسر يشكل لنا دهليزا يحجب من خلاله الفناء عن الشارع و عن أعين المارة و هو يشبه في تصميمه مدخل المدينة الشمالي والمسمى باب القصبة، و مدخل الم ل بسيط قد سقّف بأعمدة الخشب الذي بدأ يفقد أجزاءه شيئا فشيئا و استعمل في تغطيته أيضا الطابية، وقد جاءت المداخل المنكسرة في المنازل المرينية على هذا النمط كما أشار إلى ذلك في دراسته للمباني المرينية الدكتور عبد العزيز لعرج[205]، مما يؤكد أن عناصر الم ل المغربي قديمة في معالمها، و إن كنا نرجّح أن م ل

1- عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية... ،مرجع سابق ، ص 389 .

دار فتوح يعود للفترة المرابطية فإن استمرار مثل هذه التقاليد في بناء الم ل ما هو إلا دليل على التشابه الكبير بين المباني المغربية في فترات تاريخية مختلفة و إن قلّت الدراسات حول هذا .

الفناء : (أنظر الصورة رقم 44)

و هو يلي المدخل مباشرة و يتوسط الم ل و من حوله توجد الغرف وآثار الأعمدة (أنظر الصورة رقم 54) التي كانت تحمل ممرات الطابق الثاني والذي دمت كل معالمه، وهذا الصحن أو الفناء مستطيل الشكل تقريبا مقاساته 9.60م× 5.70م، و أما عن سطح أرضيته فهو بسيط تغطيه الحجارة بأشكالها المختلفة و هي متناسقة مع بعضها البعض و أيضا متناسبة وشكل الم ل الذي نال منه الزمن و أثّرت فيه الطبيعة، و ما سبق ذكره عن الوظائف المتعددة للفناء فإن الاهتمام به وببنائه جاء نتيجة لحتمية سكان الدار و توفير الراحة لهم و حرية تنقّلهم داخلها، و من هنا كان لابد من الفناء الذي عولج في بنائه و كأنه حيّز لخلق مناخ مصغّر يمكن التكّيف معه[206].

المرحاض : (أنظر الصورة رقم 51)

لقد تغير موقع المرحاض في هذا الم ل وذلك حسب مساحة الم ل، فبذلك كان من الضرورة جعله بالقرب من المدخل العام للم ل و هو يقع بالجهة الغربية منه، و هنا جاء المرحاض غرفة واحدة ولم يقسّم و ذلك ربما لأن سكان الم ل كانوا من عائلة واحدة اشتركت فيه، و مقاساته هي 2.40م × 1.56م ، ولم نجد أي أثر للكنيف، غير أنه أضيف آخر في الفترة الحديثة و لم تظهر لنا قنوات المرحاض و لا شك في أ ا غطّيت تحت سطح أرضية الم ل.

الوحدات السكنية أو الحجرات :

و تتوزع غرف م ل دار فتوح حول الفناء من الجهات الأربع، و هي ستة غرف و ازدياد عدد الغرف في هذا الم ل هو بسبب عدم وجود الإصطبل و الذي حلّت محله غرفتين اختلف توزيعهما في الم ل و مساحتهما أيضا، و على هذا فإن الم ل تغير شكله و توزيع وحداته السكنية عن م ل دار زرهوني، إلا أنه لا يختلف حجم غرفه و مساحتها كثيرا عن هذا الأخير .

1-رئيف مهنى، **نظريات العمارة،** ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 71.
و انظر : - زكي محمد حسن، مرجع سابق، ص 113.

وبدءً فإن الغرفة الأولى في الم ل تقع في الجهة الغربية متخذة بذلك الزاوية من هذه الجهة جزءً منها، أي أن مساحة الغرفة أخذت إحدى أركان الم ل و ذلك من الجهة الغربية و هي محاذية للمرحاض و تطل على الفناء بمدخل بسيط ذو فتحة ذات مقياس 0.70م، و أما عن مساحتها فهي ذات مقاييس صغيرة 2.40م× 1.57م، حيث نعتقد أ ا كانت مخصصة لبعض أغراض الم ل و لوازم السكان أو أ ا كانت تستعمل لحفظ المؤونة و غيرها من الحاجيات الم لية .

أما عن الغرف الثانية و الثالثة فإ ا اتخذت شكل غرفة داخل غرفة يعني أن الداخل إلى الغرفة الثالثة لابد وأن يمر بمدخل الغرفة الثانية وهاتان الغرفتان نظن أ ما ضمّتا إلى بعضهما البعض لتقارب مقاسات كل واحدة منهما و أيضا شكل كل واحدة منها، فمقاسات الغرفة الثانية هي 2.40م× 1.44م و مقاسات الغرفة الثالثة هي 2.20م× 1.94م، و الراجح هو أن هاتان الغرفتان كانتا تشكلان غرفة واحدة من حيث الوظيفة و المعتقد أ ا كانت غرفة نوم للصبيان و مدخل هاتان الغرفتان بسيط ذو فتحة ذات مقاس 0.75م و تسقيف هذه الغرفة من الأعمدة الخشبية دم منها جزء كبير و تآكل .

ثم تلي هذه الغرفة في الجهة الجنوبية الغرفة الثالثة (أنظر الصورة رقم 48) و التي تعتبر من حيث مقاسا ا 4.16م × 1.93م من بين أوسع الغرف و هي ذات مدخل بسيط ذو اتساع 0.90م، وهي خالية من أي عناصر زخرفية غير أ ا تحتوي على نافذة مقاسا ا 1.05م × 0.60م، لا شك في أ ا استعملت في وية الغرفة و أيضا الزيادة في إضاء ا و هي تطل على الفناء و الذي يترجّح عندنا هو أن الغرفة استعملت لاستقبال الضيوف و زوار الم ل من الأقارب و الجيران .

وأما عن الغرفة التي تلي هذه الغرفة فهي الغرفةالرابعة(أنظر الصورة رقم 47) و التي تقع في نفس الجهة الجنوبية للم ل و مقاسا ا 4.20م× 2.47م و هي من بين أوسع الغرف في الم ل أيضا ، ذات مدخل بسيط إتساع فتحته 0.98م و تسقيفها بنفس كيفية تسقيف باقي الغرف و يعتقد أن هذه الغرف استعملت كمطبخ للم ل و هي بسيطة خالية من الزخارف أو أي نوافذ تطل على الصحن مما يبقي على شك الباحث أ ا كانت مطبخا للعائلة في الطابق الأرضي إلا أننا لم نجد أي معلم من معالم المطبخ و ذلك لقدم فترة بناء الم ل و ربما إتلاف مثل هذه العناصر و

استحداث عناصر أخرى في هذه الفترة المعاصرة، بدليل أن العائلة التي تقطن الم ل حاليا غّيّرت وجه كثير من أقسام الم ل .

و قد احتلت الغرفة الخامسة (أنظر الصورة رقم 46) الجهة الشرقية للم ل و هي ذات مدخل ذو اتساع 0.95م و مقاسات هذه الغرفة هي 6.02م×2.16م و هي أوسع الغرف مساحة و ا نافذة على يمين المدخل مقاسا ا 1.27م×0.85م، و يرجّح أن هذه الغرفة استعملت لبعض وظائف الم ل أو غرفة أخرى مخصصة للضيوف و لاجتماع العائلة، و إذا ما قورنت غرف هذا الم ل من حيث الحجم و الإضاءة فإ ا اشتملت على نوافذ وعلى مساحات واسعة تمكن من القيام بوظائف الم ل على أحسن الوجه.

و في الجهة الشمالية نجد الغرفة الأخيرة و هي الغرفة السادسة (أنظر الصورة رقم 45) و مقاسا ا 5.85م×1.47م، و قد احتلت هذه الغرفة هذه الجهة وحدها و ا مدخل بسيط اتساع فتحته 1.00م و ا من الداخل خزانة استعملت ربما للملابس أو أغراض الم ل الخاصة و مقاسا ا 0.40م×0.45م، وسقف هذه الغرفة مشكّل من أعمدة الحطب و الكلس و مادة الطابية وعلى العموم فإن الغالب على الظن أن هذه الغرفة استعملت لنوم بعض الأفراد و سبب كثرة عدد الغرف التي رجّحناها للنوم هو ربما لكثرة عدد أفراد سكان هذا الطابق أو اشتراك عائلتين في آن واحد، ولم نجد أثر للمخزن كما أن ارتفاع هذه الغرف عن مستوى أرضية الم ل لا يزيد عن 2.90م، أي أنه أقرب من ارتفاع م ل دار زرهوني، و تسقيف الم ل(أنظر الصورة رقم 50) إذا ما قورن بتسقيف م ل دار زرهوني فإنه استعملت نفس المواد في بنائه ألا و هي أعمدة الخشب و الكلس و الطابية .

<u>البئر</u> : (أنظر الصورة رقم 52)

و يوجد البئر في الجدار الشمالي للم ل و بالضبط أسفل الدرج الصاعد إلى الطابق الثاني و مياهه جارية إلى يومنا هذا و مقاس فتحته أو قطره 1.15م اعتمد في بنائه على الحجارة .

ولم تشر المصادر التاريخية في نصوصها حول طريقة بناء الآبار في الفترة المرابطية و لا عن كيفية بنائها، و كل ما يمكن قوله أن اتخاذ البئر في المنازل ما هو إلا دليل على وفرة المياه في المنطقة و أيضا وجود المتخصصين في مثل هذه المهن، و على العكس فإن البئر استبدل أو تغير في

المنازل المشرقية فاستعملت بدلا منه النافورة التي تتوسط الفناء[207]، مما زاد في جمالية الم ل و روعته، و مهما يكن فإن للبئر وظائف لا يمكن الاستغناء عنها، فمنها الغسيل و أيضا توفير المياه لشرب الدواب و غيرها من الوظائف المتعلقة بنظافة الم ل، و هذا البئر في شكله و تكويناته البنائية يشبه كثيرا بئر ضريح سيدي أبي مدين الذي نعتقد أنه تقليدا له بحكم أن العمارة المرينية ليست بالبعيدة فتر ا عن فترة العمارة المرابطية التي اقتبست منها الكثير لاسيما الم ل و أقسامه الداخلية .

و مهما يكن فإن الدارس لمثل هذه المنازل و التي نرجّح أ ا تكون من بين المنازل التي أنشأها المرابطون في مدينة ندرومة، و يستنتج أنه لبساطتها و قلة تكاليف بنائها و أيضا طريقتها البدائية في البناء أ ا من بين العمائر المدنية المرابطية بحكم أن هذه الأخيرة لم تنل نصيبها من العناية في عصر المرابطين إذ كانوا أهل بساطة و تقشف و حروب[208]، فمدينة فاس مثلا استخدم أهلها الحجر و الآجر و الكلس في منازلهم مع أسقف خشبية، وكان الطابع العام في تنظيم البيت باب يؤدي إلى دهليز يتناسب مع حجم البيت ومن الدهليز إلى صحن البيت الذي تحيط به الغرف، وعادة ما يكون تكوين هذه المنازل من طابق أو طابقين وإذا كانت الدار كبيرة فقد يكون لها أمام الغرف أروقة تدفع عنها حر الشمس ومطر الشتاء [209].

وتبقى الدراسات حول المنازل المغربية القديمة ناقصة إذا ما قورنت بغيرها من العمائر الدينية و العسكرية التي نالت قسطا وافرا من الدراسة ولعل من أبرز عوائق البحث في العمارة المدنية هو نقص النصوص التاريخية و انعدامها وأيضا نقص المباني التي تعرضت لعوامل التغيير مما يجعل نسبة الدراسة فيها و الاستنتاجات محدودة لابد من تعميق الاستدلال فيها والتعليق عليها بالأمثلة الصريحة من الواقع والمعالم الأثرية لهذه العمارة.

و هكذا و من خلال ما سبقت دراسته نكون قد شخصنا من حيث التخطيط و التركيب صورة الم ل المرابطي و الذي سار على نمطية معمارية مرتبطة بطبيعة المناخ و بنسق ديني أخلاقي

1- عبد القادر الريحاوي ، المؤتمر العاشر... ، مرجع سابق، ص 17.

2- زكي محمد حسن زكي ،_مرجع سابق ، ص 113.
1- حسيبة عبدوني ،مرجع سابق، ص 95 .

حافظ على وحدة الأسرة و احترام ا تمع لمثل هذا التكوين الاجتماعي في حركته و علاقات أفراده بعضهم ببعض.

الحمام البالي (المرابطي)

نبذة تاريخية عن الحمامات :

لقد جاءت عمارة الحمامات في فترات مبكرة من تاريخ الحضارة الإسلامية، و ذلك ليس لأ ا مظهر حضارة و ترف فحسب، بل لأن ضرورة الدين الإسلامي أوجبت الطهارة و الإغتسال على كل مسلم، فألحقت الحمامات في البداية بالأبنية السكنية خاصة القصور منذ العصر الأموي مثلما كان في قصير عمرة (93هـ/712م)، و حمام الصرخ (107هـ/725م) و قصر خربة المفجر (127هـ/744م) ببادية الشام، ثم تم إنشاء الحمامات العامة بعد ذلك في أرجاء المدن الإسلامية المتعددة، حيث احتفظت هذه الحمامات العربية المبكرة بنفس التكوين المعماري الذي عرفته الحمـامـات اليونانيـة و الرومانيـة دون تغييـر يذكر، و اشتملت على الغرف الثلاث (الباردة و الدافئة و الساخنة)*، و طريقة إتصال هذه الوحدات بعضها ببعض لكن شكلها خضع للتقاليد الإسلامية الجديدة التي ظهرت في حمامات القصور الأموية المشار إليها سابقا [210] .

و أما عن **الأهمية الإجتماعية للحمامات** فلا شك في أن الحمام قد اعتبر من بين أهم المراكز الحساسة في المدينة الإسلامية، إذ أن دوره فيها يختلف تماما عن دوره في المدينة اليونانية و الرومانية، حيث كانت هذه الأبنية في هذين العصرين منتدى لنخبة ا تمع من ذوي السلطان و الأغنياء، يجتمعون فيها للتسلية و المتعة و اللهو، بينما هي لعامة الناس في المدينة الإسلامية، يدخلون إليها للنظافة و التطهر نظرا للوازع الديني الذي يأمر به الدين و يحث عليه، و هذا الذي لم يكن من أساسيات الحمام قبل الإسلام [211].

و يعتبر الحمام من بين أهم المنشآت المدنية في المدينة الإسلامية و ذلك لما يقدمه من خدمة لسكا ا و ما يوفره من راحة لعامة سكان المدينة، حيث كثر إنشاء مثل هذه المنشآت لحاجيات وظيفية مرتبطة بدعوة الإسلام للنظافة و التطهر و عدم قدرة العامة على تضمين منازلهم حمامات

---

* - عن تعاريف الغرف الثلاث أنظر : In **(Hammam)** Bos Worth .C.E, Evan. D , Et D'Autres.-
Encyclopédie De L'Islam…, Op-Cit,T3,P 143-144.

1- عاصم محمد رزق ، ص84-85.

.

1- عاصم محمد رزق ، مرجع سابق، ص86 .

خاصة وبرغبة القادرين على إنشاء هذه الحمامات العامة لاستثمار أموالهم في إنشائها لما تدره من ربح وفير لشدة الطلب عليها[212].

و أما عن الحمام المرابطي بندرومة فإن المصادر التاريخية لم تشر إليه، كما أنه لم يرد ذكره في كتب المؤرخين و الرحالة، الذين وصفوا المدينة أو مروا بالمنطقة، فالمعاصرون للفترة المرابطية لم يذكروا شيئا عنه فاليعقوبي لم يتكلم عنه في حديثه عن وصف المدينة، كما لم يذكره الإدريسي في وصفه أيضا، و لكن رغم هذا فإنه يترجّح لدينا أن الحمام يعود للفترة المرابطية ويدخل ضمن المنشآت التي قام المرابطون ببنائها وتشييدها، ويأتي مكمّلا للجامع الكبير الذي يفصله عنه الشارع ، وهو من مستلزمات الطهارة التي لا تقضى الصلاة إلا ا، ولا تؤدى فريضتها إلا بالاغتسال التي بني الحمام من أجلها .

والحمام **لغة** هو المَسخن من الفعل حمى بمعنى سخن، وقد اتفق في التعريف اللغوي للحمام ابن منظور في لسان العرب، و المقريزي في الخطط أنه الحميم و الحميم، هو الماء الحار[213]، ويتوافق هذا مع حرارة الحمام الفعلية و سخونة مائه و تأثيرها في جسم المستحم من تصببه عرقا.

و أما عن **الحمامات السابقة لحمام ندرومة** في المغرب الأوسط و مدى تأثره ا فيتبين لنا من خلال ما ذكره البكري أن عددا كبيرا من الحمامات كان متواجدا في مدن المغرب و قراه، فأرشقون مثلا بتلمسان كان يتواجد ا حمامان، و أما مدينة جراوة كان ا خمس حمامات، و بسبتة فعدد الحمامات ا لا يتجاوز الثلاثة، أما تيهرت فقد كان يتواجد ا اثني عشرة حماما، و في مدينة فاس فقد كان عدد الحمامات ا في القرن 05هـ/11م عشرون حماما [214]

و لقد كثرت الحمامات و تعددت في المدن الإسلامية و أصبحت إحدى الظواهر البارزة في ا تمع الإسلامي فالحمام يحتل المرتبة الثانية مكانة بعد الدار حيث كانت عادة الاستحمام من

2- محمد عبد الستار عثمان ، **المدينة الإسلامية** ... ، مرجع سابق ، ص 246 .

1- عن التعاريف المختلفة للحمام أنظر:- إبن منظور، **لسان العرب المحيط،** ج1، قدم له عبد الله العلايلي و أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط، دتر الجيل بيروت-دار لسان العرب، بيروت-لبنان، 1988، ص 712.

- المقريزي، **الخطط**... ، ج2 ، ص 431 .

- فيروز آبادي ، **قاموس المحيط** ، تح : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، ط6 ، ج1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1998 ، ص1097.

- المعلم بطرس البستاني، **محيط المحيط،** مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 998،ص 197 .

2- البكري ، مصدر سابق ، ص68-77-103-115-142.

العادات المتأصلة بعمق في الإسلام للطهارة والنظافة و دليل ذلك أنه ما كادت شمس الإسلام تغرب عن الأندلس حتى بطلت عادة الاستحمام في البلاد التي أصا ا الاسترداد[215].

ومما يجعلنا نرجح أن الحمام بني خلال المرحلة المرابطية هو تشابه نظامه المعماري و تخطيطه بنظام و تخطيط الحمامات المغربية، التي لم يخرج نظام تخطيطها عن حمامي مدينة الزهراء و قلعة بني حماد، الذي أصبح فيما بعد النسق المتبع و النظام المطبق في الحمامات المرابطية و الموحدية، إلا أنه و من خلال الدراسة التي قام ا أندي بازانا و التي جاء موضوعها حول دور و منازل شرق الأندلس في العصر الإسلامي ، و التي أشار إليها الأستاذ عبد العزيز لعرج في أطروحته، و التي توحي بأن نظام حمام ندرومة له نفس التقسيمات التي احتوت عليها حمامات القرى التي أشار إليها بازانا، أي البيت البارد و البيت الدافئ و البيت الساخن الذي يتصل به نظام التسخين، و بربط الصلة بين حمامات القرى و المدن الحضارية الكبرى، فإن الإختلاف لا يبدو كبيرا بقدر ما يبدو متناسقا يتمم بعضه بعضا ، ما عدا الثراء الزخرف الذي تكاد تخلوا منه حمامات القرى و الأرياف[216] .

كما أن قرب حمام ندرومة من المسجد الكبير المرابطي قد يصلح دليلا لأن نقول بأنه قد أنشأ معه في نفس الفترة، لأن الحمامات العامة كانت تتخذ أماكنها بجوار المساجد والمساجد الجامعة سواء في وسط المدينة أو أحيائها السكنية، لارتباطها بالطهارة والنظافة[217]، لقوله تبارك و تعالى " يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين "[218].

وعن تخطيط الحمام المرابطي فقد أشار الدكتور عبد العزيز لعرج في أطروحته، نقلا عن ميشال تيراس إلى حمام زاغورة المرابطي الذي نشر مخططا له يتضح من خلاله أنه يتكون مثل الحمامات القديمة من قاعة لخلع الملابس وملاحق لها وثلاث قاعات هي الباردة والدافئة والحارة و فرن التسخين[219] وهذه الأدلة تساعدنا في ترجيح ونسبة الحمام إلى الفترة المرابطية من خلال أقسامه المعمارية التي تشبه كثيرا حمام زاغورة الذي أشار إليه الدكتور عبد العزيز لعرج .

3- عبد العزيز سالم، **تخطيط مدينة الإسكندرية** ...، مرجع سابق، ص 22 .
1- عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية ...، مرجع سابق ، ص 447-448.
2- نيكيتا ألسيف مرجع سابق ، ص 102-106.
3- سورة الأعراف، آية 31.
4- عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية ...، مرجع سابق ، ص448.

الدراسة الوصفية لحمام البالي : (أنظر الشكل رقم 10)

يقع الحمام البالي بالجهة الجنوبية المقابلة للمسجد الجامع، وكلاهما يشرف على طريق واسع وقد تعرض الحمام البالي لعدة إصلاحات وترميمات أتت على بنيته الأصلية وجماليته التي أنشأ عليها حيث تغيّر شكله العام ونمطه وطرازه المعماري وجوهر تخطيطه، ويحتوي الحمام عموما على أربع قاعات هي على التوالي :

1. القاعة الباردة أو قاعة الاستراحة FRIGIDARIUM-
2. القاعة الدافئة TEPIDARIUM- القاعة الساخنة أو الحارة CALDARIUM -
3. الفرن أو الفرناق

وقد توزعت هذه القاعات على مخطط بنائي اتخذ شكلا شبه مستطيل صغير الحجم إذا ما قورن بباقي الحمامات خاصة حمام قصر المنار بقلعة بني حماد، و هو يمتد من الشمال إلى الجنوب، والحمام يتربع على مساحة 162م^2 مما يؤهله لأن يتسع لعدد كبير من الزبائن سواء من سكان المدينة أو من خارجها، وهو بذلك يحتل مكانا استراتيجيا في المدينة مما ساعد على عدم تعرضه للتخريب وحفاظه على أجزائه وعناصره المعمارية التي نقوم الآن بدراستها، وأيضا مما يبين أهمية الحمام هو اهتمام السلطات المعنية بترميمه وتصنيفه ضمن المعالم الأثرية و المنشآت الهامة في المدينة .

الوصف العام لأقسام الحمام :

المظهر الخارجي للحمام :

يبدو المظهر الخارجي للحمام ذو شكل مستطيل(أنظر الصورة رقم 55) حيث يمتد من الجهة الجنوبية إلى الجهة الشمالية و يفصله عن المسجد الجامع بندرومة شارع التربيعة حيث تقابل كتلة مدخله الجدار الجنوبي للمسجد و قد تعرض الحمام إلى عملية ترميم حديثة مست جميع أقسامه مما أثر على بنيته الأصلية كما يبدو ذلك واضحا من خلال المادة التي استعملت في تغطيت جدرانه من الخارج و الداخل على حد سواء و المتمثلة في الملاط، و أيضا السقف الذي

يعلو كتلة المدخل و تغطي الحمام أقبية نصف أسطوانية ا عيون زجاجية استعملت الإضاءة مع قبة تتوسط الغرفة الدافئة و نجد أيضا ثلاثة مداخن مخصصة للدخان (أنظر الصورة رقم 55)، و يمكن تقسيم الحمام إلى ثلاثة أقسام هي كالآتي :

القسم الأول : ويتمثل هذا القسم في كتلة المدخل (أنظر الصورة رقم 56) التي تواجه الجامع ويبلغ عرضه 1.10م تقريبا يؤدي مباشرة إلى الغرفة الباردة أو غرفة الاستراحة وتبلغ مقاسا ا 7.70م ×6.79م أي أ ا مائلة إلى الإستطالة و هي مخصصة للراحة والإسترخاء أو كما يسمى بيت الإستراحة و الذي يظهر لنا في الحمام الملكي بقصر الحمراء في أحسن صورة [220]،ويفصلها إلى جزئين مجموعة من العقود الحدوية القليلة الإنكسار(أنظر الصورة رقم 58) التي شاع استعمالها في العمائر المرابطية يحملها عمودان من مادة الرخام* وهما أصليان في الحمام و أبدا ا مستديرة (أنظر الصورة رقم 57) .

وقد غطّيت هذه الغرفة بقبو نصف أسطواني يحتوي على فتحات للإضاءة أو عيون زجاجية[221]، وقد استعملت مثل هذه الأقبية في الحمام الذي تم العثور عليه من خلال الحفريات التي تمت في مدينة قرطبة بالقرب من الجامع الكبير[222]، وتساعد هذه الفتحات على دخول النور ويخلوا هذا القبو من أي مظهر زخرفي وقد ألحق ذه القاعة مرحاض يقع على يمين باب الدخول.

القسم الثاني : (أنظر الشكل رقم 11) ويتمثل هذا القسم في القاعة الدافئة التي تتصل بالغرفة الباردة بباب عرضه حوالي 0.76م (أنظر الصورة رقم 59) و ذلك في منتصف الضلع الغربي للقاعة الباردة أما القاعة الباردة فهي مربعة الشكل تقريبا 6.33م×7.28م و تعتبر هذه الغرفة أكثر اتساعا و ذلك لأ ا تعتبر المتنفس الذي يصادف المستحمين مباشرة بعد خروجهم من الغرفة الساخنة حيث تغطيها أربعة أقبية نصف أسطوانية(أنظر الصورة رقم 61) تتوسطها قبة وجدت ا عيون زجاجية للإضاءة تحمل هذه القبة أربعـة أعمدة (أنظر الصورة رقم 60) تحمل عقود

1- عبد العزيز الدولاتلي ، مرجع سابق ، ص150 .

* - عن تعريف هذه المادة و استعمالاتها أنظر :

- مانويل جوميث مورينو، مرجع سابق ص 189 .

2- فريد شافعي، **فنون الإسلام**، دار المعارف، بيروت ، ص 122.

3- عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة ...، مرجع سابق ، ص26.

حدوية متقاطعة، و أبدان هذه الأعمدة مستديرة وهي من الرخام الأبيض وتعتبر هذه الأعمدة أصلية لم يستغنى عنها في الترميم (أنظر الصورة رقم 55-61).

وتوجد ـذه القاعة أربعة مصطبات للإستراحة وهي تحيط بالقاعة من ثلاث جهات قد زودت جدران جدران هذه القاعة بحنايا لوضع الملابس والمناشف ولوازم المستحمين، وفي جنوب القاعة الدافئة يفتح باب صغير عرضه 0.80م يصل ما بين القاعة الدافئة والحارة.

القسم الثالث : (أنظر الشكل رقم 12-13) ويتمثل هذا القسم في الغرفة الحارة والفرنق أو الفرن والغرفة الحارة مستطيلة الشكل تقريبا وهي تحتوي على غرفة جانبية مقاسا ا 4.14م×1.98م، إضافة إلى ذلك فإن مقاسات الغرفة الساخنة هي 5.79م×3.71م ، و الغرفة الجانبية(أنظر الصورة رقم 59) عادة ما كانت تعتبر خلوة أو غرفة منفردة تخصص للشخصيات المتميزة في ا تمع ويستخدمها العرسان والعرائس عند زفافهم، وقد أشار إلى ذلك الحسن الوزان في كتابه[223].

ويوجد بالغرفة حوضين أحدهما للماء البارد (أنظر الصورة رقم 62) والآخر للماء الساخن (أنظر الصورة رقم 64) طول ضلع كل واحد منهما 1.81م تغرف منها المياه، و هذه الغرفة الساخنة احتوت على مصطبات حجرية لجلوس المستحمين وتنظيف أجسامهم، وقد خصص لخدمتهم طياب يقوم بمسدهم وتنظيف أجسامهم ويتقاضى على ذلك أجرا، ويغطي هذه الغرفة قبو نصف أسطواني به عيون زجاجية للإضاءة وزيادة النور.

أما عن الجزء الثاني من القسم الثالث فهو الفرنق الذي يعتبر جزء هاما من الحمام و ذلك بالنظر إلى أهمية الوظيفة التي يؤديها من حيث تزويد الحمام بالماء الساخن، ويقع في الجزء الجنوبي من الحمام وهو ذو حجرة مستقلة عن باقي القاعات و مقاسا ا 7.40م ×2.43م، و يغطي هذه القاعة قبو نصف اسطواني و لها مدخل خاص (أنظر الصورة رقم 65) خارج الحمام و هو ذو اتساع 1.03م وذو عقد حدوي صغير ون ل للفرن بـ 13 درجة لنصل إلى الجزء الثاني من الحجرة حيث يوجد الموقد (أنظر الصورة رقم 66)، الذي يعلوه القدر(أنظر الصورة رقم 68) الخاص بالماء، و يتم عبر أنبوب ممتد من البئر تزويده بالماء ليسخن بعد ذلك و يزود الفرن القاعات الساخنة بالبخار والحرارة عبر قنوات فخارية تمتد تحت أرضية الحمام، و هذا ما استعمل

1- حسن الوزان، مصدر سابق ، ص 226 .

أيضا في حمام قصر المنار بقلعة بني حماد و في حمام قصر منية بمدينة الزهراء بالأندلس[224]، و استعملت هذه القنوات لتزويد قاعات الحمام بالهواء الساخن .

ويزود الموقد بفضلات النجارة والحطب و هي مخزنة في حجرة الفرن، وفي منتصف قبو هذه الحجرة أحدث ثقب لتهوية القاعة (أنظر الصورة رقم 68) ولمساعدة الفرن في إضرام ناره وعدم بقاء الدخان المتصاعد من الموقد في القاعة.

و بمقارنة حمام مدينة ندرومة بحمام بقصر المنار بقلعة بني حماد يمكن لنا ملاحظة أوجه التشابه و المقاربة بينهما، من خلال القاعات الثلاث و من خلال العناصر الأساسية المكونة لهما، انطلاقا من كتلة المدخل التي نجدها في حمام ندرومة تفضي مباشرة إلى القاعة الباردة على العكس مما هو في حمام القلعة فإن المدخل فيه يفضي إلى قاعة الملابس أولا ثم القاعات الثلاثة و أيضا طريقة تسخين أرضية الحمام و القاعات فقد جاءت متشا ة، و ذلك من خلال أروقة يمر من خلالها الهواء الساخن، و لا غرابة في أن يكون هذا النظام المعماري هو السائد في تلك الفترة .

و أما عن حمامات الأندلس تتجلى لنا صور ا في حمام مدينة الزهراء و بالضبط في قصر منية الذي سار على نفس طراز قرطبة الفني و المعماري، حيث جاءت مشا ة بالحمامات الأموية بالمشرق، فهي متكونة من قاعة أولى مغطاة بقبو متقاطع تليها قاعتان غطيت كل منهما بقبو نصف أسطواني، تخترقها فتحات للإضاءة، و يقابل القاعة الحارة الموقد أو غرفة التسخين، و يمتد عبر أرضيتها أنابيب فخارية لمرور البخار[225]، و من خلال ما سبق ذكره يمكن القول أن حمام ندرومة و غيره من الحمامات المغربية جاء نظام تخطيطها متأثرا بمثيلا ا في المشرق و المغرب و الأندلس، حيث أن هذه الحمامات المبكرة في الإسلام بنيت في غالبها على أنقاض حمامات قديمة ترجع إلى الفترات الإغريقية الرومانية و الحمامات المصرية القديمة والفارسية[226]، و يندرج الحمام البالي لمدينة ندرومة ضمن الحمامات العامة التي تقع وسط المدينة بالقرب من الجامع الكبير ليقصدها عامة الناس وعابري السبيل و الغرباء وقد خصص هذا الحمام للرجال فقط ولا ندري إن كان ذلك في فترة حديثة أو منذ نشأته.

1- مانويل جوميث مورينو ، مرجع سابق ص200 .

1- مانويل جوميث مورينو ، مرجع سابق ص 200 . و انظر :
- عبد العزيز لعرج، المباني المرينية ...، مرجع سابق ، ص 446 .

1- عبد العزيز لعرج، المباني المرينية ...، مرجع سابق ، ص 442 .

وكان الحمام هو المكان الذي يستشعر فيه المرء ببهجة الحياة فيولد في نفسه إحساسا بالراحة و يحدث فيها شعورا بانتعاش بدني و روحي وأيضا الشعور النفسي الذي يحدثه بخار الماء وما يتبعه من تدليك[227]، فضلا عن ذلك الفوائد الصحية و العلاجية من نظافة و تنشيط الجسم وعلاج الأمراض العابرة كأمراض المفاصل وقد ألحق بالحمام من يقوم بخدمة الزبائن وغالبا ما يتكوّنون من صاحب الحمام أو نائب له وعمله تحصيل الأجرة من زبائن الحمام و مراقبة العمل فيه، ومسؤول آخر عن أغراض الزبائن وملابسهم، وأيضا مجموعة من العمال المعروفين باسم " الطّيّاب" أو " المسّاد" وهؤلاء مهمتهم داخل الغرفة الساخنة ويقوم صاحب الحمام على تزويد الفرن بالحطب وتفقّده وذلك لتسخين الحمام ومراقبة درجة حرارته .

أما من الناحية المعمارية فإن المعلومات تنقصنا عن الحمامات المغربية الأندلسية قبل القرن 6 هـ/ 12م والدراسات قليلة حول الجانب المعماري لها ورغم هذا فإن حمامات ق5هـ -6هـ /11م-12م قليلة في المغرب فإن نظمها المعمارية تشبه الحمامات الأندلسية والمشرقية[228]، التي كانت ولا شك سائدة في حمامات المدن المغربية وقراها ، فمدينة فاس كان عدد حماما ا في القرن 5هـ/11م عشرين حماما[229] .

وحمام مدينة ندرومة إذا ما قورن بحمام الصباغين الذي ينسب إلى حمامات القرن الخامس الهجري يشا ه إلى حد كبير، وذلك من حيث تغطية الحمام بالأقبية النصف أسطوانية، وقبة ثمانية الأضلاع نجدها في حمام الصباغين تتوسط الغرفة الباردة أما في حمام ندرومة فهي تتوسط الغرفة الدافئة و من أوجه التشابه بينها أيضا تلك الثقوب التي تزود القاعة الساخنة بحرارة الموقد، إلا أن الإختلاف بين هذين الحمامين يكمن في أن حمام الصباغين يخلو من الغرفة الدافئة والتي نجدها في حمام ندرومة [230] .

2- عبد العزيز سالم ، تخطيط مدينة الإسكندرية ...، مرجع سابق ، ص 23.

3- عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية ...، مرجع سابق ، ص 477 .

4- البكري، مصدر سابق ، ص 142.

230- عن هذه المقارنة أنظر:

- Marcais G. Manuel D'Art Musulman..., Op-Cit, P334-338

- عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية ...، مرجع سابق ، ص449 .

- عربية سليمة موساوي ، **الحمامات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى نهاية العهد العثماني**، دراسة أثرية معمارية ، ماجستير في علم الآثار ، جامعة الجزائر ، 1990-1991، ص 83-84 .

ونظرا لفوائد الحمام المتعددة فإنه أصبح من مستلزمات المدينة الإسلامية بحيث حافظ على نظامه المعماري القديم بأقسامه وأجزائه مجسدا بذلك أهمية العمارة المدنية في المدينة وأيضا مدى أهمية الاعتناء ا لتلبية احتياجات ا تمع في مختلف الميادين.

وهكذا فإن العمارة المدنية المرابطية ما هي إلا امتداد لسابقتها من العمائر الأموية في المشرق ونظيرا ا في الأندلس كما بينا ذلك وحتى وإن اختلفت فترا ا التاريخية فإن تقسيما ا وعناصرها المعمارية شكلت قاسما مشتركا بينها حتى ولو تباينت المسافات واختلفت اللهجات، ويوضح ذلك الدراسة الوصفية السابقة التي بينت الصور المعمارية للمباني المرابطية ولو بصفة تقريبية معتمدة في ذلك على الترجيح والاستنتاج والمقارنة بينها وبين نظيرا ا في المشرق أو في المغرب والأندلس.

الخاتمة:

و في خاتمة بحثنا هذا و من خلال فصول الدراسة و معاينة أهم المنشآت المرابطية في المدينة و حالتها تبين لنا من خلال دراستها الوصفية التي حددنا من خلالها مخططا ا و نظامها المعماري الذي جاء مبينا في الدراسة التحليلية و عليه فقد تبين من خلال بحثنا هذا ما يلي :

ففي الفصل الأول ذكرنا أهم المراحل التاريخية للمدينة و بينا أهمية المدينة بالنسبة لتلمسان ، و تكلمنا بشيء من التفصيل عن الدولة المرابطية .

أما الفصل الثاني بدأناه بالكلام عن التخطيط العام للمدينة و أقسامها التي جاءت في ثلاثة محاور و هي المنشآت الدينية والمنشآت المدنية و التحصينات العسكرية للمدينة، وفصلنا القول عن العمارة العسكرية موضوع هذا الفصل المتمثلة في السور و الأبراج و الأبواب ، حيث بينا أن السور يعود للفترة المرابطية و ذلك من خلال مواد البناء التي استعملت فيه اعتمادا على ما بقي ماثلا منه ، و يعتبر السور من بين سمات و خصائص العمارة العسكرية المرابطية .

ثم تطرقنا إلى برج القصبة الذي يعتبر الشاهد الوحيد في المدينة و بينا تخطيطه و وظيفته و أهميته ، ثم عرجنا على الأبواب الأربعة التي كانت تتوزع في السور حيث لم يبق منها إلا اثنان باب القصبة و باب المدينة و وصفناهما و بينا أهمية الأبواب في المدن .

في حين خصصنا الفصل الثالث للمنشآت الدينية، حيث درسنا المسجد الجامع و مسجدين من مساجد الأحياء فأما المسجد الجامع المرابطي فتكلمنا على عناصره المعمارية الأصلية و المضافة مع مقارنتها بمساجد أخرى .

أما المسجدين و هما مسجد القدارين و مسجد لالة الزهراء الشريفة فرجحنا أ ما يرجعان إلى الفترة المرابطية اعتمادا على المقارنة مع مساجد أخرى كما بينا موقعهما في المدينة و كذا أصل تسمية المسجدين و العناصر المعمارية المكونة لهما و سعتهما و بينا أوجه التشابه بينهما و بين بعض مساجد الأحياء بتلمسان ، و كذا أوجه الإختلاف و بينا أن المآذن في المسجدين مضافة ، و قد تكون من العصر الزياني ، و المئذنتين متشا تين إلى حد كبير .

أما الفصل الرابع و الأخير فخصصناه للمنشآت المدنية و ذكرنا فيها م لين و الشوارع و الدروب و حمام ، و رجحنا في أن يكون أصل الم لين مرابطين اعتمادا على مواد البناء و نظامها المعماري و تكلمنا عن مكونا ما و أنه تحققت فيهما شروط العمارة الإسلامية من عدم

تقابل الأبواب و المداخل المنكسرة و وجود الصحن و به البئر الذي يعتبر العنصر الحيوي الهام و كذا مكان الإسطبل الذي يمنع وصول الضرر لصاحب المسكن و للجيران ، و ذكرنا باقي العناصر المعمارية الهامة.

أما الشوارع و الدروب التي تعتبر شرايين المدينة، فذكرنا نماذج منها بأسمائها و أحجامها و كيفية توزعها في المدينة .

و ختمنا هذا الفصل بالكلام على الحمام البالي المرابطي و نظامه المعماري و أنه قد توفرت فيه العناصر المعمارية الخاصة بالحمامات من وجود القاعات الثلاثة و الفرناق و غيرها و هو النظام السائد أنذاك ، كما أن سعته تعطي فكرة على أهمية المدينة و رقيها .

و أرفقنا الرسالة بأشكال و صور توضيحية ، و عليه تظهر أهمية مدينة ندرومة في العهد المرابطي و ما أولاها الملثمون من اهتمام باعتبارها مركزا حضاريا بالنسبة لعاصمة المغرب الأوسط تلمسان .

و أخيرا نستطيع القول بأن مدينة ندرومة تشا ت مع المدن المغربية من حيث التفاصيل المعمارية ، كما أن منشآ ا قد تأثرت ببعضها البعض و بالعمائر السابقة لها معماريا و تخطيطيا .

من خلال ما سبق ذكره في هذه الدراسة المتواضعة و ما جاء فيها عن العمارة الدينية و ما ذكرناه من عناصرها المعمارية، و كذا العمارة المدنية و ما ورد فيها من دراسة لم لين و ما تلاه من دراسة للشوارع و الدروب، و العمارة العسكرية و المتعلقة بالأبراج و الأبواب، فإننا حاولنا من خلالها إعطاء صورة لما كانت عليه المدينة في العهد المرابطي، و قد حاولنا التدليل على أن هذه المدينة من إنشاء المرابطين بناء على نمط العمارة التي عرفوا ا و كذا على المواد المستعملة فيها، و عليه فإننا نقول: أن هذه الدراسة ما هي إلا **بداية أو فتح آفاق** لدراسة مثل هذه المدن التي لم تحض بعد بدراسة معمقة و التي تضيف ورقة لتاريخ بلادنا .

إن دراسة وافية لكل المدينة تستلزم تظافر الجهود و طول المدة لذلك، لهذا فإننا نظن أنه من الأولى أن تدرس المدينة من طرف مجموعة من الباحثين و ذلك باهتمام كل واحد منهم بنوع واحد من أنواع العمارة (الدينية، المدنية، العسكرية) ثم تجمع هذه البحوث لإعطاء نظرة كاملة على شكل المدينة و تخطيطها في الفترات القديمة و ما طرأ عليها من تجديد و إضافة .

الإهتمام الفعلي بما بقي من الآثار في المنطقة و إلا فلن يبق بعد فترة قصيرة إلا الأثر لأن المباني المدروسة في طريق الإندثار .

الإهتمام بسور المدينة و ذلك بترميمه ترميما علميا بمتابعة اختصاصيين و الأمر نفسه يقال على باب القصبة بالمدينة .

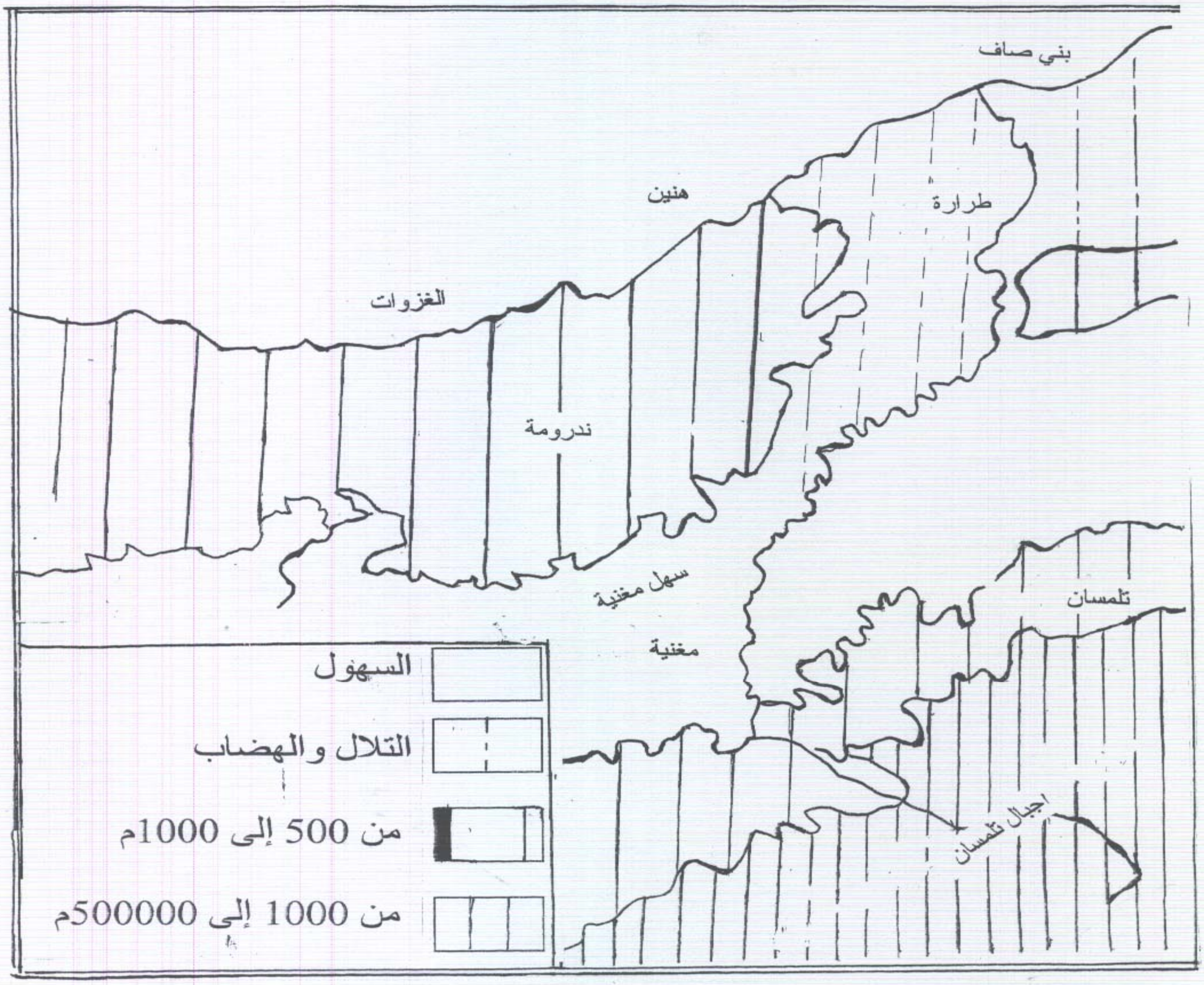
كما أن الدراسة لهذه المدينة لا تكون كافية إلا بالقيام بحفرية خاصة في الجهة الجنوبية للمدينة أين توجد القصبة المنسوبة لأحد أفراد العائلة الزيانية، و التي لم يبق منها إلا آثار قليلة آيلة للإندثار و الفناء .

و في الأخير أرجو أن أكون قد أسهمت بشيء قليل في إلقاء الضوء على بعض الجوانب المعمارية على مدينة ندرومة، كما أكون قد أضفت شيئا لمكتباتنا عن آثار و تاريخ جزء من بلادنا، و الحمد لله رب العالمين .

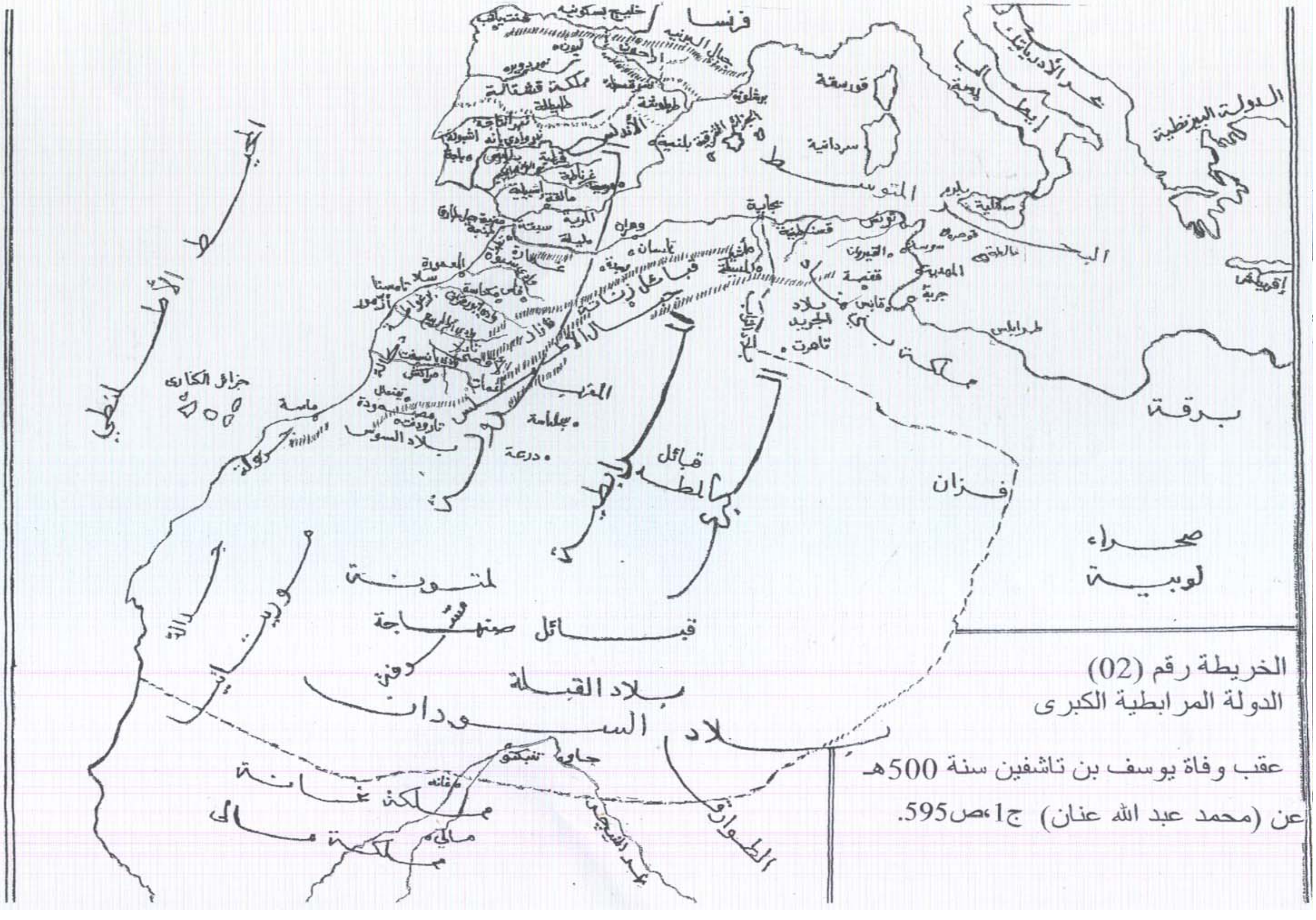
الأشكـــــــــال

المخططـــات

الصـــــــــــور



الخريطة رقم (01) : الموقع الجغرافي لمدينة ندرومة عن:
Djilali Sari , Les Villes..., P14.



الخريطة رقم (02)

الدولة المرابطية الكبرى

عقب وفاة يوسف بن تاشفين سنة 500هـ

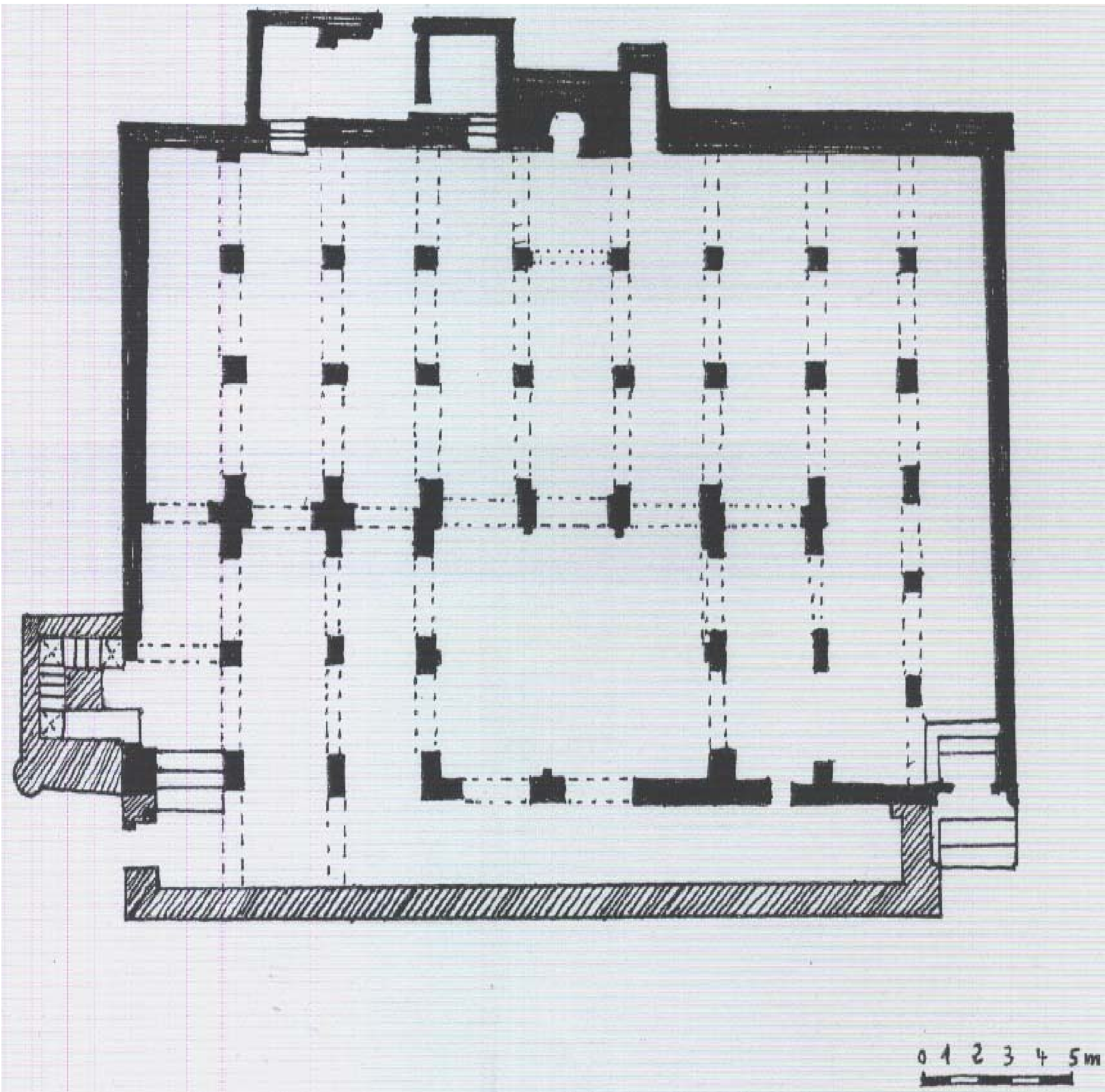
عن (محمد عبد الله عنان) ج1،ص595.



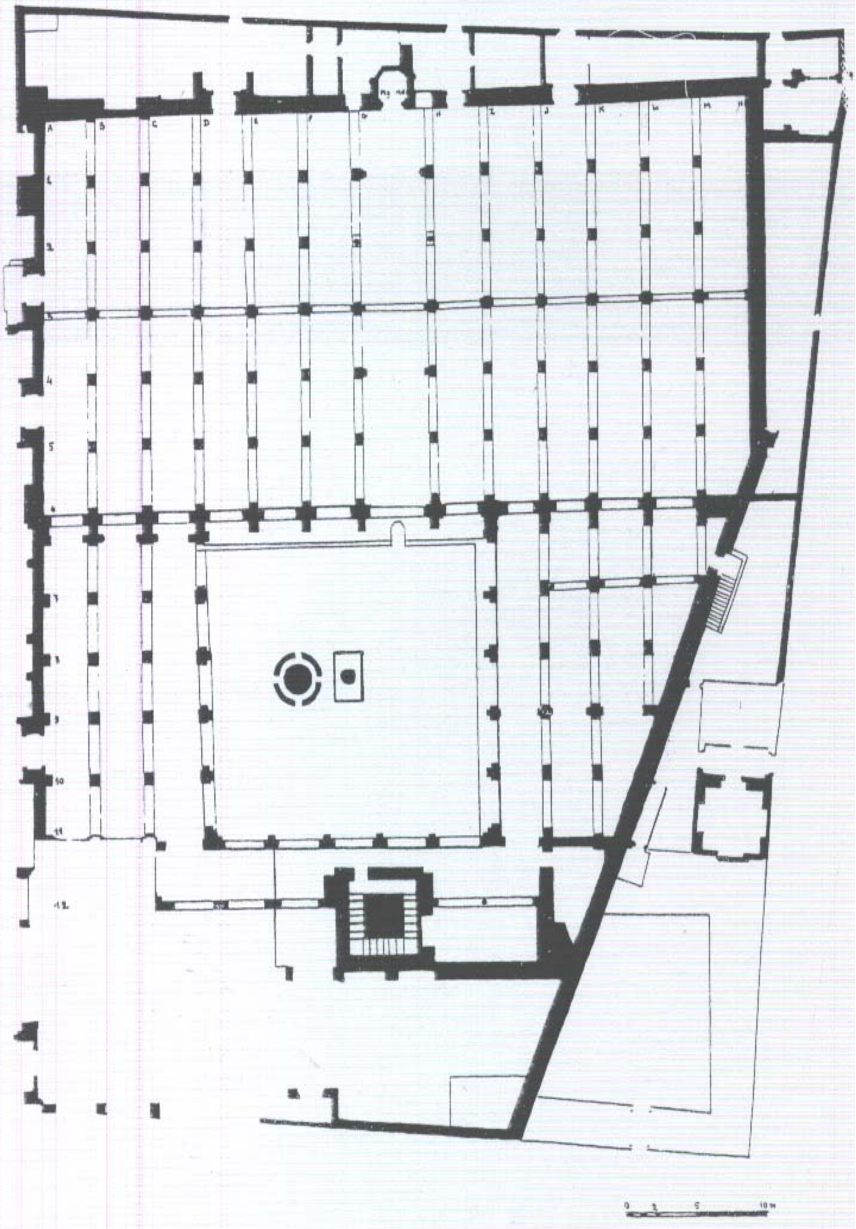
1- السور
2- باب الفراقي
3- باب تازا
4- باب المدينة
5- باب القصبة
6- دار زرهوني
7- دار الفتوح
8- درب بني زيد

10- درب الخربة
11- درب اليهود
12- درب رأس الجماعة
13- درب القصبة
14- الحمام البالي
15- المسجد الكبير بندرومة
16- مسجد القدارين
17- مسجد لالة الزهراء

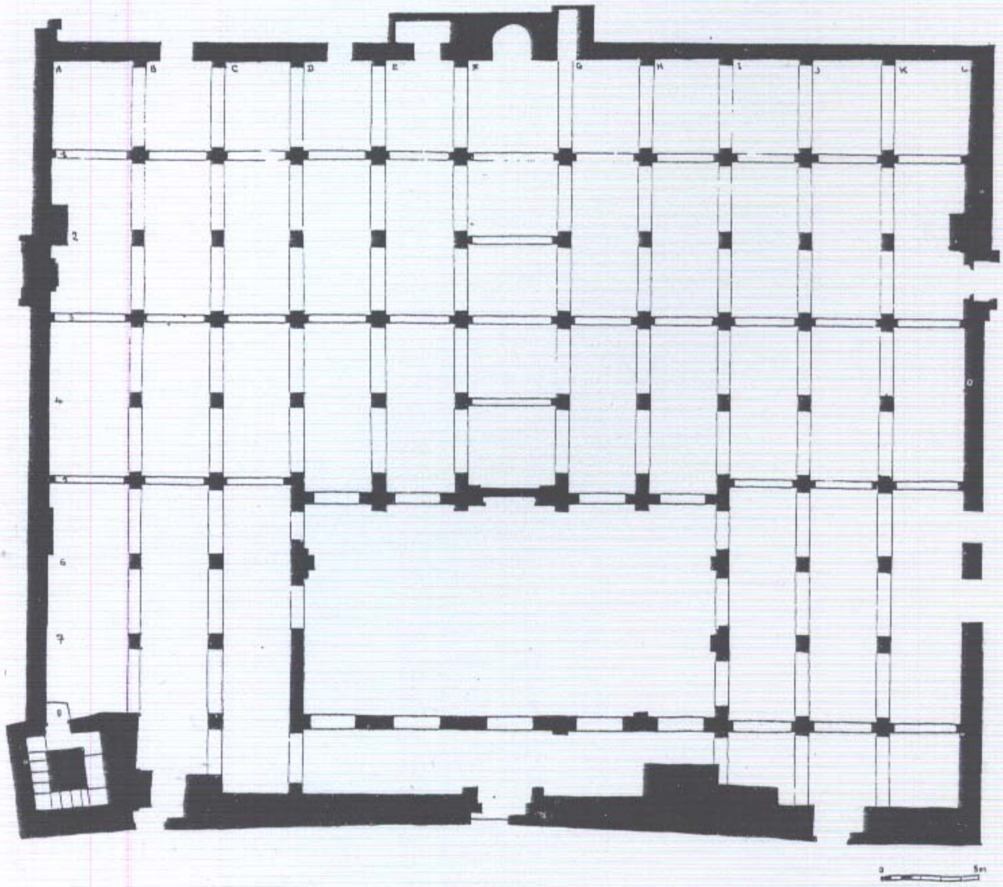
الشكل رقم (01) : مخطط مدينة ندرومة عن
Djilali Sari , Les Villes..., P55.



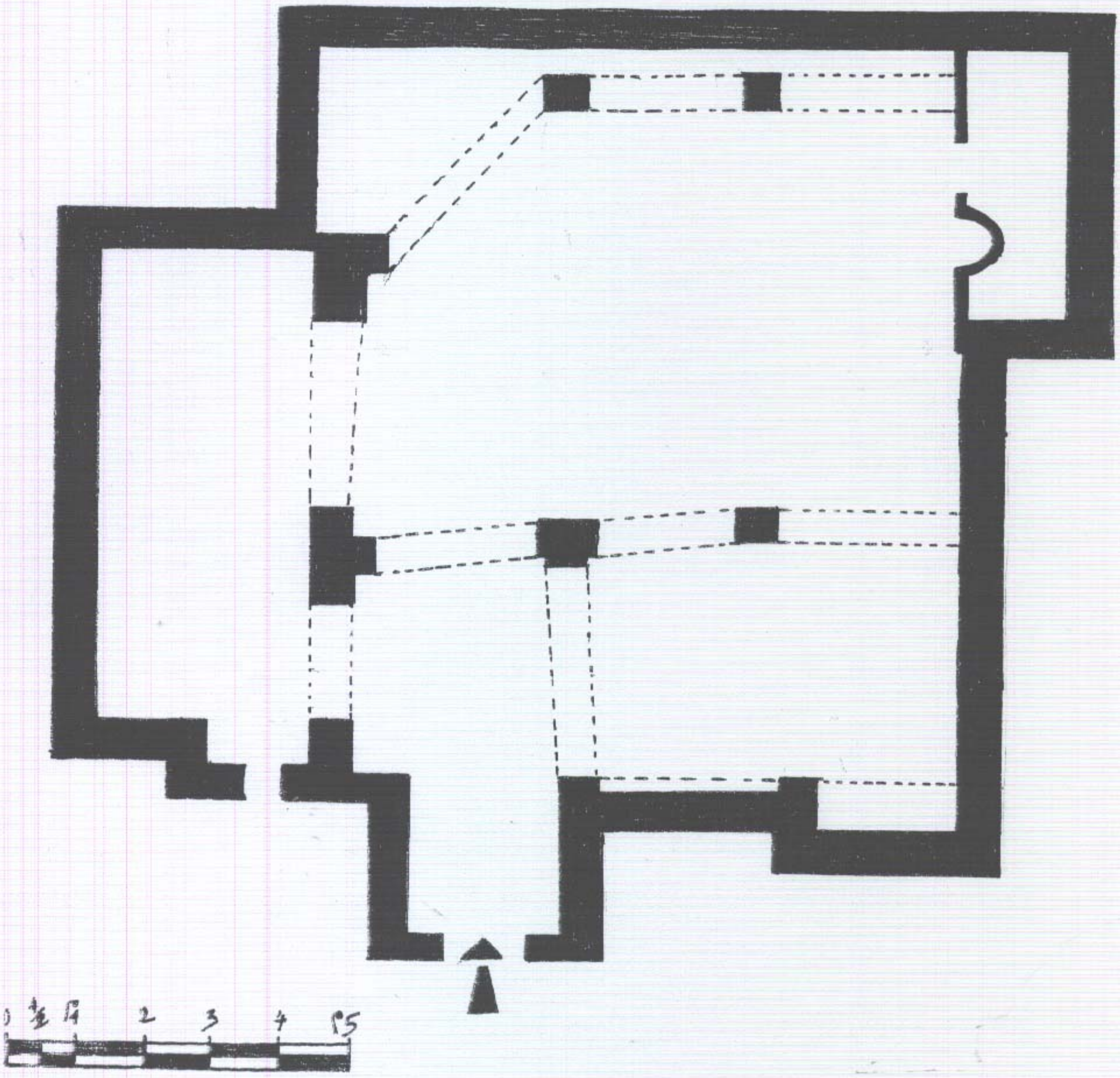
الشكل رقم(2) :مخطط المسجد الكبير بندرومة عن:
Golvin.L,Essai Sur LArchitecture… ;T4 ,P172.



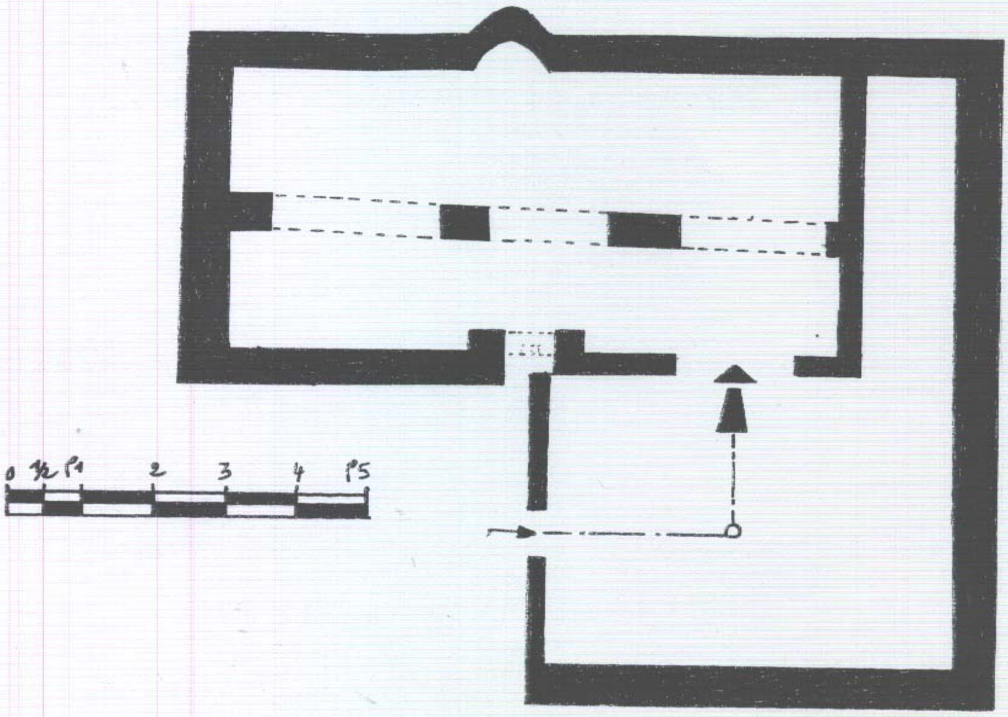
الشكل رقم (03) : مخطط المسجد الكبيربتلمسان عن :
Bourouiba.R, L'Art Religieux…,P41.



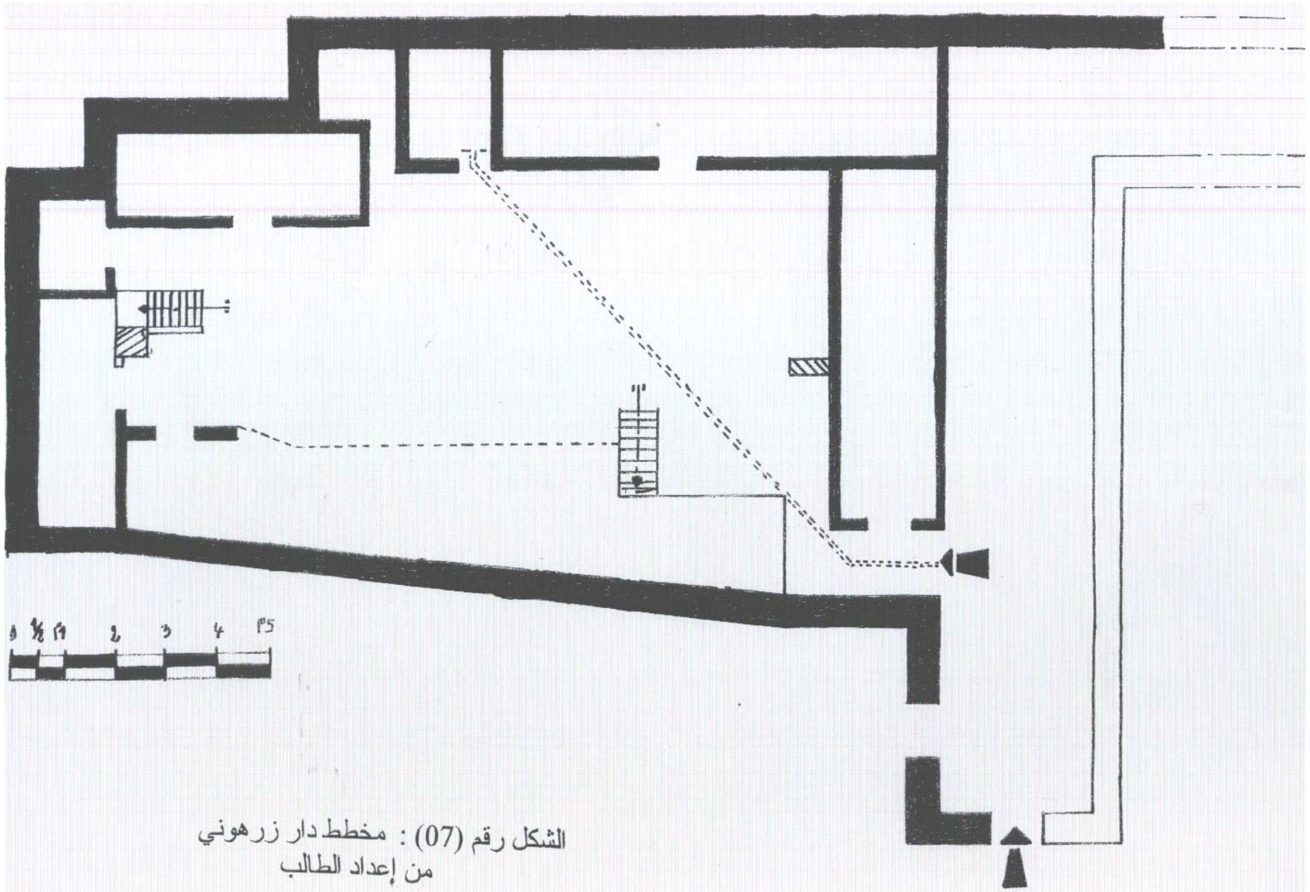
الشكل رقم (04) : مخطط المسجد الكبيربالجزائر عن :
Bourouiba.R, L'Art Religieux…,P50.



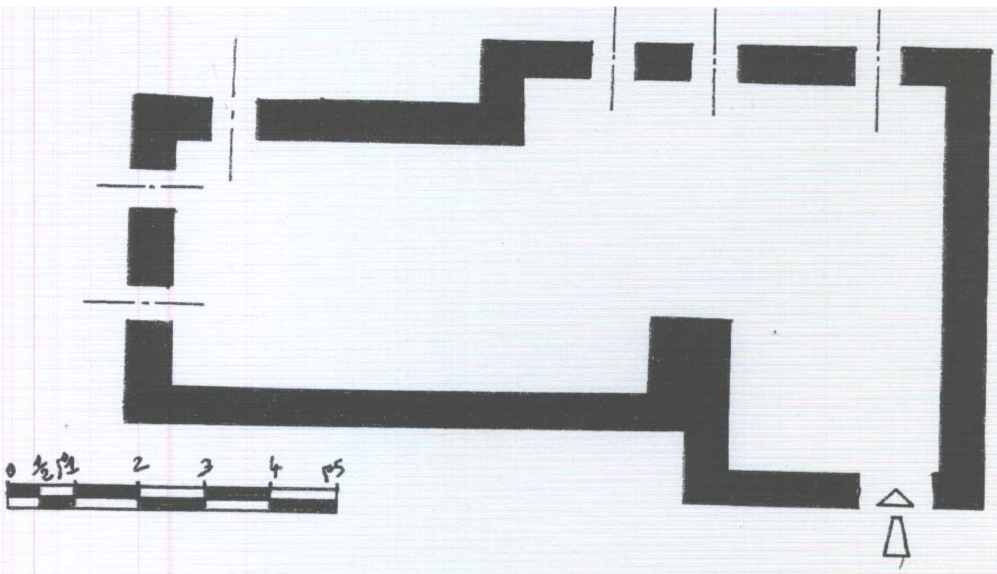
الشكل رقم (05) : مخطط مسجد القدارين
من إعداد الطالب



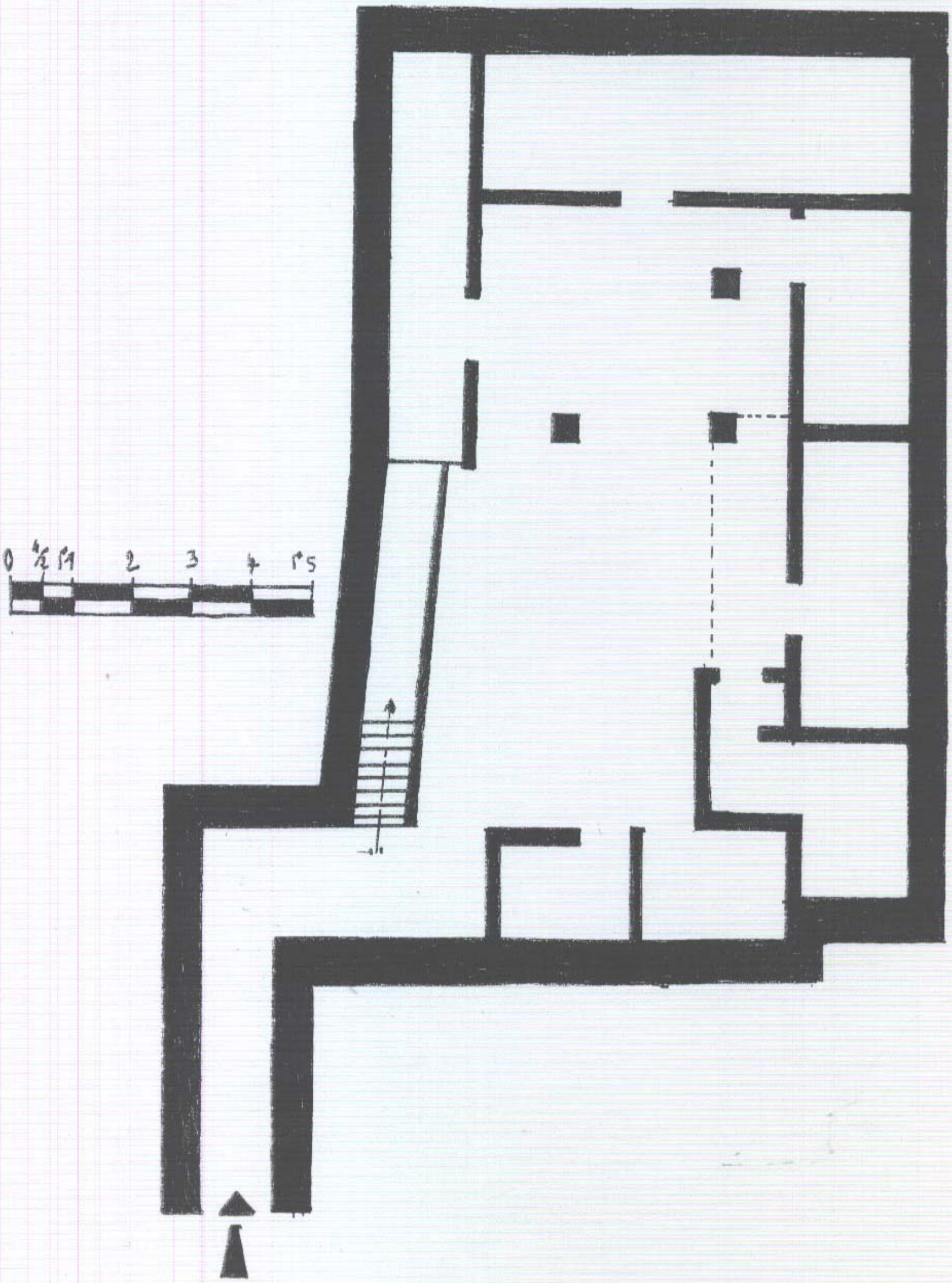
الشكل رقم (06) : مخطط مسجد لالة الزهراء الشريفة
من إعداد الطالب



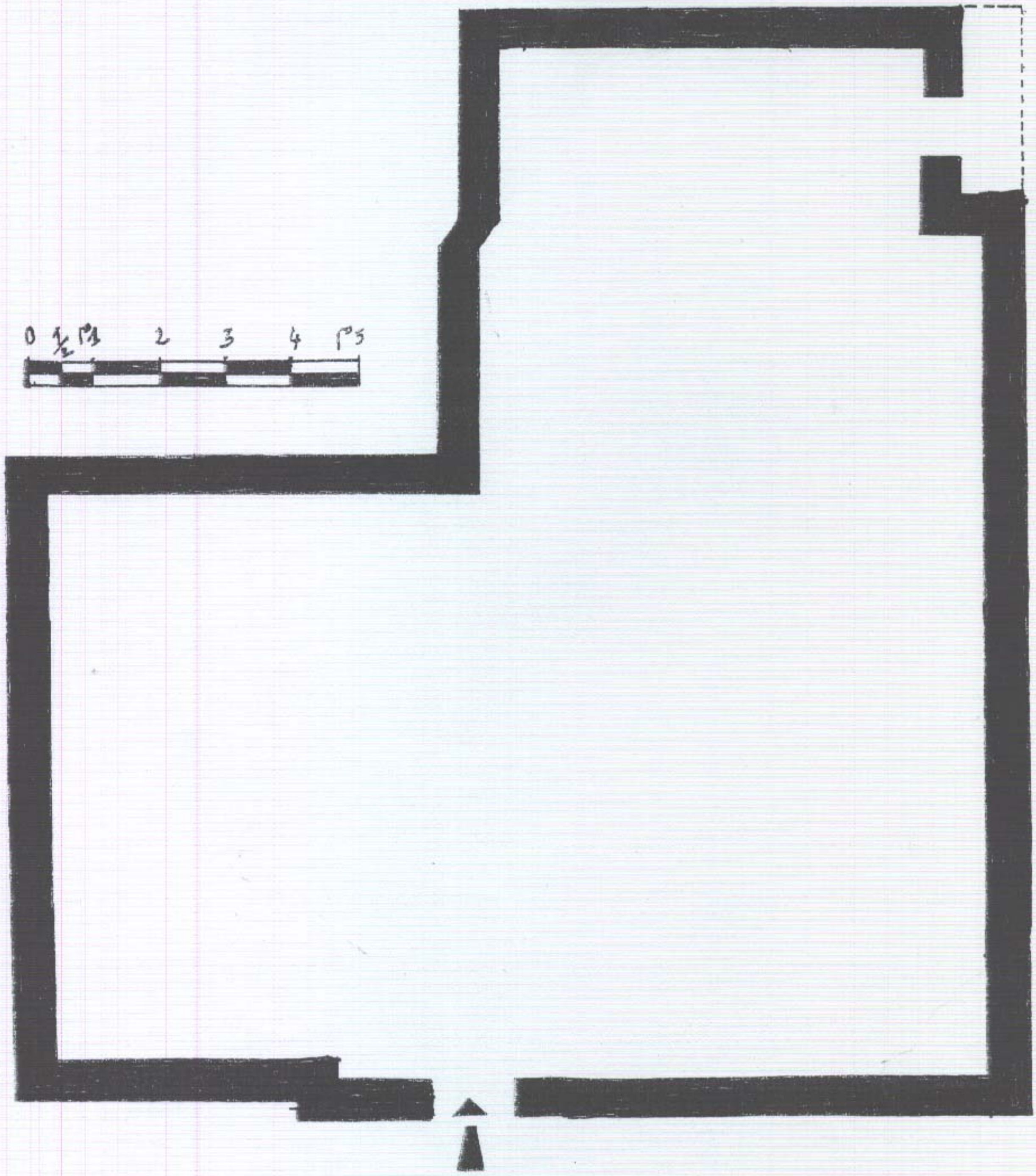
الشكل رقم (07) : مخطط دار زرهوني
من إعداد الطالب



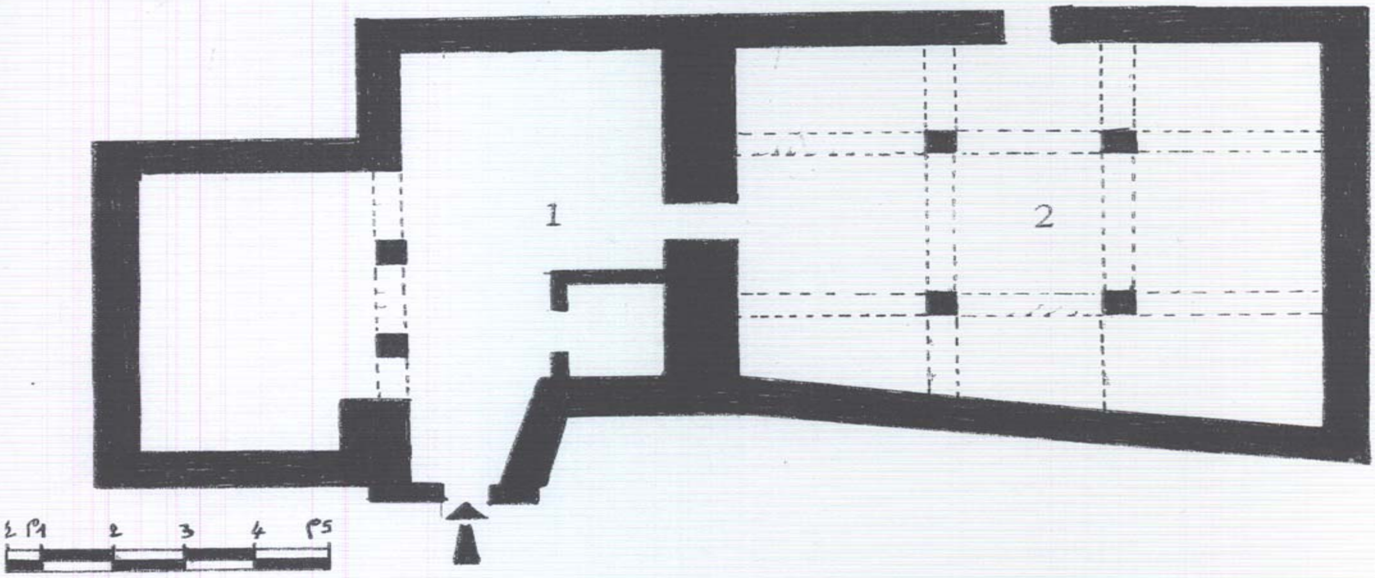
الشكل رقم (08) : مخطط فناء دار زرهوني
من إعداد الطالب



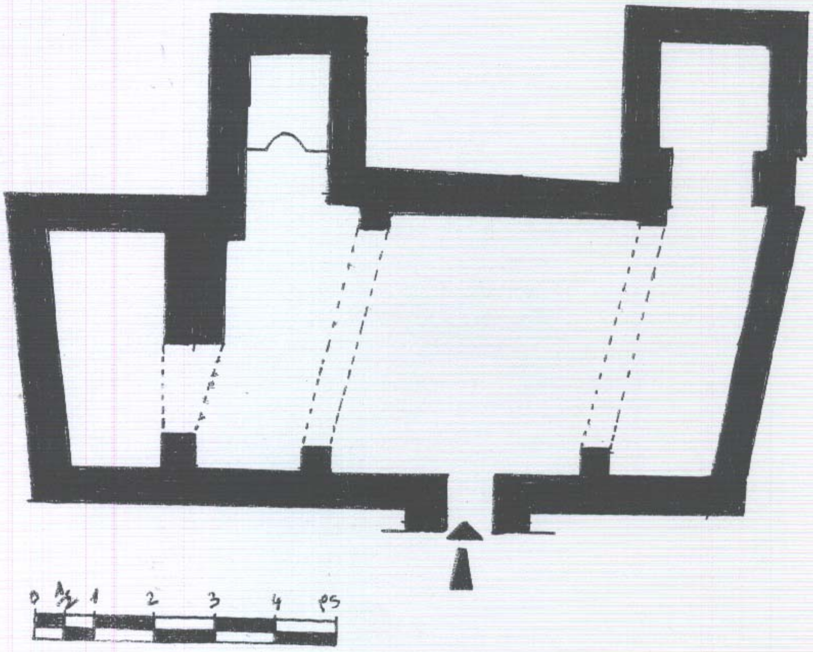
الشكل رقم (09) : مخطط دار الفتوح
من إعداد الطالب



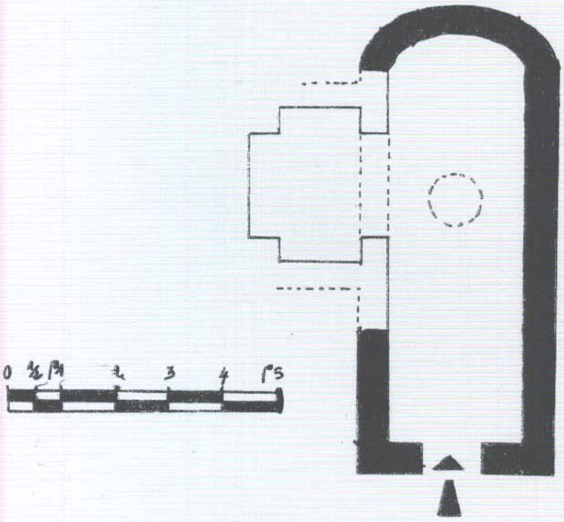
الشكل رقم (10) : المخطط الخارجي لحمام البالي
من إعداد الطالب



الشكل رقم (11) : مخطط الغرفة الباردة و الدافئة
من إعداد الطالب



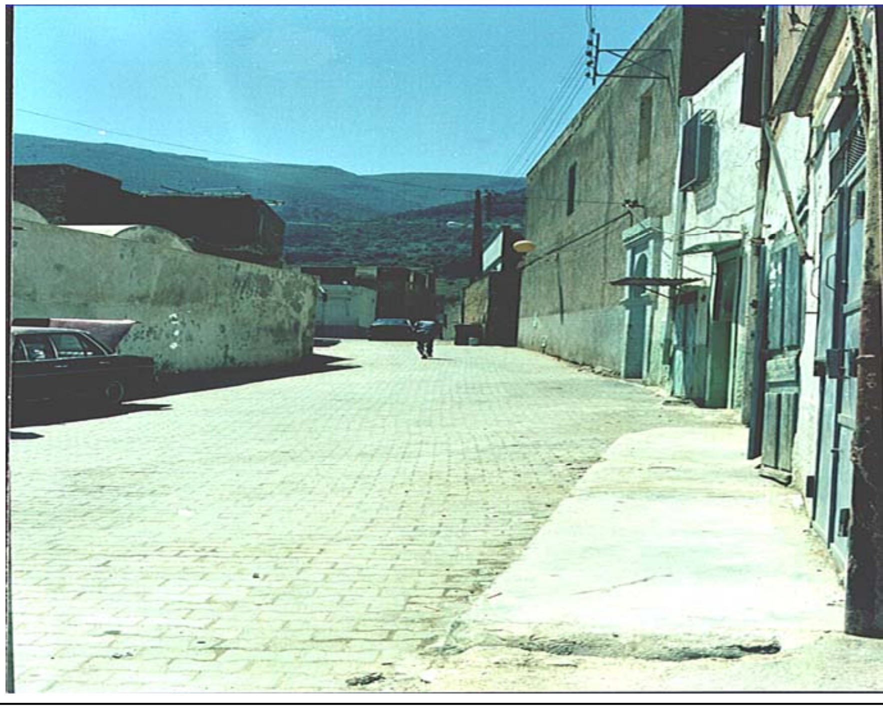
الشكل رقم (12) : مخطط الغرفة الساخنة
من إعداد الطالب



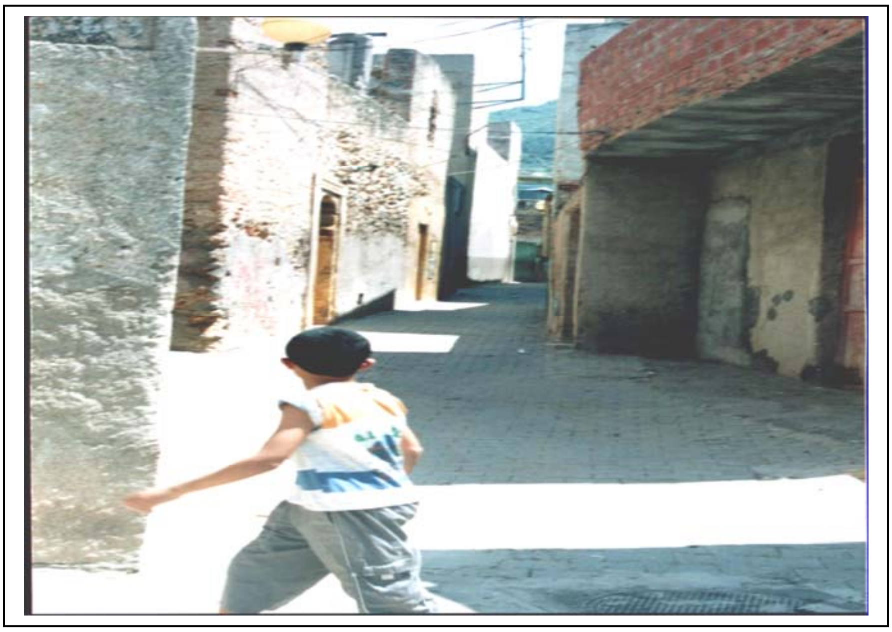
الشكل رقم (13) : مخطط الفرنق
من إعداد الطالب



الصورة رقم: (01) درب بني **زيد** بمدينة **ندرومة**



الصورة رقم: (02) درب بني **عفان** بمدينة **ندرومة**



الصورة رقم: (03) درب بني عفان بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (04) درب الخرية بمدينة ندرومة



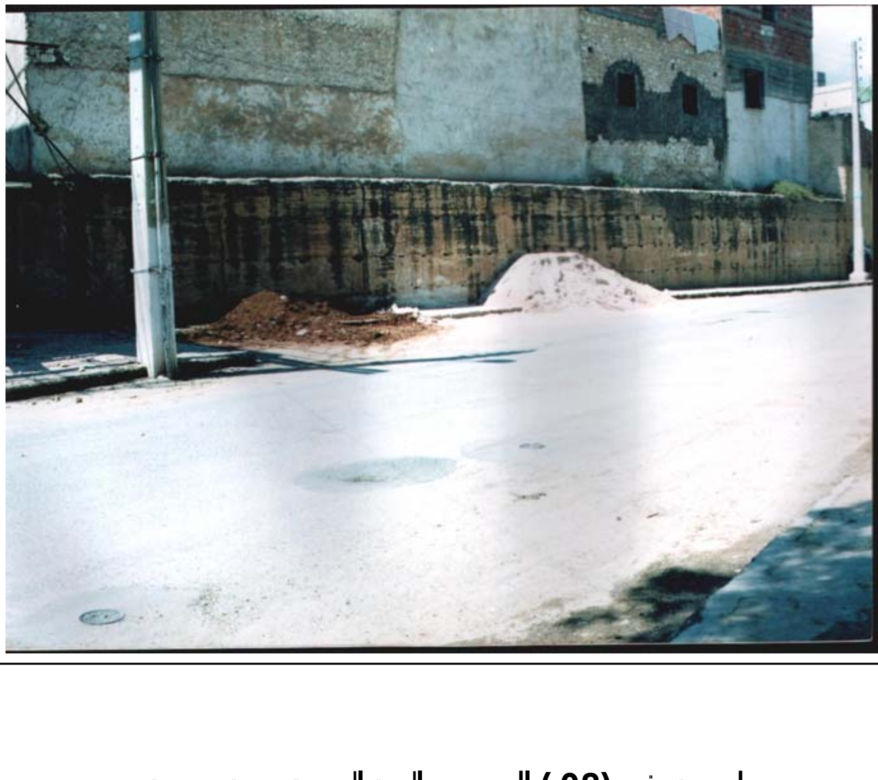
الصورة رقم: (05) درب رأس الجماعة بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (06) زقاق بين درب الخربة ودرب السوق بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (07) درب غير نافذ بمدينة ندرومة



لصورة رقم: (08) السور من الجهة الجنوبية بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (09) السور من الجهة الغربية بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (10) الشرافات في باب القصبة بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (11) باب القصبة من الخارج بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (12) باب المدينة المرمم بالجهة الشمالية بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (13) باب القصبة فن الداخل بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (14) الشرافات في برج القصبة بمدينة ندرومة



الصورة رقم : (15) مسجد القدارين من الخارج بمدينة ندرومة



الصورة رقم : (16) مدخل مسجد القدارين بمدينة ندرومة



الصورة رقم : (17) منظر عام لمسجد القدارين بمدينة ندرومة



الصورة رقم : (18) بيت الصلاة بمسجد القدارين بمدينة ندرومة



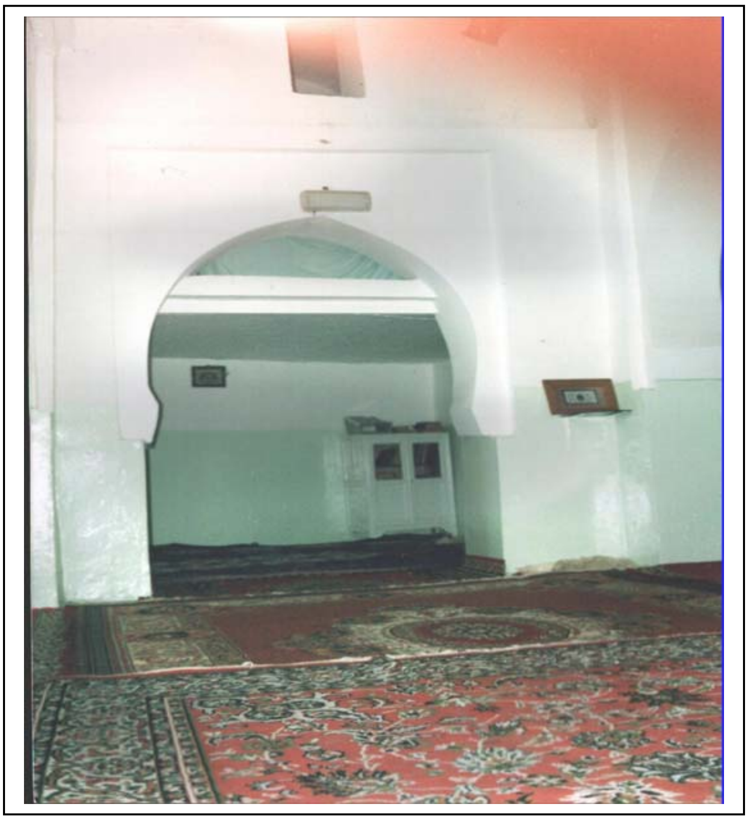
الصورة رقم : (19) السقف الحديث لمسجد القدارين بمدينة ندرومة



الصورة رقم : (20) محراب مسجد القدارين بمدينة ندرومة



الصورة رقم : (21) عقود ودعامات مسجد القدارين بمدينة ندرومة



الصورة رقم : (22) عقد بمسجد القدارين بمدينة ندرومة



الصورة رقم : (23) منظر للمئذنة الزيانية بمسجد القدارين بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (24) منظر خارجي لمسجد لالة الزهراء بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (25) درج صاعد لمسجد لالة الزهراء بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (26) سقف يعلو مدخل مسجد لالة الزهراء بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (27) سقف مسجد لالة الزهراء بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (28) محراب مسجد لالة الزهراء من الداخل بمدينة ندرومة



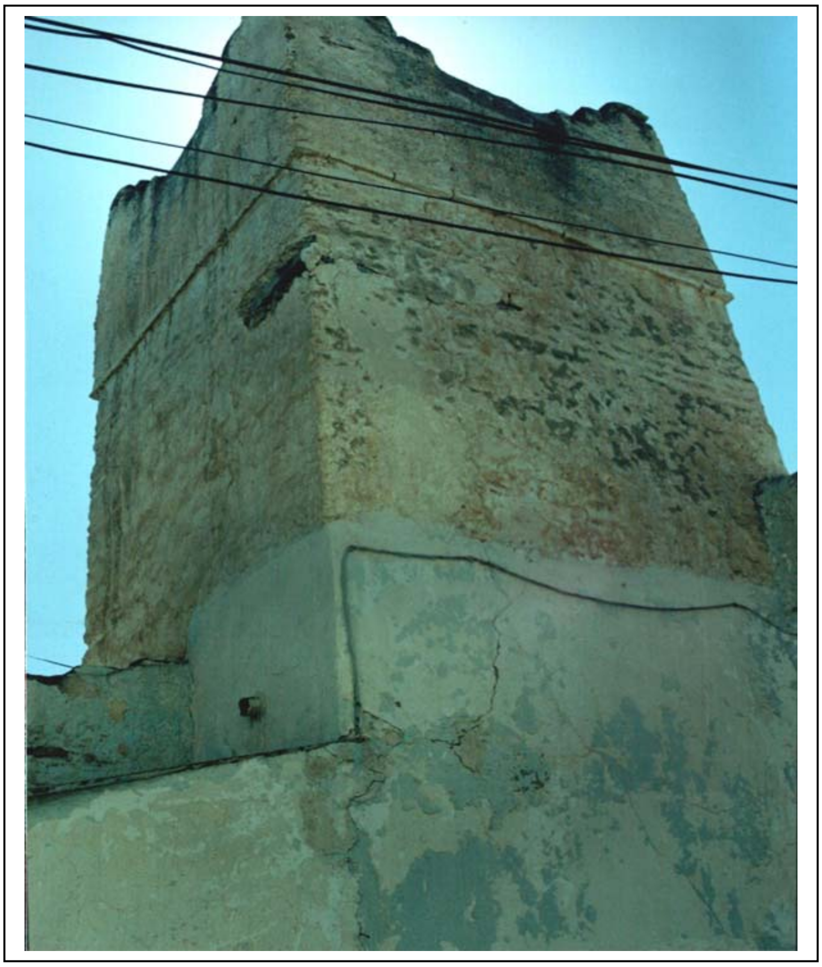
الصورة رقم: (29) محراب مسجد لالة الزهراء من الخارج بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (30) دعامات لمسجد لالة الزهراء وبت الصلاة فيه بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (31) مدخل دكان أسفل مسجد لالة الزهراء بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (32) المئذنة الزيانية بمسجد لالة الزهراء بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (33) واجهة المنزل والمدخل دار زرهوني بندرومة



الصورة رقم: (34) منظر خارجي للمدخل المنكسر دار زرهوني بندرومة



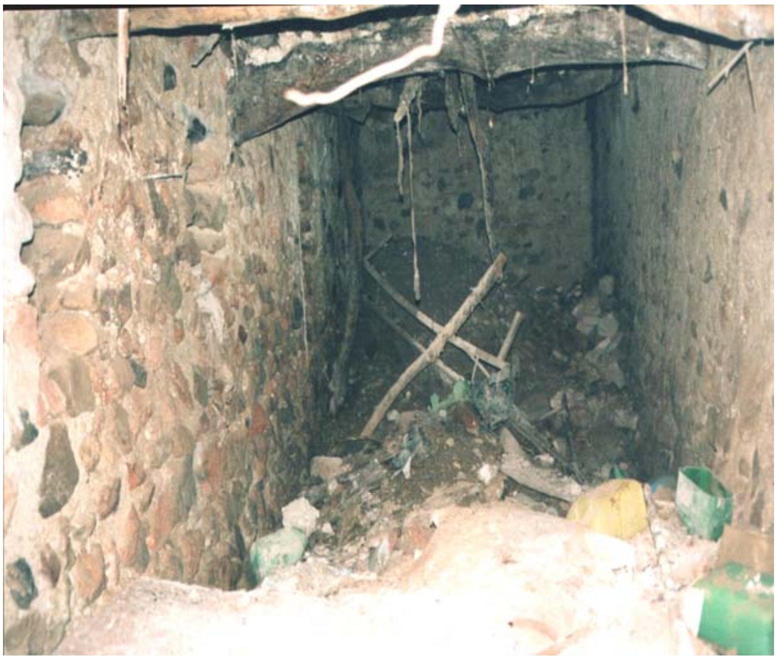
الصورة رقم: (35) بقايا بعض الأعمدة دار زرهوني بندرومة



الصورة رقم: (36) مدخل الغرفة الأولى دار زرهوني بندرومة



الصورة رقم: (37) مدخل غرفة دار زرهوني بندرومة



الصورة رقم: (38) الإصطبل دار زرهوني بندرومة



الصورة رقم: (39) سقف الإصطبل دار زرهوني بندرومة



الصورة رقم: (40) بقايا الطابق العلوي دار زرهوني بندرومة



الصورة رقم: (41) المنظر العام لدار فتوح بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (42) واجهة المدخل بدار فتوح بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (43) المدخل المنكسر للمنزل من الداخل بدار فتوح بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (44) الفناء وبقايا بعض الأعمدة بدار فتوح بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (45) مدخل إحدى الغرف بدار فتوح بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (46) مدخل الغرفة المقابلة لمدخل المنزل بدار فتوح بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (47) مدخل غرفة بدار فتوح بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (48) مدخل غرفة بدار فتوح بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (49) سقف الغرف بدار فتوح بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (50) إحدى خزائن الغرف بدار فتوح بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (51) المرحاض بدار فتوح بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (52) البئر بدار فتوح بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (53) الدرج الصاعد للطابق العلوي بدار فتوح بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (54) بقايا الأعمدة والطابق العلوي بدار فتوح بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (55) منظر علوي لحمام البالي بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (56) المدخل الرئيسي بالحمام البالي بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (57) أعمدة وعقود الغرفة الباردة باللحمام البالي بمدينة ندرومة



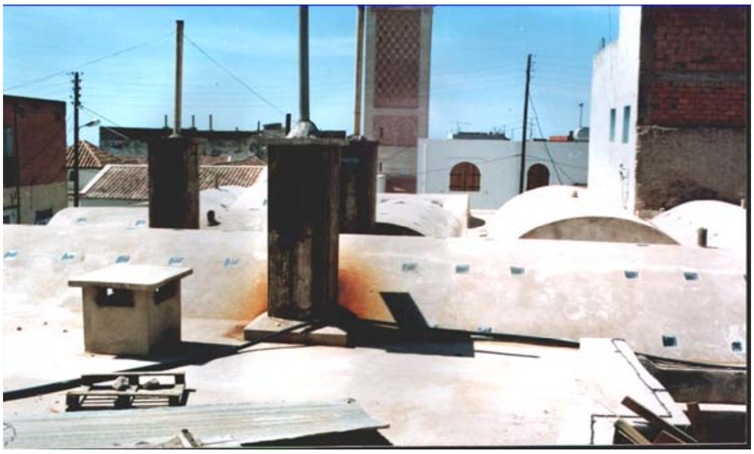
الصورة رقم: (58) عقود الغرفة الباردة وأعمدتها بالحمام البالي بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (59) مدخل الغرفة الدافئة بالحمام البالي بمدينة ندرومة



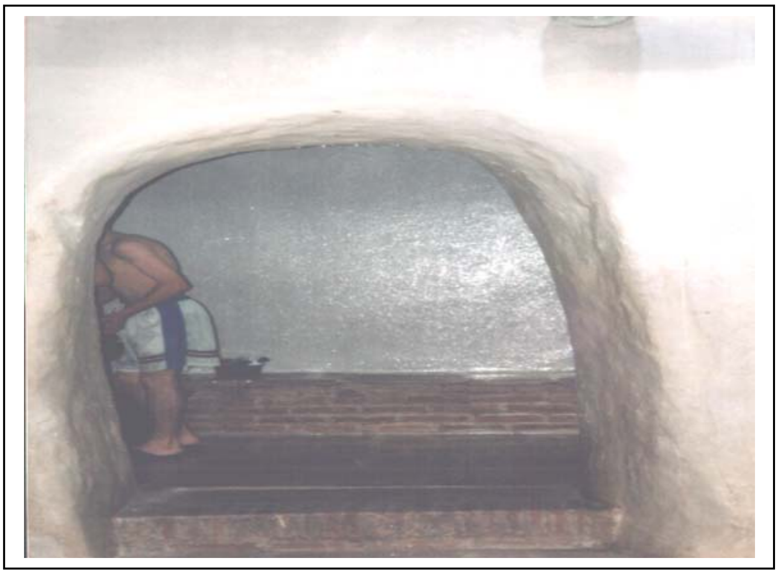
الصورة رقم: (60) أعمدة الغرفة الدافئة بالحمام البالي بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (61) أقبية الحمام من الخارج والمداخن بالحمام البالي بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (62) حوض الماء البارد بالحمام البالي بمدينة ندرومة



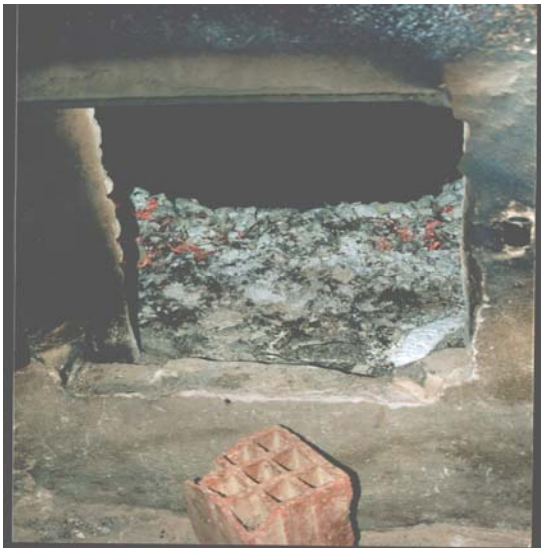
الصورة رقم: (63) الحجرة الخاصة بالغرفة الساخنة بالحمام البالي بمدينة ندرومة



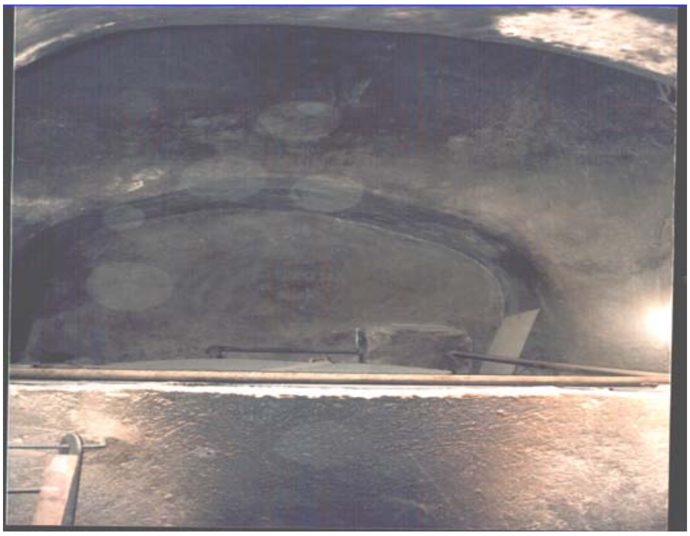
الصورة رقم: (64) حوض الماء الساخن بالحمام البالي بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (65) مدخل الفرناق بالحمام البالي بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (66) الموقد بالحمام البالي بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (67) خزان الماء بالحمام البالي بمدينة ندرومة



الصورة رقم: (68) ثقب للتهوية في قبو الفرن بالحمام البالي بمدينة ندرومة

المصـــــادر

المـــراجـــع

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر العربية

القرآن الكريم

1-الإدريسي (أبو عبد الله الشريف السبتي) (ت 548هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،نص المغرب و ارض السودان ومصر و الأندلس ، نشره ، هنري بريس، مطبعة الحكومة، الجزائر ، 1957.

2-ابن الأثير (ت 630هـ)، الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت-لبنان، 1980 .

3- ابن الأحمر ،(ت 807هـ) ، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد الجزائر ،2001.

4- ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي) (ت741هـ)،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة ، فاس ، نشره دور نبرح، أوبال، 1934.

5- ابن أبي الربيع (أحمد بن محمد) (ت 227هـ)، سلوك المالك في تدبير المسالك ، دراسة و تقيق ناجي التكريتي ، ط1، منشورات عويدات ، بيروت، باريس ، 1978 .

6- ابن الخطيب(لسان الدين أبو عبد الله محمد)(ت776هـ)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام،تحت عنوان تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط،تح: أحمد مختار العبادي، إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء،1964م.

7- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد المغربي) (ت808هـ)، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،1996.

8- ابن خلدون (أبوزكريا يحي)(ت780هـ)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،تح: عبد الحميد حاجيات،إصدار المكتبة الوطنيةالجزائر،1980.

9- ابن رسته ، كتاب الأعلاق النفيسة،مطبعة ابريل ،1967م.

10- ابن عبد الحكم (أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) (ت 257هـ)، فتوح مصر و اخبارها ، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل 1920 .
11- ابن عذارى (أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي) كان حيا سنة (712هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار الثقافة، لبنان، 1967م .
12- ابن مرزوق (محمد التلمساني) ، المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن،تح: ماريا خيسوس بيقيرا،الجزائر،1981.
13- البكري(أبو عبيد الله بن عبد العزيز) (ت 487هـ)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب من كتاب المسالك و الممالك، نشره دي سيلان ، الجزائر . 1911.
14- التنسي(محمد بن عبد الله)(ت899هـ)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان ، تحـ: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب و المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1405هـ،1985م.
15-الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجي) (ت866هـ)،الروض المعطار في خبرالأقطار،ط1،مطابع هيدلبرخ، بيروت 1975.
16- السيوطي (أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن) (ت911هـ) ، الحاوي للفتاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، 1988 .
17-العمري (شهاب الدين أبو العباس أحمدبن محمدبن يحي بن فضل الله)(ت742هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: مصطفى أبو ضيف أحمد ، المغرب ،1988.
18- القزويني (زكريا بن محمد بن محمود)(ت682هـ) ، آثار البلاد و أخبار العباد ، دار صادر ، دار بيروت ، 1380هـن1960 .
19-القلقشندى (أبو العباس أحمد بن علي) (ت 820هـ)، اية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحـ: إبراهيم الأبياري، ط2، الشركة العربية للطبع، القاهرة، 1959.
20- مارمول كربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد زنيبر وآخرون، دار المعرفة، الرباط، 1989م.
21- مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ط2، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس ،1392هـ.

22- المراكشي (عبد الواحد بن علي) (ت 647هـ) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، وضع حواشيه خليل عمران المنصور ، ط1، دار الكتب العلمية ن بيروت-لبنان ، 1998 .

23- الوزان (حسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الأفريقي) كان حيا سنة(957هـ)، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983م.

24- اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب) (ت284هـ)، كتاب البلدان، ط1 دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988.

المراجع باللغة العربية

1- إبراهيم (محمد عبد العالي)، العمارة الخليجية بين الأصالة والتجديد، دار الراتب الجامعية، بيروت 1987م.

2- // ، // ، العمارة والعمران في الوطن العربي، ط3، دار الراتب الجامعية، بيروت 1986م.

3- الألفي(أبو صالح)، الفن الإسلامي، أصوله، فلسفته، مدارسه، ط2، دار المعارف، مصر، 1974م.

4- أليسيف (نيكيتا)، المدينة الإسلامية "التخطيط المادي" تر: أحمد محمد تغلب، نشر، ر.ب سرجنت اليونسكو، 1983.

5- الباشا (حسن)، الفنون القديمة في بلاد الرافدين، ط1، مكتبة الدار العربية، القاهرة، 1999م15- باكار (أندري)، المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة، تر: سامي جرجس، دار أتولييه74 للنشر، 1981م.

6- باكار (أندري)، المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة، تر: سامي جرجس، دار أتولييه74 للنشر، 1981م.

7- بدر(أحمد)، تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1978م.

8- بن يوسف (إبراهيم)، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، مطبعة أبو داود، الجزائر، 1992م.

9- نسي(عفيف)، الفن الإسلامي، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، 1986م.

10- بورويبة(رشيد)، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، تر: إبراهيم شبوخ، إصدار المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979م.

11- بو عزيز (يحي)، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 1985م.

12- بيراس (هنري) ، وصف إفريقيا الشمالية ، مأخوذ من كتاب البلدان لليعقوبي، الجزائر 1960.

13- حاجيات (عبد الحميد) ، أبو حمو موسى الزياني ، حياته و آثاره ، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974.

14- حركات(إبراهيم)، المغرب عبر التاريخ من عصر ما قبل التاريخ إلى اية دولة الموحدين، ط1، دار السلمي المغرب، 1965م.

15- // ،// ،النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، منشورات الوحدة العربية، المغرب.

16- حسن (حسن علي)، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس، عصر المرابطين و الموحدين ، ط1، مصر، 1980.

17- حسن (زكي محمد)، فنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1981م.

18- حمزة(محمد) و الحداد (إسماعيل) ، بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية، ط2، دار القاهرة، القاهرة 2004م.

19- الجيلالي (عبد الرحمن)، تاريخ الجزائر العام، بيروت، 1980م.

20- // ، // ، تاريخ المدن الثلاث، الجزائر، المدية، مليانة، ط2، مطبعة صاري بدر الدين وأبناؤه، الجزائر، 1972م.

21- دندش(عصمت عبد اللطيف)، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، لبنان 1988 م.

22- الدولاتلي (عبد العزيز) ، مسجد قرطبة و قصر الحمراء ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، 1977.

23- الرفاعي(أنور)، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، ط2، دار الفكر، 1977م.

24- الريحاوي (عبد القادر)، قمم عالمية في تراث الحضارة العربية الإسلامية المعماري والفني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 2000م.

25- زبيس (مصطفى)، الآثار الإسلامية في تونس ، دار الثقافة ، تونس ، 1963.

26- شافعي(فريد)، العمارة العربية في مصر الإسلامية عصر الولاة ، مج1 ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر ، المطبعة الثقافية ، 1970 .

27- شاوش (محمد رمضان)، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان الجزائر1985.

28- الشامي(صالح أحمد)، الفن الإسلامي التزام وابتداع، ط1، دار القلم، دمشق، 19906-العربي (إسماعيل)، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984.

29- شعيرة (عبد الهادي)، المرابطون تاريخهم السياسي، ط1، مكتبة القاهرة الحديثة، 1969م.

30- سالم(السيد عبد العزيز)، المغرب الكبير، (العصر الإسلامي)، ج2، دار النهضة، بيروت، 1981م.

31- // ، // ، تخطيط مدينة الإسكندرية وعمرا ا في العصر الإسلامي، دار المعارف لبنان 1964م.

32- // ، // ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي ، دار النهضة العربية ، بيروت، 1972.

33- الطمّار(محمد عمرو)، تلمسان عبر العصور، الجزائر، 1984م.

34- عبد الحميد (سعد زغلول)، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة التعارف، الإسكندرية، 1986م.

35- عبد الفتاح (وهيبة)، جغرافية العمران، نشر منشآت المعارف، الإسكندرية، 1975م.
36- عبد القادر(محمد)، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، نشر وتعليق ممدوح حقي، دار اليقظة .
37- عبد الوهاب (حسن)، تاريخ المساجد الأثرية، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1994م.
38- عثمان (محمد عبد الستار)، المدينة الإسلامية، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999م.
39-// ، // ، نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، دار الوفاء، الإسكندرية، 2000م.
40-عثمان(نجوى)،مساجد القيروان،ط1،دار عكرمة،دمشق،2000.
41- العربي (إسماعيل)، المدن المغربية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1984 .
42- عز الدين (أحمد موسى) ، النشاط الإقتصادي في المغرب خلال القرن السادس هجري، ط1، دار الشرق .
43- علام(عبد الله علي) ، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، دار المعارف ، مصر – القاهرة ، 1971.
44- عنان (محمد عبد الله) ، دولة الإسلام في الأندلس ، ط4، مطبعة المدني القاهرة، 1997.
45- فكري (أحمد) ، مساجد القاهرة و مدارسها ، المدخل، دار المعارف ، مصر-القاهرة ، 1961.
46-//،//،المسجد الجامع بالقيروان،مطبعة المعارف،مصر،1936.
- القرماني (أحمد بن يوسف) ، أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ ، ط1، بيروت ، 1992 .

47- القاضي(جليلة جمال) وآخرون، رشيد النشأة الإزدهار الإنحسار، ط1، دار الأفاق العربية، مصر، 1999م.
48- لوبون (غوستاف)،حضارة العرب ، تر: عادل زعيتر ، دار الكتاب ، القاهرة ، 1969.
49- ماهر (سعاد محمد)، مساجد مصر و أولياؤها الصالحون، مطابع الأهرام التجارية ، مصر ، 1971.
50- محمود (حسن أحمد)، قيام دولة المرابطين، مكتب النهضة المصرية، القاهرة، 1957.
51- مرزوق (عبد العزيز)، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت.
52- المطري(خالد)، دراسات في مدن العالم الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت 1989م.
53- مهنا (رئيف)، نظريات العمارة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م.
54- مؤنس (حسين)، المساجد، إصدارات ا لمس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مطابع الأنباء الكويت، 1981م.
55- مورينو (مانويل جوميث)، الفن الإسلامي في إسبانيا، تر: لطفي عبد البديع و السيد عبد العزيز سالم ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1968.
56- ناصف (سعيد)، المدينة الإسلامية دراسة في نشأة التحضر مكتبة الزهراء الشرق القاهرة99م.
57- الولي (طـه) ، المساجد في الإسلام ، دار العلم للملايين ، ط1، بيروت-لبنان ، 1988.

المراجع باللغة الفرنسية.

1-Basset.R,Nedroma et Les Traras , Paris, 1901.
2- Bosworth. C, Et , Donzel.E, Et D'Autres (Nedroma) In Encyclopedie De L'Islam, T7, Paris E., 1993.
3-Bourouiba.R,Larchitecture Militaire De L'Algerie Medivale, Office Des Publication Universitaires D'Algerie, 1983.
4-Bourouiba.R,L' Art Religieux Musulmane, Algerie, 2 E. Alger, 1983.
5- Canal.J, Monographie De Tlemcen, (Bulletin De La Société D'Archeologie D'Oran), 1988.
6- De mopurix.C, Six Mois Chez Les Traras, Tours De Monde.
7-Golvin.L, Essai Sur L'Architecteure Religieuse Musulmane, T4, L'Art Hispanos Musulman, E. Klincksieck, Paris, 1979.
8- Golvin.L, Rechercges Archéologiques A La Qala Des Béni- Hammad , G.P, Maison Nouveel,La Rose, Paris 1965.
9-Grand Guillaume, J. Nedrouma L'Evolution D'Une Medina, Leiden Brill, 1976.
10- Le Tourneaux.R, Les Villes Musulmanes De L'Afrique Du Nord, Maisons Des Livres, Algerie 1957.
11-Marçais,G. La Chaire De La Grande Mosquée De Nedroma Cinquantaine De La Faculté Lettres D'Alger 1932.
12-Marçais,G.L'Architecture Musulmane D'Occident Tunisie- Algerie, Maroc, Espaniol, Sicile ,Arts Et Metiers Graphique, Paris, 1954.

13- Marçais,G. Et W. Les Monument Arabes De Tlemcen , Fon Temoing , Paris , 1905.
14- Marçais,G. La Chaire De La Mosquée D'Alger , Hesperis , La Rose ,Paris , 1926.
15- Marçais,G. Les Arabes En Berbérie Du XI Au XIV Siécles , Constantine, Paris , 1913.

16-Marçais,G. Manuel D'Art Musulman L'Architecture Musulmane D'Occident Tunisie- Algerie, Maroc, Espaniol, Sicile , T2 , A, Picard ,1926.
17- Sari , DJ. Les Villes Pré Coloniales , L'Algerie Occidentale , Nedroma , Mazouna , Qalaa , 2^{e} E. Sociéte National D'Edition , Alger 1978.
18-Terrasse, H. Histoire De Maroc Des Origines A L'Etablissement Du Protoctorale Francais, E. Atlantide, Casablanca, 1949.
19-Terrasse,H.Et,Basset.R,
Sanctuaires Almohades,Colection Hesperis, La Rose, Paris , 1932.

قواميس - موسوعات - رسائل - مجلات - مؤتمرات.

قواميس :

1- ابن منظور(عبد الرحمن بن مكرم)،(ت 711 هـ)، لسان العرب، قدم له عبد الله العلايلي أعاد بناؤه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1988م.

2- البستاني (المعلم بطرس)،(ت 1303هـ)، محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1987م.

3- محمد رزق (عاصم) ،معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية ، ط1، دار جهاد ،2000.

4- الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب) (ت 817هـ)، القاموس المحيط، تح: مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة، ط6، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998م.

موسوعات :

5- الباشا (حسن)، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، ط1، ج1، بيروت، 1988م.

6- وزيري (يحيى)،موسوعة عناصر العمارة الإسلامية،ج3،مكتبة مدبولي،القاهرة،2000.

رسائل :

7- لعرج (محمود عبد العزيز)، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية (دراسة أثرية معمارية وفنية)، رسالة دكتوراة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1999م.

8- موساوي (عربية) ، الحمامات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى اية العهد العثماني دراسة أثرية معمارية،ماجستير في علم الآثار ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 1990-1991 .

9- عبدوني (حسيبة)، الحياة العمرانية في عهد الدولة المرابطية خلال ق 5هـ-11م، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 2003م.

مجلات :

10- حاجيات(عبد الحميد) ، السلطان أبو حمو موسى الثاني ، سياسته و أدبه ، مجلة تاريخ و حضارة المغرب ، العدد 08، 1970.
11- زرهوني (الطاهر)، ندرومة بين الماضي والحاضر، مجلة الثقافة، العدد 99، الجزائر 1987م.
12- لعرج (محمود عبد العزيز) ، التطور التاريخي لمدينة ندرومة حتى سقوط الدولة الزيانية ، مجلة بحوث ، العدد 6، جامعة الجزائر ،2000.
13- لعرج (محمود عبد العزيز) ، العمران الإسلامي و عمارته السكنية قيم دينية و دلالات إجتماعية ، حولية المؤرخ يصدرها إتحاد المؤرخين الجزائريين ، العدد 3-4 ، الجزائر 2005 .

مؤتمرات :

14- بورويبة (رشيد) ، بيوت سدراتة ، المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية ، وزارة الثقافة، الجزائر ، 1982.
15- الريحاوي (عبد القادر)، البيت في المشرق العربي، المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية، وزارة الثقافة، الجزائر 1982م.

الفهـــــــــــا رس

فهرس الأعلام

(أ)

(م)

(ع)

(هـ)

فهرس الأمـ ـاكن

(أ)

(ب)

- تارنانا 9-10.
- تاقرارت 12.
- تلمسان 2-5-8-10-11-12-13-14-15-16-24-28-29-31-32-33-35-37-39-50-51-52-53-54-58-59-65-88.
- تاجرا 2-6.
- ترارا 3.
- تازا 8-39.
- تيهرت 11-27-88.

(ج)

- الجزائر 49-50-51-53-54-58.
- الجوسق الخاقاني 69.
- جراوة 88.

(ح)

- حمام الصرخ 86.
- حمام البالي 91.
- حي رأس الجماعة 61.
- حي القدارين 56.

(د)

- دار زرهوني 72-80-82-83.
- دار الفتوح 78-79-80.
- درب الفخارين 43.
- درب لالة الزهراء 43.
- درب الخربة 43.
- درب القصبة 43.

- دمشق 51.

(ذ)

- ذراع الصابون 35.

(ر)

- روما 5.

(ش)

- الشام 32-68-69-86.
- الشرق 2-17-23-33.

(س)

- سبتة 88.
- سجلماسة 20.
- سدراتة 70.
- السنغال 21.
- السودان 19-34.
- سيدنا يوشع 2.

(ض)

- ضريح سيدي أبي مدين 83.

(ع)

- العراق 32.

(غ)

- الغرب الجزائري 2.

(ف)

(ق)

(ك)

(و)

- وادي التلاتة 2-3.
- وادي التافنة 3.
- وادي كيس 3.
- وادي ماسين 3-6-9.
- وجدة 8-15-34-35-36.
- وهران 29.

(ي)

- اليمن 8.

فهرس القبائل و الشعوب

(أ)

(ب)

(ص)

- صنهاجة 6-18-19-20-21-34.
- صطفورة 7.
- صغارة 7.

(ع)

- العباسيين 10.
- العرب 5-7-46-47.
- العثمانيون 16.

(ف)

- فراتة 7.
- فردة 7.
- الفاطميون 11.
- الفرنسيون 29.

(ق)

- قبائل المعقل 12.

(ك)

- كومية 2-7-11.

(ل)

- لماية 7.
- مطغرة 7.
- لمطة 18.

- لمتونة 18-19.

(م)

- المرابطــون معظم الرسالــة .
- مسوفة 18.
- مطمطة 6.
- مغراوة 11.
- المرينيون 13-14-15-16-29.
- الموحدون 4-13-20-31-41.
- المغول 17.

(ن)

- نغوطة 7.

(هـ)

- هسكورة 18.
- الهلاليون 12-30-31.

فهرس الخرائط والأشكال

فهرس الصور:

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث: المنشآت الدينية

الفصل الرابع : المنشآت المدنية